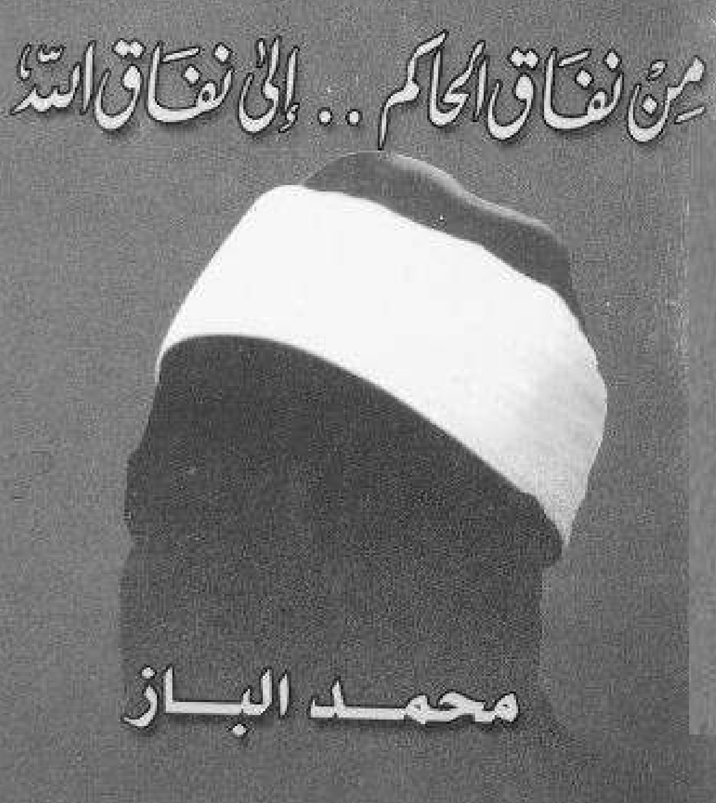
شيوخ مصر

مِنْ نفاق الحاكم .. إلى نفاق الله



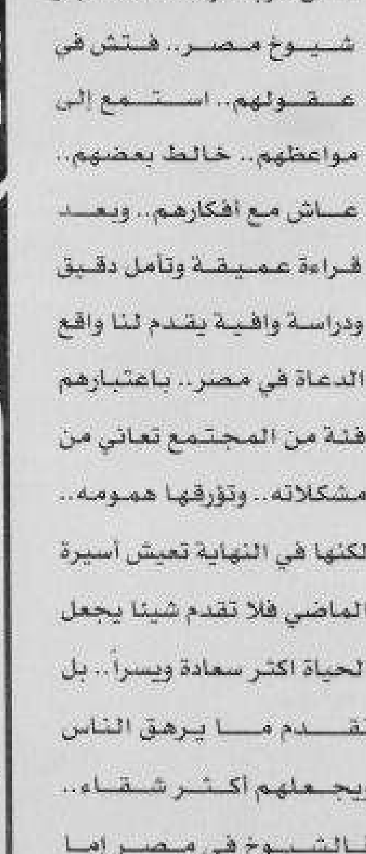
محمد الباز

محمد الباز

شيوخ مصر

مدبولي الصغير





■ عن قرب عرف محمد الباز شيوخ مصر.. فتش في عقولهم.. استمع إلى مواعظهم.. خالط بعضهم.. عاش مع أفكارهم.. وبعد قراءة عميقة وتأمل دقيق ودراسة وافية يقدم لنا واقع الدعاة في مصر.. باعتبارهم فئة من المجتمع تعاني من مشكلاته.. وتؤرقها همومه.. لكنها في النهاية تعيش أسيرة الماضي فلا تقدم شيئا يجعل الحياة أكثر سعادة ويسراً.. بل تقدم ما يرهق الناس ويجعلهم أكثر شقاء.. فالشيوخ في مصر إما ينافقون الحاكم.. وإما ينافقون الله.. ولا ينجو منهم إلا من رحم ربي.

الناشر

أول الكلام

"اثنان يرضيان الله...

من يخدمه من كل قلبه.. لأنه يعرفه

ومن يطلبه من كل قلبه.. لأنه لا يعرفه"

الإهـــداء...

إلـــى..

انتظار لها.. لا يطول

وأمل فيها.. لا يخيب

وحياة معها.. لا تنتهي

إلى.. صفاء

محمد البـاز

عرفتهم..

مازال - وسيظل - الناس فى مصر ينظرون إلى الشيوخ نظرة تقديس وإجلال يجعلونهم فى القمة وينظرون إليهم بحساب.. فهم أهل الله الذين يحملون كتابه.. ويحتفظون بالعلم بين جوانحهم.. يعرفون الحلال من الحرام - يقفون حائلا بين الناس وبين دخولهم النار.. ويمتلكون الضمان ليدخل من يشاء من خلالهم الجنة.. فهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..

هم ورثة الأنبياء.. الخط بينهم وبين الله موصول لا ينقطع أبداً.. هم مصدر البركة تلتمس منهم دون غيرهم

مشهد يتكرر

«شيخ مسجد بعد أن ينهى موعظته البليغة التى يرغى فيها ويزيد بلا انقطاع يهبط درجات السلم فى رفق وتؤدة، يتجه إليه رجل مسلم بسيط يتلمسه ويتحسس جسده ثم يسير بيديه اللتين حصلا على البركة من جسد الشيخ على جسده الضعيف عسى أن تحل به البركة»

منطقى وطبيعى جدا ما فعله الرجل فقد لمست يداه جسدا محكونا بالقرآن والسنة فهو إذن جسد مبروك يولى الحائرون وجوههم أينما كانوا شطره، ولا يقبلون فى ذلك شفاعة.. فهو المخلص من كافة مشاكل الدنيا والدين.. أليسوا هم أهل القربى من الله؟

وهم - بلا شك - أول الداخلين إلى الجنة، بل أكثر من ذلك سيكونون شفعاء لنا . نحن عباد الله المساكين الذين لا يملكون من أمر دينهم سوى بعض صلاة وبعض صيام، لكنهم هم القائمون الصائمون المتهجدون الذائبون فى طاعة الله أولاً ودائما وأبدا .. كما يقول المرحوم أستاذنا خالد محمد خالد.

ومنطقى وطبيعى جدا أن يجلس الناس أمام شيخ مسجد - كل مقوماته فى الحياة . انه شيخ مسجد ويطلبون منه أن يحكم فيما شجر بينهم.. ويجلسون وهم فى غاية الاطمئنان أن حكم الرجل سيكون عادلاً وحكيما . أليست كلماته ترتكن على كلمات الله . حتى لو كان أمر شجارهم أمراً دنيوياً بحتا لا علاقة لشيخ المسجد به.. لكنهم يقحمونه فيه ضاربين بحديث النبى صلى الله عليه وسلم «أنتم أعلم بشئون دنياكم» عرض الحائط، ومتخذين من كلمات الشيخ دستوراً ومنهاجاً .. وإذا سألتهم عن ذلك.. قالوا لك وكأن شيئاً لم يكن وبراءة الأطفال فى عيونهم: أليس هو مولانا الشيخ؟!

ولأنه مولانا الشيخ فيجب أن يصبح أولادنا مثله.. فى مثل أدبه وأخلاقه وعلمه.. فهو القدوة التى يجب أن تحتذى.. وهو المثل الذى يجب أن يسير على هديه الجميع.. لأنه دائما وأبدا على صواب.. أليس هو للمرة الثانية مولانا الشيخ؟!

مشهد ثانى يتكرر

شيخ مسجد يقف على منبره يخلط الشامى بالمغربى، يقلب حياة الناس إلى جحيم فى لحظة واحدة.. ثم يدخلهم جميعا الجنة بمجرد نطقهم بكلمة واحدة.. يرفع عن كاهلهم عبء العمل الدنيوى الذى لا يقدم ولا يؤخر فالدنيا زائلة.. ولا تستاهل من الإنسان أن يرهق نفسه فيها.. فكل شىء بيد الله..

يعترض عليه شاب جامعى مثقف بأن هذا ليس منطقا يتحدث به للناس وأنه لابد من تعريف الناس فقط بما عليهم من واجبات، فالدنيا كلها تتقدم ونحن مازلنا نتحدث عن الدنيا الزائلة.. وما أن أنهى الشاب - ليس بالضرورة أن يكون شاباً فى كل الحالات - كلماته حتى رجمه مستمعو الشيخ بألسنة حداد ونزلت على رأسه كلمات الاستنكار تكاد

تهشمها. فالناس تستنكر أن يعترض أحد على كلمات الشيخ.. فليس معقولاً أن يكون هناك أحد يعرف أكثر من الشيخ.. فهو يا عالم مولانا الشيخ.

هذا عن أى شيخ فى أى مسجد فى قرى مصر أو حتى مدنها، وعندما تأتى لشيوخ التليفزيون - فحدث ولا حرج - فالأمر مختلف تماما.. فشيوخ التليفزيون خاصة فى التسعينات - حيث القنوات التليفزيونية والفضائية التى تطبق الآفاق ليل نهار - فى غاية الأناقة والشياكة والنظافة.. صحيح أن نجوميتهم تتفاوت لكنهم فى النهاية أصبحوا نجوما.. وتخيل رصيد شيوخ التليفزيون عندما يضاف إلى رصيدهم عند الناس بجانب نجوميتهم نظرات التقديس والاحترام والتقدير وتزداد هذه النظرات إعجابا عندما يكون الشيخ الذى يستمع له الناس فى قريتهم أو كفرهم شيخا ضعيف المستوى فى الغالب يقرأ موعظته من ورقة!!

مشهد ثالث يتكرر

بعض أهلنا الطيبين يجلسون فى مقهى ريفى بسيط - التليفزيون يعرض لأحد برامجه الدينية القليلة.. الشيخ يتحدث بمنتهى البلاغة والتلقائية ودون أن يمسك ورقة فى يده.. يدلل بآيات من القرآن.. وأحاديث الرسول التى يرددها بشكل بسيط وكأنها ضمن كلماته التى يتعامل بها مع الناس - أغلب الظن أن الشيخ كان د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر - والذى تصبح لكلماته سطوة وقوة بعد أن يضاف إليها حماس الشيخ المعتاد الذى لا تفصم عراه - مهما كان الموضوع مهماً أو تافهاً - ويتعجب الناس من طلاقة الشيخ الذى يتحدث دون أن يمسك فى يده أية ورقة.

هم فى النهاية يشكون من حالهم مع الشيخ الذى يردد مواعظ بعينها ويقرأها من وريقات بالية لا تتغير مع تغير الأيام والسنين.

لكن..

وآه من لكن تلك واستدراكاتها السخيفة..

فكما تغير كل شىء فى مصر.. تغيرت صورة الشيوخ وأصبحوا جزءاً من حياتنا المهملة

التى انعدمت فيها كل قيمة.. وتساوت فيها كل القامات.. نزل الشيوخ سواء من كانوا فى القرى والكفور أو حتى من يحتلون شاشات التليفزيون . من أبراجهم درجات وأصبحوا فى متناول الأيدى.. والسبب خرج من أيديهم هم.. ولم يكن بيد الآخرين شيئا..

خذ عندك ما قاله د. مصطفى محمود فى واحدة من تأملاته الجادة وبعيداً عن شطحاته.. قال: «فى هذا الجزء الأخير من القرن العشرين والأقمار الصناعية تدور فى الفضاء والصواريخ تنطلق إلى الشمس والصور تنتقل بالتلستار والأخبار تطير بالتلكس، والأعمى يتحسس طريقه بعقل إليكترونى والغواصة تشق ظلمة الأعماق بمحرك ذرى، وسط هذا القدر الهائل من الوسائل العلمية والتحديات التى تبهر العقل ترى شيخ الجامع يخاطب الناس من على منبر القرون الوسطى، وكل ذخيرته فى الدعوة إلى الإسلام تهديد المؤمنين البسطاء الذين سعوا إليه بأن مصيرهم الحرق فى جهنم، وأن من تلبس من زوجاتهم «نصف كم» سوف تشوى أذرعهن فى النار ومن يتأخر عن صلاته ليؤديها قضاء سوف يلقى فى برميل من الزفت المغلى، ومن يدخر نقوده فى بنك سوف يرشق بالأسياخ المحمية، أما الذى ينظر إلى محرم فنصيبه أن تقلع عيناه وتوضع مكانهما جمرتان لا تنطفئان. ثم يؤيد كلامه بأحاديث نبوية مرعبة بإسناد طويل عن عنبسة بن الهيثم بن عدى بن أيوب الموصلى عن الكلبى عن الثعلبى عن ابن ادريس عن ابن الحضرمى، وكل هؤلاء نعلم عنهم الآن انهم كانوا وضاعين للحديث، كذابين وأن أكوام الكتب الصفراء التى تركوها كانت زيفا وتشويهاً وأن نبينا وهو نبى الرحمة والشفاعة والمغفرة لم يقل شيئا عن تلك البشاعات».

انتهت كلمات د. مصطفى المنقولة نصاً عن كتابه «القرآن كائن حى». التوصيف يكاد يكون دقيقا لما يتحدث عنه وبه شيوخ الإسلام وأضف لذلك كما هائلا من الأخطاء فى القرآن ورواية الأحاديث وسرد قصص سخيفة تعادى كل آيات المنطق والعقل ولو عرضت على آيات القرآن لرفضها القرآن قلباً وقالباً، ولأن هذا أصبح معظم حديثهم فقد إنصرف عنهم الناس ليس انصرافاً كلياً فمازالوا يحتفظون بشىء من الاحترام والتقديس، ولكنه انصراف من عرف أن لا فائدة مما يردده الشيوخ وأنهم لو استسلموا لهم وسلموا عقولهم لأحاديثهم لأصبحت حياتهم خرابة لا تطاق.

لو تركت كلماتهم جانبا.. ونحيتها بعيداً وجئت لمسلكهم فى حياتهم كبشر مثلنا مثلهم تماما.. يعيشون كما نعيش.. يأكلون.. ويشربون.. وينامون.. لهم أحلامهم ومشاكلهم.. آلامهم التى تسيطر كثيرا على حياتهم.. ضيقهم النفسى والمادى الذى أصبح هو السمة الغالبة علينا جميعا.. رغبتهم فى حياة أفضل.. لكن اليد دائما قصيرة. استعراض حياتهم على هذا النحو يقربنا منهم أكثر.. قد يجعلنا أكثر تعاطفا معهم وقد يزيدنا بعداً ورفضا وغضبا عليهم.. لكنه استعراض على أية حال يجعلنا نؤكد على أنهم منا.. أو بتعبير أدق وأمر.. بعض من كل يشكو ويتألم..

مشاهد يمكن أن تجدها كثيراً..

شيخ عرفته جيداً . ظل لأكثر من شهرين يخطب فى الناس . أكثر من ثمانى خطب كاملة . يحذرهم فيها من التبرج.. وحشد فى خطبه كل ما عرفه وحفظه ودرسه من دلائل تؤدى بالمخالفين إلى نار جهنم وبئس المصير.. كان متحمساً وكأنه اختصر فساد الدنيا كله فى امرأة تخرج سافرة أو بنتا ترتدى بنطلونا وبلوزة . من أى نوع وبأى شكل.. وكأن الدنيا خلت من كل الشرور وأصبح خروج النساء سافرات هو الخطر الذى ما بعده خطر.. وهو النهاية التى ستؤدى بالجميع إلى التهلكة التى أمرنا الله الا نلقى بأيدينا فيها. هذا الشيخ نفسه لا أحد غيره عندما ذهبت إلى بيته ذات مرة وعندما ناديت عليه خرجت زوجته.. وكانت ترضع طفلها، خرجت وكان نصف صدرها عاريا. ووقفت تتحدث معى دون قلق أو أدنى شعور بأنها تعمل شيئا خطأ.. قلت ساعتها أين زوجها وأين خطبه الثمانية التى ضاعت دون أن يبكى عليها أحد حتى زوجته؟

شيخ ثان لم يكن يكف عن مهاجمة الموالد فى القرى وكان يشن عليها هجوما لا يعادله الهجوم على أكبر الكبائر.. ففى الموالد يا إخوان تؤتى الفواحش ويتم الاختلاط الذى نهانا المولى عزوجل عنه.. ويقصد الناس رجلاً يسمونه ولياً من أولياء الله الصالحين، وما هو بالولى ولا هو من الصالحين..

هذا الشيخ نفسه عندما أقيم فى قريته مولداً قام بنفسه بإعداد الطعام للمنشد الذى جاء يحيى الليلة الكبيرة فى المولد.. لا لسبب إلا لأن راعى المولد نسيبه وللنسب حق.. مع احترام الرجل الشديد لقول النبى ﷺ: «من أبطأ به عمله.. لم يسرع به نسبه».

شيخ ثالث لا أحد مثله فى علمه ولا فى معرفته ولا فى إحاطته الشديدة بعلوم الدين.. فهو عالم علامة. ولن نقول فتك فهامة. حتى لا يغضب منا الشيوخ، لكنه كان كذلك بالفعل.. ومع تعمقه الشديد فى أمر دينه وهو ما جعله أهلاً لأن يقصده الناس فى طلب الفتوى مطمئنين غاية الاطمئنان والراحة لأن ما يقوله هو الصواب المطلق.. مع ذلك كان يلتزم الرجل إلتزاما خانقا. ليس له بالطبع. ولكن لبعض مريديه. بالشكل السعودى فى لبسه.. فكان يرتدى جلباباً قصيراً وعلى رأسه طاقية وفوق الطاقية شالاً ينسدل على كتفيه.. وفوق الزى.. تمسك الرجل باللهجة السعودية فى قراءته للقرآن وطريقة إلقائه لخطبه ومواعظه.. وفى تعامله مع الناس لم يتنازل عن طريقته السعودية تلك فكل شيء حرام إلا ما رحم ربك..!!

شيخ رابع.. لا يتخلى عن زيه لحظة من نهار.. ويعلن اعتزازه الشديد بهذا الزى.. يعمل فى الوقت نفسه فى التجارة. ولا اعتراض لأحد على ذلك. فأبواب الرزق كثيرة ولا يعيب أى إنسان أى هذه الأبواب يسلك.. لكنه وهو يمارس تجارته جيئة وذهاباً نسى أن الرقعة فى ثوب شيخ الدين كبيرة وظاهرة ومؤثرة.. فالعيب لا يكون عليه كشخص.. ولكن يعاب فى الطريق على القرآن الذى يحمله وعلى الدين الذى يتحدث به.. لم تكن سمعة سيدنا الشيخ فى تجارته فوق مستوى الشبهات.. الأكثر من ذلك أنه لم يكن يتهاون فى حقه قيد أنملة.. يردد دائما حقى وحقك وربنا يفصل بين الحقوق، أما حقوق الناس فلهم رب يتولاهم ويتولى حقوقهم.. ويعوض عليهم فى الآخرة.. هذا طبعا إن شاء.. لأنه لا شيء يتم فى الكون إلا بمشيئة الله.

شيخ خامس. هل لابد أن يكون لدينا شيخ أخير..؟ لنعتبر إذن هذا الشيخ الخامس هو الأخير. فحديثنا حتى الآن كله على سبيل المثال.. المثال فقط لا الحصر.. شيخنا كان يخطب الجمعة فى عزبة صغيرة من آلاف العزب التى تنتشر بطول مصر وعرضها.. عزبة صغيرة. مظاهر الحياة فيها تكاد تكون منعدمة.. فقط الناس يقضون الأيام الطوال والليالى الأطول.. يأكلون ويعملون ويتناسلون ويوم الجمعة يذهبون فى دأب غريب للمسجد ليستمعوا للشيخ الذى لا يقول جديداً مطلقا.

لكن الشيخ.. ناجى.. ونذكر اسمه هنا هذه المرة لأن آلاف العزب لابد أن يكون فيها أكثر من شيخ اسمه ناجى لهم نفس الصفات ويأتون بنفس الأعمال. كان يعسكر فى العزبة فى مواسم الحصاد ليحصل على حقه من كل الفلاحين كل على حدة فقد كان يخطب فيهم مقابل أجر مما يزرعونه من الذرة والأرز والقمح.. ولا مانع إذا كانت الأرض مزروعة ببعض أنواع الخضار (خيار.. طماطم) أن يحصل الشيخ ناجى على نصيبه منها.. لم يكن الرجل حريصا على أداء الصلاة بانتظام فى مسجد العزبة.. بل لم يكن مواظباً على إلقاء خطب الجمعة كل أسبوع فقد كان يتخلف عن بعض الجمع.. لكنه كان فى أشد ما يكون الحرص عندما يعلم أن بعض الفلاحين يحصدون زرعهم.. وهكذا تسير الحياة..!!

من حقك أن تقول أن هذه مجرد أمثلة.. أمثلة فقط لا تسمن ولا تغنى من جوع.. ولا نستطيع أن نعمم، فيصبح كل شيوخ مصر مثل هؤلاء الذين وضعوا رتوشاً على الصورة المضيئة.. لكنهم للأسف الشديد كثرة منتشرة.. لا تتراجع بل تزداد يوما بعد يوم.. وانظر فقط إلى انصراف الناس عن المواعظ والخطب والشيوخ جميعا..

ونصل إلى شيوخ التليفزيون بكل أناقتهم وشياكتهم..!!

فبعد أن كان ينظر لهم الناس نظرات أكثر تقديساً على اعتبار أنهم الأهم والأعلم من شيوخهم الذين يخالطونهم ليل نهار، أصبحت نظرات التشكيك تسيطر، وهمسات الريبة تزداد.. فقد تغير بهم الزمان كما تغير بكل شيء..

ولك أن تقيس المسافة فقط بين ما كان عليه الإمام الأكبر د. عبدالحليم محمود وما أصبح عليه الإمام الأكبر أيضا د. محمد سيد طنطاوى.. الفارق كبير والتفاصيل علينا بالطبع، قس أيضا المسافة بين الشيخ عاشور نجم مرحلة السادات الذى نادى بأعلى صوته فى مجلس الشعب وفى عز سطوة السادات وغروره واعتزازه بملكه الذى كان يعتقد. وإن لم يصرح بذلك. أن هذه الأنهار تجرى من تحته، هتف الشيخ عاشور.. «ليسقط السادات. ليسقط السادات»، قالها بمنتهى القوة والحماس وبلا أدنى تردد أو خوف.. ضع أمام هذه الصورة ذاتها د. أحمد عمر هاشم عندما يقف فى قاعة مجلس

الشعب أو قاعة مجلس الشورى وهو يرطب لسانه بالثناء على الرئيس وإدانة كل ما تريد الحكومة إدانته.. والثناء على كل ما ترغب الحكومة فى الاشادة به.. ليس نفاقا حاشا لله.. ولكن اقتناعا تاماً بكل ما يفعله رجال حكومتنا السعيدة!!!

●●●

ليست المناصب وحدها هى التى تغير الناس. وليست السياسة وحدها هى التى تتحكم فى مصائر البشر.. فهناك أشياء أخرى لا يستطيع أحد إنكارها.. لأن إنكارها لن ينفى تأثيرها.. تلك هى وسائل الإعلام.. صحافة وإذاعة وتليفزيون.. فقد فرض الإعلام الذى أصبح رب هذا العصر على الشيوخ بعضا من سطوته يحرصون على الظهور فيه بأى طريقة.. يعدون أنفسهم لذلك بالانفاق الغزير على مظهرهم دون الالتفات إلى ما سيقولون.. فحتى لو كان كلامهم مجرد كلام فارغ فلا بأس مادام سيحتل وقتا لا بأس به فى التليفزيون أو فى الإذاعة.

أصبحوا نجوما وللحياة النجومية شروطها وآلياتها التى لا يستطيع أن يخرج عليها أحد إلا إذا كان راغبا فى وداع النجومية ذاتها وهذا شىء لا يقدر عليه أحد.. لذا أصبحت تجد وبمنتهى السهولة شيخا وإماماً وعالماً راسخاً فى العلم يتحدث لمجلة سيارة عن الحب وعن نجومه المفضلين (معظمهم يشيد بعادل إمام كنجم كوميدى محترم) وعن مطربيه المفضلين (السواد الأعظم منهم يؤكدون أن أم كلثوم هى مطربتهم المفضلة. وحتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض يعقب الشيوخ بأنهم يحبون منها فقط أغانيها الدينية مثل نهج البردة لأحمد شوقى وإلى عرفات الله لشوقى والثلاثية المقدسة لصالح جودت والقلب يعشق كل جميل لبيرم التونسى.. ولئلا يقذف أحد فى وطنيتهم يشيدون بأغنية «مصر تتحدث عن نفسها».. لحافظ إبراهيم.

وعندما نزل الشيوخ إلى تلك الساحة ومع انتشار نمط الصحف الخاصة فى مصر سواء كانت شركات مساهمة أو حاصلة على تراخيص من قبرص، وحرصها على نشر الجديد والغريب عن كل شىء فى مصر.. فقد حرصوا على استضافة الشيوخ فى تحقيقات من نمط خفيف للغاية. تحقيق يستطلع النكت من على ألسنة الشيوخ ومن

فضلك يا مولانا قل لنا آخر نكتة بس بشرط تضحك.. لا يمتنع الشيوخ ولكن يدلون بدلوهم بنكت غاية فى البرود والسماجة، تحقيق آخر يستطلع الحب فى حياة الشيوخ وهل تزوجت عن حب يا مولانا أم تزوجت زواج تقليدى، زواج صالونات يعنى. ثم مزيد من التفاصيل عن أعياد الميلاد والزوجات والأولاد والأحفاد والأسفار.. وينقصنا فى هذا الإطار تحقيقا صحفياً نعرف من خلاله اين يقضى الشيوخ فترة الصيف.. أو ماذا يفعل الشيوخ على البلاج..!!

لأنهم نزلوا إلى الناس بكل ما لديهم وما عندهم من تفاصيل حياتهم زهد الناس فيهم وتعاملوا معهم كأشخاص عاديين. يحملون القرآن.. وإيه يعنى.. فالإذاعة تذيع القرآن على مدار اليوم.. يعرفون أحكام دين الله.. وماذا فى ذلك فالفتاوى والأحكام أصبحت فى الكتب وفى متناول الجميع..!!

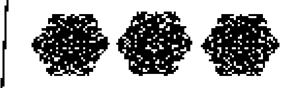
هل معنى ذلك أننا لسنا فى حاجة لشيوخ.. بالطبع لا.. فالحياة لا تحتمل بدونهم.. وجودهم يضمن كثيرا من الثراء لهذه الحياة التى تحمل قدراً كبيراً من الكآبة.. وإن كنا نحتاج لشيوخ غير هؤلاء جميعا الذين سنتحدث عنهم وأمرنا جميعا فى يد الله.

محمد البـــاز

1

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

استقالة شيخ الأزهر



عندما تعطى نفسك فرصة لتتأمل وجه فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ستجد أنه رجل هادىء الملامح.. طلة وجهه تريح.. تبعث على الاطمئنان والأمان، من المنصب أن ينفعل. يمكن أن تحصل على جميع جوائز الدولة تقديرية وتشجيعية وتفوق ومبارك. إذا ضبطته منفعلاً، طيب تتفجر من عينيه ينابيع الحنان والرحمة مثل كثير من الكبار الذين اختبرتهم الدنيا وصهرتهم فاختزنوا تجربتها وعاشوا على علم بأن الحياة لا تساوى أكثر من كلمة طيبة.

يغمرك التفاؤل عندما تستمع إلى حديثه العذب عن سماحة الإسلام وعن الجنة التى أعدت لعباد الله الصالحين. بالضرورة كل مستمعي الشيخ منهم. وعن الواقع الجميل الرائع المريح الذى يعيشه المسلمون، لا تجده متشدداً ولا متعنتا ولا متسرعاً ولا يلقى بفتاوى التحريم ليلا ونهاراً على رؤوس العباد الذين لا يطلبون من الله سوى خروجهم من الدنيا وهم فى حالة تعادل لا لهم ولا عليهم وفى النهاية تنام وأنت قرير العين، هادىء البال، مستريح الضمير. لأن هذا الرجل بعينه. وليس غيره. يجلس على كرسى مشيخة الأزهر فى بلدنا السعيد.

لكن ماذا تفعل عندما تسمع عن الطريقة باللغة السوء التى يعامل بها شيخ الأزهر الصحفيين الذين يختلفون معه فى الرأى. مع علم شيخ الأزهر ويقينه أن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية مهما كانت خطورة وجسامة هذه القضية؟. ولن تصدق كما أنى لم أصدق حكاية الصحفى الذى كاد شيخ الأزهر يضربه بالحذاء لأنه كتب. الصحفى. عن الشيخ كلاماً لم يعجبه، ولن تصدق أن الرجل السمح المتسامح العف

العفيف يمكن أن يشتم ويسب ويلعن كل من يختلف معه.. لن نحرص على ذكر أمثلة من شتائم شيخ الأزهر.. يكفيك أن تعرف فقط أن د. طنطاوى وفى لقاء جماهيرى وصف المجاهدين الأفغان بأنهم مجموعة حمير، ولأن الشيء بالشيء يذكر فإن شيخ الأزهر يستعمل على الأقل كل أوصاف الحيوانات ليصف بها الذين يختلفون معه فى الرأى ولا فرق عنده بين صحفى أو شيخ أو عالم دين أو دكتور جامعة.

على أية حال.. ليس هذا ما يجعلنا نسأل الشيخ طنطاوى هذا السؤال الصريح والمباشر. يمكن أن يصبح فى عرف شيخ الأزهر سؤالاً مشكوكاً..!!

السؤال هو.. لماذا يا مولانا الإمام لا تفكر فى تقديم استقالتك وإعفاء نفسك من تلك المعاناة التى تتحملها منذ حللت على كرسى المشيخة.. ويتحملها معك الناس الذين ينظرون إليك كقدوة ومثل وهاد إلى صراط الله المستقيم؟! لماذا لا تفعل..؟ الآن.. وليس غداً..!!

قد يتعجب د. طنطاوى من هذا الطلب. وهو معذور فى ذلك تماماً.. فلم يحدث أن قدم شيخ ازهر او غير شيخ أزهر قبل ذلك استقالته.. فما دامت الأمور تسير.. ومادامت المصالح تتحقق.. ومادام كل يأخذ ما يريده.. فلماذا يفكر أى مسئول فى الاستقالة.. فكل القيم مهدرة.. لكن الأمن مستتب والتعبير لنجيب محفوظ.

صحيح أن ذلك لم يحدث.. لكن لماذا لا يجرب شيخ الأزهر.. وتصبح سابقة تحسب له.. تحسب له على الأقل لأنه سيحافظ على هيبة من سيأتى بعده من شيوخ للأزهر الشريف.. فأفعال د. طنطاوى. وبمنتهى البساطة. تسحب من رصيد هيبة شيوخ الأزهر.

وحتى لا ندخل إلى ساحة التجنى تعالوا نسرد أسبابنا التى نرى أنه بناء عليها يجب أن يقدم شيخ الأزهر استقالته.. وأن يتنحى دون أن يخرج الشعب خلفه صارخاً لا تتنحى.. لا تتنحى..

ما يفعله شيخ الأزهر مع علماء الإسلام وشيوخ الأزهر.. فهو يسفه من أفكارهم ويطعن فى علمهم ويعاقبهم إذا عارضوه.. ويسحبهم من أقفيتهم ليقف بهم أمام لجان التأديب الجامعية لأنهم رفضوا بعض أفعاله..!!

استيقظ الناس على الخبر التالى «يقف أربعة أساتذة وعلماء الأزهر أمام مجلس تأديب أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر بتهم مختلفة أهمها الإساءة إلى مقام شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى والأساتذة هم د. محمود حماية أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بأسيوط وتهمته الإساءة إلى شخصية الإمام، ود. إبراهيم الخولى الأستاذ المتفرغ بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية ولنفس التهمة، ود. محمد عبدالمنعم البرى أستاذ الدراسات العليا بكلية الدعوة الإسلامية ورئيس جبهة علماء الأزهر السابق وتهمته السفر إلى أمريكا للدعوة إلى الله بغير إذن من رئيس الجامعة، ود. يحيى إسماعيل أستاذ الحديث بكلية أصول الدين وتهمته السفر إلى السعودية لأداء العمرة بدون إذن من إدارة الجامعة..

وينتظر أن يصدر قرار بفصل هؤلاء الأساتذة بسبب هذه الجرائم المنسوبة إليهم..

قاسية هذه الصياغة كثيراً.. تجمع بين ما تجمع فى إنائها علماء دين.. شيخ أزهر.. تهم.. جرائم.. والأسباب. مهما كانت. لن يستطيع أن يتحدث بها شيخ الأزهر أمام أقل الناس عقلا ليقنعهم بها، فعندما اعترض هؤلاء على بعض أعمال شيخ الأزهر. بالتحديد مقابلة شيخ الأزهر للسفير الإسرائيلى ومن بعده كبير حاخامات اليهود. لفقت لهم التهم. أعتذر عن استعمال هذا اللفظ غير المهذب لكن لم أجد غيره. فقد أدخل شيخ الأزهر إلى قاموس الخلاف بين علماء الدين تهمة اسمها «الاعتداء على مقام شيخ الأزهر» فعل ذلك د. طنطاوى دون أن يخبرنا عن ماهية هذا المقام، ولا من منحه إياه تحديداً. لكنها طنطنة لفظية ما أحوج الناس إلى الابتعاد عنها.

قذف شيخ الأزهر فى وجوهنا جميعا بكلماته ومضى تاركا لجان التأديب تعرف حقه وحق من اعتدوا عليه.. وكان عند شيوخ الإسلام وعلمائه كلام كثير يضع كثيرا من النقاط على كثير من الحروف فى إمامة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى..

د. يحيى إسماعيل. أكثر المعارضين لشيخ الأزهر وأعلاهم صوتا. قال أن التحقيقات التى تعرضوا لها كانت للحصول على سبب وجيه لإدانتنا بسبب معارضتنا لاستقبال الإمام الأكبر للحاخام الإسرائيلى. فقد اعترض العلماء على تدنيس الحاخام اليهودى

للأزهر وقالوا أن عدم الاعتراض يعد جريمة في حد ذاته وطالبوا سماع شهادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الذين قال عنهم د. طنطاوي أنهم وافقوه على ما فعل».

د. طنطاوي كان يريد أن يورط معارضيه ويوقعهم في حفرة معارضة آراء وفتاوى مجمع البحوث الإسلامية بما له من شأن في الفصل بين القضايا الدينية وكان لابد من رد.. والرد جاء من د. يحيى إسماعيل الذي مازلنا مع كلماته..

يقول: «إذا كانت مخالفة المجمع وقراراته مؤذنة للتحقيق معنا في هذه القضية فأول من ينبغي أن يحقق معه هو د. طنطاوي شيخ الأزهر لأنه أول من خالف قرارات المجمع حيث أباح التعامل مع البنوك رغم أن جميع قرارات مجمع البحوث الإسلامية تؤكد أنه ربا ولا يجب التعامل معها».

بدأت الدفاتر القديمة تفتح إذن.. وكل من عنده معلومة يخرجها وعليه فقد ذهب د.يحيى لأكثر من ذلك حيث قال: «قرارات المجمع لا تلزم غير أعضائه فمن حقي كعالم أن أختلف مع قراراتهم وفق الأدلة الشرعية التي تظهر لي، وأعضاء المجمع هم الملزمون بهذه القرارات أمام عامة الناس، وبما أن شيخ الأزهر رئيس المجمع فواجبه الشرعي والعرفي أن يتبنى قرارات المجمع وأن يعمل على صيانتها وحفظها ونشرها، فإذا ما جاء الشيخ ليلغي عمليا بعض قرارات المجمع يكون قانونا قد أتى بما يناقض مهنته التي وظف لها».

د. محمود حماية كان أقل عنفا وأكثر هدوءاً.. فقد رأى أن رفضه لمقابلة شيخ الأزهر للحاخام اليهودي دفاع عن الأزهر ليس فيه إساءة أو تجريح لأحد بمن فيهم فضيلة الإمام، بل هو يكن له كل تقدير واحترام وإجلال، فما قاله عبارة عن اجتهاد ورأى عبر عنه لشعوره بواجبه وحبه للأزهر ومن حقه أن ينشره ومن حق الآخرين أن يردوا عليه دون حساسية مادام رائدهم جميعا هو الوصول إلى الحق، وينتهي الهدوء عبر د. حماية عن رأيه في الموضوع كله حيث التعبير عن الرأي بالقلم ليس بجريمة يستحق الإنسان عليها المسائلة بل هو حق كفلته القوانين بل أن الكتابة بالصحف لون من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وعليه فمن حق الرجل أن يدعو إلى الله بكل وسيلة مشروعة.

وفي مواصلة الرجل لهدوئه قال «ما قلته لم يتجاوز كونه نصيحة متجردة وإسهاماً مخلصاً في قضية تمس مؤسسة لها مكانتها وخطورتها بالنسبة لهذه الأمة وللإسلام أيضا».

تضمن اعتراض د. حماية أيضا ما أظهره من خوفه على الأزهر بعد أن قرر شيخه إلغاء السنة الرابعة من المرحلة الثانوية حيث رأى أن ذلك فيه خطورة شديدة تُلحق أبلغ الضرر بالأزهر ومصر والعالم الإسلامي. وينتهي الأدب هذه المرة طلب د. حماية من شيخ الأزهر أن يتقبل رجاءه في عدم إلغاء السنة الرابعة حتى لا يزداد خريجو الأزهر ضعفا بعد ضعف.

ورغم هدوء الرجل وحذره الشديد وأدبه البالغ الرقة. رجل يسوق طلبه في رجاء. فقد اتهمه شيخ الأزهر بأنه اعتدى على مقامه الذي يبدو أنه عنده أغلى من الدنيا وما فيها.

د. إبراهيم الخولي كان رده أعنف.. فخرجت كلماته غاضبة ليس بعض الشيء.. ولكن كل الشيء.. توجه الرجل بكلماته مباشرة إلى شيخ الأزهر.. كتب ونشرت جريدة الأسبوع.. قال..

«يا شيخ الأزهر.. خالفناك واختلفنا معك في الكثير.. وسنظل نخالفك ونختلف معك في كل ما نرى أنك لم تصب فيه شاكله الحق، ولا غضاضة عليك ولا عتب علينا.. فأنت بشر يؤخذ من كلامك ويترك ولست بمعصوم.

هل كنت تنتظر من العلماء - مثلا - أن يصمتوا إزاء فتواك في معاملات البنوك وفوائد الودائع والقروض - مرة أخرى تفتح الدفاتر القديمة - وعلى ما اتفقت عليه المجامع الفقهية في العالم الإسلامي، ومن بينها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مؤتمره الثاني والذي عقد في محرم ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، إنه لشيء عجاب أن تبيح لنفسك خرق هذا الإجماع العريض ثم تحرم على نظرائك وأندادك أن يخالفوا لك رأيا أو اجتهاداً تقف وراءه وحدك، وترفض كل دعوة لمناظرة حوله أو حوار، ومقابلتك للسفير الصهيوني ثم للحاخام الصهيوني إنها فتوى غير مباشرة، قصدت أم لم تقصد - بإباحة التطبيع مع اليهود، وقد بدت ثمارها المرة فتجاسر على التعامل مع الأعداء الغاصبين،

من كان يتردد أو يحيك فى نفسه شىء من التأثم، وقد استغلها اليهود أسوأ استغلال لو علمت.

ويواصل د. الخولى قذائفه.

«ماذا تريد منا بالتحديد؟ أن نجهر بما نعتقده الحق إرضاء لله ولو أغضبك؟ أو نكتمه ليرضيك وإن كان فيه سخط لله؟ أهذا خيار حتى يستخار؟ أنا لا أراه ومتى وجب البيان حرم الصمت.

ويضيف د. الخولى إلى مدفعيته.

«الآن.. ماذا ترى فى هذا الذى أقدمت عليه من عنف وعسف وجبروت فى إدارتك للخلاف مع معارضيك؟ لقد ظلمت نفسك حين أظهرتها على هذا النحو، وظلمت الآخرين حين أنكرت عليهم حق الاجتهاد وحق الاختلاف معك وفيهم أقران لك وأنداد. وليس لك أن تصادر حقهم فى الوفاء بما فى أعناقهم من حق الله، إنك تخنق كلمة الحق بالمثلات التى ترهب بها الآخرين من خلال التحقيقات ومجالس التأديب، التى نقلت إلى الأزهر الشريف أجواء العصور الوسطى ومحاكم التفتيش، ونسيت أنك خرجت على أدب الحوار حتى أسرفت فى السباب والشتائم، وتوجيه الاتهامات بغير حق، وخرجت على أدب الخلاف فأدخلت المنصب واللقب فى قضايا من شأن العلم وحده، وليس بين مقاييس الحق فيها مكان للمناصب والألقاب.. فالحق إنما يعرف بالدليل والبرهان.

ويصل د. الخولى مع د. طنطاوى إلى نهاية المطاف.. يقول

«وأخيراً يا شيخ الأزهر ظلمت الدولة حين اتخذت من المنصب واللقب ذريعة لأن تنتزع من سلطاتها وأجهزتها ما تصفى به مخالفيك فى خصومة غير متكافئة أنت تستعدى علينا الدولة من موقعك.. ونحن نستعين الله عليك..!!

ترى من الغالب ومن المغلوب فى نظرك»

خاتمة قاسية.. ووعيد أشد قسوة.. لكن شيخ الأزهر لم يرتعد.. وحل جبهة علماء الأزهر التى الحق بها وبعلمائها كل ما يشين.. وعندما حكم القضاء المصرى بعودة جبهة

[illegible]علماء ونبذ عنها تهمة التطرف التى رماها بها شيخ الأزهر ظل الرجل على عناده. [illegible]قف على جبل من غروره وقال بمنتهى الثقة التى لا تنتهى..

«حصل علماء الجبهة على حكم أول درجة وليس حكما نهائيا أو تنفيذيا.. ولكننا سنقوم باستئناف الحكم أمام القضاء.. ثم أنه لا يوجد ما يسمى بجبهة فى الأزهر ولكن يوجد علماء فقط بكافة تخصصاتهم العلمية، فنحن لسنا ضد أحد ولم نخاصم أحداً. لكننا نقف ضد كل من يريد أن يفرض رأيه على الآخرين».

للجميع منطقهم فيما يقولون.. لن نقف على التفاصيل بالطبع.. لأن التفاصيل لا تعنينا كثيراً..

يشغلنا فقط ما فعله شيخ الأزهر مع أقرانه وأنداده من علماء الاسلام وأساتذة الأزهر فالشيوخ أصبحوا - بعد فعلة الرجل بهم - فى متناول الجميع.. أصبحوا جهلاء ومتطرفين.. ولابد أن يعاقبوا بالفصل من أعمالهم جزاء فعلتهم التى لن يغفرها الله لهم - مع أنها ليست شركا بالله ذاك الذى لا يغفره الله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.[1]

افقد شيخ الأزهر الناس ثقتهم فى علماء الدين، فمن البديهى عندما يعلن شيخ الأزهر على الملأ وفى الصحف التى يحب التواجد فيها باستمرار أن شيوخ الأزهر عصاة ومخطئون، فالناس سيرمونهم بالخطأ وسيبحثون - طبيعة بشرية - لهم عن عيوب جديدة يمكن أن يكون شيخ الأزهر قد غفل عنها، ويتكرر الأمر نفسه مع شيخ الأزهر، فعندما يوقعه علماء الأزهر فى حفرة الخطأ فإن الناس سينظرون إلى معظم آرائه - هم يفعلون ذلك فعلا - بعين الريبة فالناس فى النهاية بشر وضع نفسك مكانهم.. وإذا كان لشيخ الأزهر لسان فإن للشيوخ الآخرين السن.. وللناس من بعدهم ألسن أكثر يتناولون بها ما قال.. يعاد ويزاد.. والناس تبحث بالمشوار عن موضوع يسلون به أوقاتهم الفارغة وما

(١) المؤسف أن التاريخ [illegible] فى سجله أنه كان هناك شيخ للأزهر اسمه د. محمد سيد طنطاوى تم فى عهده فصل د. [illegible] التأديب التى حول لها شيخ الأزهر د. الخولى لسؤاله عما أبداه [illegible] يعلن شيئه [illegible] الأزهر كله.. رجل يُفصل من عمله [illegible]

ثم الم يفكر شيخ الأزهر ـ وهو جالس على كرسى المشيخة ـ فى أثر ما يفعله على الشيوخ أنفسهم؟ راجع ما قاله ضحايا شيخ الأزهر لتدرك إلى أى مدى هم ناقمون ومحبطون ويائسون..

دع خلاف الشيوخ جانبا.. الا يمكن ان نفسر ما يحدث ـ وهذا من حقنا طبعا ـ على ضوء أن شيخ الأزهر يؤدى دوره كموظف فى الدولة.. وكذلك الشيوخ الآخرون يخضعون لسخافات السلم الوظيفى التى لا يعلم بها إلا الله.. أما كونهم علماء فقد تضاءل إحساسنا بذلك كثيرا

والسبب فى ذلك منذ البداية.. هو شيخ الأزهر.

وبعيدا عن خلافات الشيوخ..

فإن إدارة شيخ الأزهر لمقابلته مع السفير الإسرائيلي ومن بعده كبير حاخامات إسرائيل كانت استفزازية.. مثيرة لأعصاب الجميع ـ صغاراً وكباراً ـ مهد الرجل لما حدث فقال «جاء اللقاء بالسفير الصهيونى بعد طلب السفير الصهيونى لمقابلتى ليسلمنى رسالة من «الياهو باكشى» كبير حاخامات إسرائيل يطلب فيها إصدار بيان مشترك يندد بالإرهاب.. المسألة بسيطة إذن..

وأضاف الرجل.. «لقد أبلغت السفير الإسرائيلى أننا أصدرنا بيانا بذلك منذ أكثر من شهر ونحن ضد الإرهاب أيا كان مصدره سواء فى مصر أو إسرائيل وهو الإرهاب الذى يؤدى لقتل النساء والأطفال، ولكن من يدافع عن حقه وأرضه ودينه لا يسمى إرهابا وإنما مدافع عن حقوقه.. ومن يفجر نفسه فى العدو الذى يقاتله فهو شهيد».

رائع جدا هذا الموقف من شيخ الأزهر..

لكن المواقف فى الغالب تحسمها الأفعال لا الأقوال.. فرغم أن الرجل أكد أكثر من مرة أن قتلى المقاومة الفلسطينية شهداء وأن إسرائيل دولة معتدية، لكنه [illegible] ـين ان يستقبل كبير حاخاماتهم.. وأين؟ فى الأزهر الشريف [illegible]

[illegible] ضد كل محاولات [illegible]

وعندما اعترض علماء الأزهر وشيوخه والناس فى الشوارع والكتاب فى الصحف.. وحتى الطلبة فى المدارس خرج شيخ الأزهر بألف ذريعة لتلك المقابلة.. كان أقساها وأعتاها.. أنه قابل الحاخام اليهودى تأسيا بالرسول فالرسول كان قدوته فكما قابل اليهود وعقد معهم صلحا فقد قابل الرجل اليهودى على حد قوله حتى يقنعهم أنهم على باطل..

منطق غريب جدا يا مولانا..!!

تقول ذلك رغم علمك الشديد بمن هم اليهود ـ لن نذكره طبعا برسالته التى حصل من خلالها على درجة الدكتوراه فقد كانت عن بنى إسرائيل فى القرآن ـ وتوالت صغائر الأمور.

فقد أعلن شيخ الأزهر أنه لا يعرف ماذا يقصد معارضوه بكلمة تطبيع.. وأنها كلمة مرفوضة بالنسبة له على كل الأصعدة.. رغم أن الرجل ومبكراً جداً كان مؤيداً للرئيس السادات عندما سافر للقدس وعقد صلحاً مع اليهود، بل كان من المؤيدين للتطبيع ـ أيامها كان يعمل فى السعودية ـ ومنعه من إعلان موقفه موقف من كان معه من علماء الدين الذين رفضوا السلام مع إسرائيل بكل صوره.. وظل محتفظاً برأيه ذلك خشية من رد فعل شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق على جاد الحق الذى كان يرفض التطبيع مع إسرائيل رفضا قاطعاً بل حرم الذهاب إلى إسرائيل أو القدس إلا بعد عودة الحقوق العربية، وكان الشيخ قد أعلن رأيه هذا وبمنتهى الصراحة فى مؤتمر قمة الشرق الأوسط الاقتصادية والتى كان يحضرها فى الدار البيضاء عام ١٩٩٤، وعندما زكاه الشيخ جاد لمنصب المفتى.. وأصبح المنصب بين يديه أعلن رأيه بصراحة فى السلام فقد أصبح فى منعة من غدر الآخرين بقوة منصبه وهو ما يعتقده إلى الآن..

وعندما تحدث شيخ الأزهر عن استقباله للحاخام اليهودى تحدث حديث المهتز القلق.. حديثا يبتعد كل البعد عن كونه حديثا لشيخ أزهر..

أذيع الحديث على قناة الجزيرة القطرية.. وبدا الحوار هكذا..

المذيع.. لماذا لم يحدث مثل هذا اللقاء من قبل..؟ ولماذا رفضه شيخ الأزهر السابق؟

شيخ الأزهر.. أنا فعلت ما فعلته اقتداء بالرسول الذى قابل اليهود وحاورهم، وعندما أقول لك الرسول لا تقل لى فلانا (فلان هنا طبعا هو الشيخ جاد الحق).. فهذا هو اجتهاده وهذا اجتهادى، وهو أن كل من لا يقابل أعداءه لكى يرد على شبهاتهم ويضع أصابعه فى عيونهم فهو (جبان)، واجتهادى نابع من كتاب الله الذى تحدث عن اليهود فى أكثر من ثلث القرآن، ولابد أن تعرف أنك تتحدث مع (صاحب رسالة الدكتوراه عنهم) تحدثت فيها عن كل دعاواهم الكاذبة وعقوبة الله لهم.

وهذه الرسالة ليست وليدة اليوم فهى قد نوقشت فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٦، ومازلت مؤمنا بكل ما جاء فيها، وما يحيرنى هو كلمة (تطبيع التى لا أعرف معناها حتى الآن).. فأنا لم آخذ تلموده فهو مجرد رجل جاء يعرض مقابلتى، فقلت له أهلا وسهلاً، أرفض مقابلته ليذهب إلى بلده ليقول شيخ الأزهر عجز عن مقابلتى؟ أنا لا أعجز عن مقابلة أحد لا هو ولا ألف واحد زيه، واللى بيقولوا تطبيع (ياريت ييجوا معاه هم كمان علشان يسمعوا أنا قلت إيه).. أنا قلت له عندما دعانى لزيارة القدس، وكان يجلس بجانبه السفير الإسرائيلى أنا لن آخذ التأشيرة من هذا السفير، أنا لن أذهب إلا بتأشيرة من السلطة الشرعية الوطنية الفلسطينية.

المذيع.. شاحار إيلان الصحفى الإسرائيلى قال فى الهآرتس «الحاخام فاز فى معركته الهامة على قلب الإسلام حين حظى بلقاء شيخ الأزهر ما ردك؟!

شيخ الأزهر.. هذا كلام يكذبه الواقع فأنا لم أطلب لقاء الحاخام، فهو الذى طلب مقابلتى، وخرج من المقابلة (وجهه كقفاه)، ومن يشهد للحاخام إلا واحد من أهله، وهذا الصحفى لم يكن معنا ولذلك فهو كاذب

المذيع.. هل هناك فائدة من لقائك هذا؟!

شيخ الأزهر.. طبعا فالنسبة لى شخصيا فقد أفحمته وبينت له أن الإسلام هو دين الحق (!!!) علامات التعجب من عندنا

المذيع.. لكن المعارضين يقولون أن شيخ الأزهر ليس مجرد شخص.. بل هو رمز للإسلام، ولذلك فهذه المقابلة ستفيد التطبيع.

شيخ الأزهر.. (برضه حيقول لى تطبيع).. يا ابنى التطبيع كلمة جوفاء فمن نقابله لا نتأثر به إنما نؤثر فيه

المذيع.. وما ردك على د. سليم العوا الذى قال أن اللقاء أخطر على العرب من كافة أشكال التطبيع؟

شيخ الأزهر.. (هذا منطق الجبناء).. (الأذلاء).. (السلبيين).. قل لصاحبك اللى بيقول الكلام ده أنه يقوله لأنه (جبان)، اما أنا فاقابله وأخرس لسانه وهل يستطيع د. العوا أن ينكر دينيا مقابلة الرسول لهم وذهاب ابى بكر لهم فى دارهم، وبعد هذا يقولون تطبيع.. تطبيع إيه؟(١)

المذيع.. ما رأيك فيما قاله مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٦ بعدم لقاء حاخامات اليهود؟

شيخ الأزهر.. بفرض صحة هذا الكلام فمن حقى أن أخالفه ورأيى ان كل من يرفض المقابلة لكى يصفع العدو على وجهه فهو (جبان) ولكن بشرط أن تكون المقابلة فى خدمة الإسلام.. فأنا قابلته لكى أرد على الشبهات وأقول له القدس عربية..

يكفينا هذا القدر من حوار الشيخ مع الجزيرة والذى نشرته مجلة روز اليوسف وإن كنت فى حاجة الى تعليق.. فأعد قراءة الكلمات داخل الأقواس لتعرف إلى أى مدى كان الرجل مهتزا.. ومتسرعاً.. ومتعديا على الآخرين.. فالمريب دائما يا سادة يكاد يقول خذونى..!!

انس تماما صراع الشيخ مع أقرانه بسبب هذه المقابلة.. والتفت إلى رد فعل الناس فى الشوارع والبيوت والحارات.. فقد سحب الشيخ من رصيده عندهم كثيراً.. ربما وهو لا يدرى.. وإن كنت أظن أنه يدرى لكنه لا يعبأ بشىء.. أى شىء..

لا يعرف أحد كذلك بالتحديد موقف شيخ الأزهر من حرية الفكر والتعبير فهو مثل الآلاف الذين يحترفون ترديد العبارات الإنشائية التى تؤكد حرصه على الحرية مستنداً

(١) وصل رفض شيخ الأزهر د. طنطاوى لمن يسألونه عن التطبيع إلى أن قال أن الذين يرفضون التطبيع تحت حذائى!!

فى ذلك إلى مرجعية إسلامية تعطى الحق لعباد الله - كل عباد الله - أن يفكروا بحرية ويتحدثوا بحرية مادام أنهم وقفوا تحت مظلة الإسلام لم يخرجوا عنها.. لكن حتى هذه لم يثبت فيها شيخ الأزهر.. وظهر موقفه يعانى من ازدواجية شديدة، فلم يقف الرجل موقفا يحسب له فى قضية نصر حامد أبوزيد الذى مزقوا كرامته إربا، وأهدروا حريته على قارعة الطريق يدوس عليها كل عابر سبيل مهما كان تافهاً وسخيفا وساذجاً، بل هاجمه وأهال التراب مع من أهالوه على وجه د. نصر، وفى الوقت نفسه يسمح وبمنتهى البساطة وسماحة النفس بنشر وتداول كتاب (صديقه) - والكلمة بين القوسين مهمة جدا - د. مصطفى محمود «زيارة إلى الجنة والنار» وهو كتاب وزع فيه د. مصطفى الهبات على عباد الله فأدخل من أراد الجنة، وأسكن من شاء النار، كتب الرجل بمنتهى الثقة.. وبمنتهى الاعتقاد أنه أصبح من أولياء الله الصالحين - ومن حقه إذن - مادامت رفعت له الحجب أن يفتى كيفما شاء.

رفضت الرقابة أن يحول الكتاب إلى مسرحية أخرج لهم د. مصطفى موافقة شيخ الأزهر صديقه د. سيد الذى أشاد بالكتاب ومدح ما جاء به، وكأنه بهذه الموافقة حصل على تصريح إلهى يجب أن يخضع له الجميع، مهما كانت أسبابهم منطقية وموجبة للرفض..

الأمر نفسه تكرر بعد أن سمح د. طنطاوى بتداول كتاب د. عبدالصبور شاهين «أبى آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة»، وهو كتاب به من الشطحات ما به، وما يحتم الوقوف أمامها ومناقشتها لا بغرض مصادرتها فنحن لا نريد ذلك ولكن ليعرف الناس الحقيقة.

ليس الهدف بالطبع مناصرة د. نصر أو إعادة فتح ملف قضيته، ما نرغب فى معرفته هو المعيار الذى يسمح على أساسه شيخ الأزهر بتداول كتاب معين ورفض آخر، فهل المعيار فى السماح بتداول الكتب التى تتعرض لمناطق شائكة أصبح هو صداقة شيخ الأزهر، فمادام مؤلفو هذه الكتب يستطيعون الجلوس معه والحديث إليه عن قرب، ويقنعونه بما قالوا.. تصبح الأمور كلها يسيرة وممكنة، حتى لو كانت الكتب تتعلق بمسائل غيبية..

وما يحير فى موقف شيخ الأزهر من حرية الرأى والتعبير أنه ليس واضحاً على طول الخط.. فهو مرة مع.. ومرة ضد.. ومرة بين بين!! وقد بدت هذه الحقيقة واضحة جداً عندما تفجرت أزمة رواية «حيدر حيدر» فى صيف ٢٠٠٠ فى القاهرة، ووقتها كان شيخ الأزهر فى السعودية يتسلم جائزة بصفته شيخ الأزهر، ولم يسمع الناس لكلمة من الرجل حتى عاد.. وساعتها قال من انتظر مجىء الشيخ.. وليته ما قال!!

لن نخوض فى تفاصيل رواية حيدر.. فهذا الحديث آخر.. ولكننا فقط سنمس الموضوع من زاوية ارتباطه بشيخ الأزهر ورجاله، فقد التفت المثقفون المصريون وقراء الصحف العاديون إلى ضجة بدأتها صحيفة «الشعب» من خلال مقال لطبيب أشعة يكتب الروايات ويدبج المقالات أحيانا استعدى الرجل فى مقاله أمة لا إله إلا الله كلها على وزارة الثقافة وكل العاملين فيها لأنها أعادت طبع رواية حيدر حيدر «وليمة لأعشاب البحر» وهى الرواية التى أصدرها الرجل فى بلده سوريا منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً.. وسبب الاستعداء أن الرواية كافرة وسافلة وتسب الله والرسول وتسخر من الإسلام.

ولأننا شعب طيب ومسالم ومتدين.. دون أن نقدم دليلاً محترماً على ذلك هب الجميع يطالبون برأة المؤلف والوزير والمسئولين عن النشر جميعاً. قال المثقفون كلمتهم رافضين تماما التحريض على المثقفين وتكفيرهم والتعامل معهم بأسلوب محاكم التفتيش التى انتهى زمنها وانقضت أيامها.. وتعشم المثقفون فى الأزهر خيراً.. وأنه سيساند قضية المثقفين وسيقول كلمة حق وينصف الرواية.. وجاء شيخ الأزهر ليتخذ قراره بتحويل الرواية إلى مجمع البحوث الإسلامية ليقرأها ويقول قولاً فاصلاً.

ولم يكن شيوخ المجمع فى حاجة لقراءة الرواية.. لأن ما كتبوه بعد ذلك هو نفسه ما قاله طبيب الأشعة فى مقال جريدة «الشعب»، وأصبح التكفير هذه المرة رسميا مشفوعاً بختم شيخ الأزهر.. الذى تبنى موقف مجمع البحوث الإسلامية من الرواية وأصبح يدافع عنه فى كل مكان، بل زاد على ذلك أنه طالب بأن يقرأ الأزهر أى عمل تنوى وزارة الثقافة طباعته لعل وعسى يكون له علاقة بالدين.. وعليه فالأزهر يجب أن ينظر ويراقب ويشطب.. فهو حامى حمى الدين.

موقف شيخ الأزهر جعله هدفاً لسهام المثقفين الذين وضعوا مناصرة حرية الرأى والتعبير هدفاً لهم وهاجموا الأزهر ورجاله وقارنوا بينه وبين الأزهر فيما انقضى من عصور، ويكتب د. جابر عصفور فى جريدة «الحياة» اللندية، وهو مثقف مصرى محسوب على المؤسسة الرسمية مثل شيخ الأزهر تماما.. ولئن كان الأول ينتمى لمؤسسة تنوير والآخر ينتمى لمؤسسة تضع القيود امام هذا التنوير.. يكتب الدكتور: «أتصور ان الأزهر عندما يضع نفسه موضع الحكم على الأعمال الأدبية، فإنما يسرف على نفسه ويسرف على الناس ويترك مهامه الأكثر اهمية لأعمال يمكن أن ينهض بها عنه نقاد أكثر دراية بمسالة الأعمال الإبداعية وشعابها المراوغة التى يمكن أن تضلل غير الخبير بها، وليت الأزهر يستكمل تحقيق التراث الإسلامى ونشره، وليته يواصل حلم الإمام محمد عبده بتجديد الفكر الإسلامى الذى ينبغى أن يتصدى بقدرة المعرفة المتطورة لحل مشكلات العصر الذى نعيشه.

د. عصفور ما كتب مقاله إلا ليصل حلمه فى أن يدعو الأزهر الناس إلى المجادلة بالتى هى احسن والكف عن استخدام لغة التكفير التى تشعل الفتنة بين أبناء الأمة. لقد أصاب الرجل فيما ذهب إليه، لكنه لم يصب قلب الداء.. فالمأزق أن رجال الأزهر وعلى رأسهم شيخه تحولوا إلى موظفين.. والموظف فى بلدنا دوره أن يطبق اللوائح ويحتفظ بصلاحياته حتى الموت، لكن أن يبدع أو يبتكر أو يضيف.. فما شاء الله أن يحدث ذلك.

مؤكد أن شيخ الأزهر فى كل هذه المواقف يتحرك من منطلق حرصه على الإسلام.. ولكن فى سلوكه من قضايا حرية الرأى والتعبير تبدو لنا بعض الازدواجية التى تحكمه. وإن كنا نرجح أن الأمر لا يتعلق بازدواجية كما يبدو.. ولكن الأمر يتعلق بطبيعة شيخ الأزهر. فهو لا يحب أن يكسر بخاطر احد، وكل من يقصد مكتبه لابد أن يخرج مجبوراً بشرط أن يكون شخصية مهمة، فمازالت أزمة تصريحات شيخ الأزهر للسفير الفرنسى تطن فى الآذان، فقد اقتحمت الصحف المصرية الناس فى الشوارع والبيوت بكلام قد يكون غريبا بعض الشيء، حيث صرح فضيلة شيخ الأزهر اثناء لقائه بالسفير الفرنسى الذى سأل الشيخ عن مسألة حجاب المرأة المسلمة فى دولة لا تدين بالإسلام قال الشيخ «إن المرأة المسلمة يجب أن تلتزم بتعاليم الدولة التى تعيش فيها، ويجب عليها ان تحترم

ما تصدره هذه الدولة من أحكام، فإذا كانت الدولة ترى أن الزى الإسلامى مخالف لتقاليدها وعاداتها فيجب أن تلتزم بذلك ولا تعارض».

تابع الناس هذا التصريح بدهشة. أصيحت تصاحبهم وهم يستمعون لمعظم آراء وفتاوى د. طنطاوى. طرحت التساؤلات.. وأثيرت علامات التعجب.. وحتى تهدأ الدولة من روع الناس خرجت جريدة الأهرام بخبر صغير فى صفحة الدولة تنفى من خلاله كل ما قاله د. طنطاوى، حيث أنه لم يدل بهذا الكلام ولم يقله ولا يعترف به وظنت الجريدة أنها انهت بذلك البلبلة والشغب الذى أحدثه تصريح شيخ الأزهر.

وكان الناس على موعد مع شيخ الأزهر بشحمه ولحمه وصوته وفى راديو لندن حيث قامت جيهان العلايلى مراسلة الراديو فى القاهرة بلقاء الشيخ ودار الحوار

جيهان.. قرأنا فى الصحف المصرية خبراً على لسان فضيلتك تقول فيه أن المرأة المسلمة يجب أن تلتزم بتقاليد وقوانين البلد الذى تعيش فيها؟!

شيخ الأزهر.. هذا صحيح فالمفروض أن المرأة المسلمة يجب أن تحترم وتلتزم بقوانين البلد الذى تعيش فيه لأن ذلك من تقاليد الإسلام.

جيهان.. ولكن قد تقضى هذه القوانين بأن تمنع المرأة المسلمة من الدخول إلى أماكن العمل والمدارس والجامعات إذا ارتدت الحجاب؟

شيخ الأزهر.. عليها أن تلتزم بذلك وترتدى فقط ما يسترها ولا يكشف منها سوى الوجه والكفين، لأن هذا ما وصانا به الإسلام.

جيهان.. ولكن قد يُمنع ذلك أيضا؟

شيخ الأزهر.. على المسلمة أن ترفع أمرها فى هذا الوقت للقضاء فى هذه الدولة، وتضع أمامه الأمر كله وهو الذى يفصل بين المرأة المسلمة والحكومة فى هذا الشأن، حيث إن الحجاب جزء من عقيدتها، وعليها بعد ذلك أن تلتزم بكلمة القضاء.

جيهان.. وإذا لم ينصفها القضاء؟

شيخ الأزهر.. عليها إذن ان تهجر هذه الدولة نهائيا، ولا تقيم فيها فأرض الله واسعة

وعليها أن تهاجر فى سبيل الله وتصل إلى أرض جديدة ليس فيها تضييق على المسلمين وهذا أمر ثابت فى الدين أيضا.

جيهان.. ولكن هؤلاء الناس قد استقروا ولهم أعمالهم، وكل شئون حياتهم فى هذه البلاد ومن الصعب أن يخرجوا منها أو يهجروها.. فماذا يفعلون؟

شيخ الأزهر.. الأمور واضحة وقد قلنا قبل ذلك.. ولابد من جهاد وتضحية.

ثم نقل أن الرجل فى غاية الطيبة فلم يرغب أن يغضب السفير الفرنسى فلو قال له ما يغضبه لأثر ذلك على العلاقات بين البلدين.. وهو لا يرضى أن تتأثر العلاقات.. أى علاقات..!!

لن نلتفت إلى المنطق الذى يفرض على شيخ الأزهر أن يقول أن السائحات يجب على الأقل أن تلتزمن بزى محترم وهن فى البلاد الإسلامية.. لأن عقيدة هذه البلاد تقتضى ذلك.. لكن تلك ثغرة.. وهذه أخرى، وشيخ الأزهر لا يجيد الحديث فى موضعين فى وقت واحد.

●●●

لا ينسى مولانا الشيخ بالطبع ما أثير حول إصراره على أن يتلقى الأزهر الشريف أموال الزكاة لينفقها فى مصارفها الشرعية، الأكثر من ذلك أن صراعاً مريراً وحاداً تفجر أكثر من مرة بين الأزهر ووزارة التأمينات الاجتماعية بسبب رغبة كل منهما فى تحصيل أموال الزكاة.. فكل منهما يسعى للانفراد بجمعها وصرفها.. ويقوم الأزهر بين وقت وآخر بالإعلان فى مختلف وسائل الإعلام لدعوة المواطنين إلى تقديم الزكاة للإدارات التابعة للأزهر.

الغريب أن شيخ الأزهر أثار حول نفسه كثيراً من الشبهات والغبار فالقاعدة الإسلامية تقول أن الزكاة يأخذ منها العاملون عليها، وشيخ الأزهر فى هذه الحالة من العاملين عليها وله نسبة من الزكاة إذن، وفسر البعض إصرار الشيخ على جمع الزكاة وعدم تنازله عن ذلك بأن نسبته من ذلك كبيرة..

يعلق على ذلك المحامى خليل عبدالكريم.. يقول «الذى نعرفه والناس كافة انه لا توجد مادة فى قانون الأزهر تبيح له جمع أموال.. تبرعات.. اشتراكات صدقات.. زكوات.. ومنذ صدوره لم يقدم أحد شيوخه قبل د. محمد سيد طنطاوى على هذا العمل المعجب.

ويضيف خليل «حتى إذا كان التهليب يستتر وراء آية القرآن فهل يجوز للأزهر أن يباشره؟ وفى المعجم الوسيط امتلب السيف من غمده: سله ولنضرب مثلاً توضيحيا.. هل يسمح للشيخ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ان يفتح بوتيكات على سور الجامعة بحجة ان الله أحل البيع وحرم الربا، وان تسعة اعشار الرزق فى التجارة وان أعيان الصحابة ومشاهيرهم وكبارهم كانوا تجاراً، وهم لنا كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا؟ فى الدولة الثيوقراطية من الجائز ان تعمل كل أياة ما تريد «فى القاموس المحيط الأياة = الهياة وزنا ومعنى لأن ما يسيرها هو رغبة منفذيها وأهواؤهم، أما فى دولة المؤسسات فإن السيد هو القانون وحده وأى مواطن فيها يخضع له حتى ولو كان إماماً أكبر.. أليس ذلك صحيحاً..؟

أما الشق الدينى فإن ما أقدم عليه الشيخ طنطاوى فهو يثير قضية هامة كتبنا فيها وفى «تاريخية النصوص»، فقد كان العاملون عليها أو المصدقون يبذلون فى جمع الزكاة أو الصدقة جهوداً مضنية سفراً بعيداً وشاقا، فى جو لافح وعبر مسافات شواسع وخدمة متعبة لإبل الصدقة بداية بطعامها وشرابها ومروراً بمداواتها بالقار «الزفت» عند مرضها إلى حراستها ورعاية صغارها.

لهذا فهم يستحقون الثمن، أما الجالسون فى الحجرات الأنيقة والمكاتب المكيفة الهواء والذين يسعى إليهم المتصدقون والمزكون، أو يرسلون لهم زكواتهم وصدقاتهم بحوالات أو شيكات فكيف تطلق عليهم وصف «العاملون عليها» فأى عمل أدوه وبالتالى كيف يستحقون ثمنها؟ ألم يتجاوز التطور التاريخى والتقدم الحضارى والاختلاف البيئى والبعد الزمنى مفهوم «العاملون عليها» مثل عشرات غيره من المفاهيم؟ هذه حقيقة يجب التسليم بها وإلا وقعنا فى هذه المفارقة الصارخة وهى المساواة بين المصدق الذى يقطع الصحراء فى الحر والقر ويطعم الإبل ويحرسها ويعتنى بها وبين الموظف المتكئ على كرسى وثير فى مكتب مكيف الهواء.

ولقد قرأت ـ الكلام مازال لخليل عبدالكريم ـ أن الزكاة المستحقة بخلاف الصدقات تبلغ إثنى عشر مليار جنيه وبهذا يصل سهم «العاملون عليها» ملياراً ونصف مليار جنيه، وحتى إذا تم تحصيل ربع هذا المبلغ أى ثلاثة مليارات جنيه فيغدو نصيب «العاملون عليها» ثلثمائة وخمسة وسبعين مليون جنيه، فكيف يستحل شيخ الأزهر وبطانته هذا المبلغ الجسيم أو حتى جنيها واحداً من أموال الفقراء والمساكين بحجة أنهم من «العاملون عليها».

الله أعلم بالطبع بنية شيخ الأزهر وتفكيره، لكن ما الداعى لإصراره على ذلك جالبا على نفسه الكثير والقليل من الشبهات.. مع علمه الشديد أن وزارة الشئون الاجتماعية هى الجهة الرسمية المخول لها جمع الزكاة من خلال بنك ناصر الاجتماعى الذى يقوم بذلك من خلال ٥ آلاف لجنة تابعة له ثم يقوم بإنفاقها على مساعدة اليتامى والأرامل والمطلقات والمساكين.. ولا مكان فى ذلك للعاملين عليها.. إصرار الشيخ يعكس بالنسبة لنا نحن صفة قد لا نصدق أنها من صفات الشيخ فالرجل عنيد .. وكان رده على المؤتمر الصحفى الذى عقدته الوزيرة ميرفت التلاوى مؤكدة أنه ليس من حق شيخ الأزهر جمع الزكاة.. أن كثف الاعلان عن تلقى الأزهر للزكاة..!!

●●●

موقف خاطف ولمحة سريعة نرصدها..

فالرجل ـ وربما عن غير قصد منه ـ يتم استغلاله بشكل سيىء.. فعلت ذلك وببراعة جريدة أخبار اليوم من خلال رئيس تحريرها إبراهيم سعده، فالجريدة تتبنى مجموعة من الأفكار التى تظهر للوجود فقط عندما ترغب الحكومة فى إظهارها.. خذ عندك مثلا مسألة تعاملات البنوك.. حلال أم حرام..؟ ثم شرعية ما يسمى بالبنوك الإسلامية..!! خذ عندك أيضا مسألة التبرع بالأعضاء البشرية، استخدمت الجريدة شيخ الأزهر كرأس حربة فى هجومه وشيخ الأزهر كعادته ـ التى لا يقطعها الله أبداً ـ كان كريما للغاية..

ففى حكاية التبرع بالأعضاء البشرية لم يكتف الرجل بأن أوضح حكم الشرع ولكنه أول من كتب تعهداً يتبرع بمقتضاه بكل أعضائه للمرضى بعد موته، وبصرف النظر هل أعضاء الشيخ ستكون صالحة للاستعمال أم لا فإن الرجل بالغ فى كرمه.

الأمر نفسه تكرر فى حكاية تعاملات البنوك فلم يكتف الرجل بأن أوضح حكم الشرع وإنما زاد على ذلك أن قال وبمنتهى البساطة ـ والصرامة ـ واصفا الدول التى يوجد فيها بنوكا إسلامية بأنها دول متخلفة.

يفعل ذلك شيخ الأزهر وكأنه لا يعرف أن هناك شيئا اسمه (اختلاف فى الرأى)، ويمكن أن يكون الرجل مخطئاً لأنه لا يتحدث بوحى من السماء فما يقوله مجرد اجتهاد. لكنه لا يكتفى بأجر واحد ـ مجتهد أخطأ ـ بل يصر على مصادرة الأجرين ـ مجتهد أصاب ـ ولذا يحارب الجميع من أجل إثبات صحة اجتهاده.

انتهت بنا اللمحة السريعة والموقف الخاطف.

●●●

العاصفة الأكبر التى أثارها شيخ الأزهر على نفسه كانت بسبب رغبته فيما يسمى بتطوير الأزهر.. أو استراتيجية النهوض بالأزهر.. ولخص الرجل ذلك فى نقاط محددة.

فقد طالب شيخ الأزهر بأن تكون مدة الدراسة فى المرحلة الثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات وذلك لأنه ـ كما قال ـ نطالب بذلك باسم العدالة والمساواة والرحمة بالطالب الأزهرى، لأنه ليس من العدل ولا من المساواة ولا من الرحمة أن تكون الدراسة فى المرحلة الثانية ثلاث سنوات فى وزارة التربية والتعليم وغيرها وتكون فى الأزهر أربع سنوات، وقد أرجع شيخ الأزهر هذا الطلب ـ إلى رغبة أولياء أمور الطلبة والطالبات الذين يدرسون فى الأزهر خاصة بعد أن تحول آلاف الطلاب والطالبات من الأزهر إلى غيره.

أكد الرجل أنه لا مساس بحفظ القرآن ودراسة المواد الشرعية واللغوية بجميع مراحل التعليم بالأزهر، حيث سيحافظ عليها محافظة تامة، ولن ينقص منها شيئا.. وإن كان لن يمنع ذلك من مراجعة هذه المواد وتهذيبها عن طريق الخبراء والأمناء.

كان من الممكن أن يطرح شيخ الأزهر وجهة نظره تلك للمناقشة فيشترك فيها الخبراء والأمناء كما يقول.. وعندما يصلون إلى قرار يكون القرار السليم لكن بمجرد أن اعترض بعض علماء الأزهر على رغبة الإمام الأكبر في التطوير انهالت عليهم سياطه وتتابعت كلماته التي كانت على النحو التالي.. وكما وردت في جريدة الأهرام.. قال عن معارضيه «منهم من يتكلم وهو لا يعرف شيئا عن الدراسة في الأزهر ومنهم من يتكلم بقصد المباهاة والتفاخر، ومنهم من يتكلم بما يخالف الحقيقة مع أنه يعرفها، ولكن سوء نية حمله على كتمان الحق، فهو ممن قال الله تعالى فيهم «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون».

وقال عنهم «كفوا عن القول بغير علم»

وقال عنهم «نقول لهؤلاء الذين لا صلة لهم بالأزهر وليس لهم أبناء او بنات بالأزهر، ولم يعرفوا كتابا واحداً من الكتب التي تدرس بالأزهر، نقول لهم ما دمتهم تجهلون الحقيقة فاسكتوا وكفوا عن دعواكم، ونقول لغيرهم ممن يعرفون الحقيقة ولكنهم يكتمونها لسوء نياتهم وخبث طوياتهم.. توبوا الى الله تعالى واتركوا هذا الجهر بالسوء».

وقال لهم «غدا ستلقى الله تعالى.. وسيحاسبنا جميعا على أقوالنا وأفعالنا، وسترى جميعا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا».

افترض شيخ الأزهر سوء النية واستبعد أن يكون من بين معارضيه رجل رشيد يعمل كما يعمل الشيخ من اجل دين الله فأخذ يكيل الاتهامات لمعارضيه فهم جهلة وجبناء ومتطاولون وعملاء ومرتزقة.. أصدرت جبهة علماء الأزهر بشكل عقلاني جدا بيانا استنكرت فيه ما يقدم عليه شيخ الأزهر من تطوير الأزهر، ورصدت له بعض ما يرفضونه في الكتب التي يدرسها الطلبة.. ومنها حسب ما ورد في البيان..

في كتاب اللغة الانجليزية المقرر على الصف الثاني الثانوي، الوحدة العاشرة من الدرس الثاني والعشرين تحت صورة لشباب وفتيات سافرات يرقصون.. جاء الحوار التالي بين شاب وفتاة.

الفتاة (للشاب سامي).. لازم نرجع الى الفندق الساعة الثامنة مساء لأننا سنرقص هذا المساء.. فيرد سامي: إذن هيا بنا.

وفي كتاب اللغة الإنجليزية المقرر على الصف الثالث الإعدادي عام وأزهري الدرس الثاني الصفحة الثانية عشرة جاء على لسان بطل القصة، والذي يمثل القدوة فيها قوله. لقد اعتدت أن أرقص كثيراً أما هذه الأيام فأنا لا أرقص لكنني ألعب العود.

وفي كتاب «التربية الوطنية» المقرر على طلاب السنة الأولى الثانوية الأزهرية والتربية والتعليم والذي يسخر من الأزهر وعلمائه ورسالته حيث يقول د. عبدالعظيم رمضان مؤلف الكتاب «إن الأزهر قد توقف عن الاجتهاد وتجمد على ما وصله من فكر القرون الماضية دون أن يضيف إليه شيئاً.. وإن المؤلفات التي تصدر عن علماء الأزهر تتسم بالتزمت وضيق الأفق وأنها لم تقدم جديداً، بل تدور حول ما سبقها في حلقة لا نهاية لها من شروح للمتون وشروح الشروح، وشروح لشروح الشروح.

ثم يقول «طريقة التعليم في الأزهر متفردة تقوم على حفظ نصوص دون فهمها وهي نفسها طريقة التعليم في الأزهر حتى الآن».

العلماء حاولوا أن يناقشوا شيخ الأزهر ويضعوا بين يديه أزمة الأزهر الحقيقية لكنه رفع في وجوههم السباب.. وما أكثره عند إمامنا الأكبر، كل هذا جعل موقف شيخ الأزهر ضعيفاً.

يتجرأ عليه الجميع..

يقولون رأيهم فيه بصراحة.. والأمثلة على ذلك كثيرة..

كتبت جريدة الأهالي:

«لسنا طرفاً في أية معركة يدخلها شيخ الأزهر ضد موظفيه بشرط أن تكون في قضية عادلة تنعكس على خير الإسلام والمسلمين.. ولسنا مع جبهة علماء الأزهر في المعارك التي تخوضها ضد المثقفين الذين ترى أن لهم أفكاراً لا توافق عليها.

ولكن عندما ترفض الجبهة مقابلة شيخ الأزهر للحاخام الصهيوني، وعندما تعارض مقابلته للسفير الصهيوني، وتصدر بياناً تعلن فيه رأيها، فإننا نؤيدها، ونخوض معركة إلى جانبها، لأننا نتصور أن هذا هو الموقف الصحيح، وأن الجبهة بذلك تكون معبرة ليس فقط عن الإسلام الصحيح الذي نعتنقه، ولكن أيضا عن نبض الشارع المسلم كله.

وتعيد الجبهة بذلك سيرة العلماء العظام الذين لم يخضعوا لسلطة، ووقفوا صامدين إزاء الإغراءات، يقولون كلمة الدين صادقة ومخلصة لوجه الله، ومن حق شيخ الأزهر أن يحيل من يشاء من العلماء إلى التحقيق، مادام يتصور أنهم موظفون تابعون لسلطانه وعاملون لديه، ومادامو قد ارتكبوا ما يراه من مخالفات إدارية، ولكن ليس من حقه أن يطلب التحقيق معهم لأنهم أبدوا رأيا إسلاميا وفقهيا يخالف رأي فضيلته، فمن واجبه أن يكون قدوة في تقبل الرأي والتشجيع عليه لأن هذا هو الإسلام وأن يكون قدوة في كلماته إزاء مخالفيه، ليس باعتباره مسلما ولا شيخاً للأزهر، ولكن باعتباره إماماً للمسلمين كما يطلق عليه».

نشرت جريدة الأهالي كلامها تحت عنوان العيب.. فقد ارتكب شيخ الأزهر العيب كاملاً من وجهة نظرهم.. ولو قال الإمام إن هذه الجريدة بنت «......» اتجاهها معروف فمن أعطاها السكين للطعان.. ومن منحها فرصة أن تعيب على شيخ الأزهر ما فعله.. والسؤال موجه لشيخ الأزهر نفسه.

إلياهو بكاشي، حاخام إسرائيل الأكبر في رسالة لشيخ الأزهر حملها سفير مصر في تل أبيب محمد بسيوني.. قال: «إن الفتوى التي ستصدرها ينبغي أن تقول فيها أن الدين الإسلامي يعارض قتل الأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن، وأن الله سوف يعاقب منفذي العمليات الانتحارية ولن يدخلهم الجنة.. هذه الفتوى سوف تمنع إراقة الدماء ستجعل السلام يحل في المنطقة والعالم كله..»

الرسالة مؤلمة، لكنها وردت للإمام وقرأها.. ولا عجب فقد هان أمر الإمام على نفسه فطبيعي جدا أن يهون أمره على الآخرين..

ووصل الرفض لمنتهاه عندما قدم أحمد الصباحي رئيس حزب الأمة المصري أحدث مشروعاته لتنظيم الحياة السياسية والدينية في مصر، حيث قام بتوزيع استمارة استفتاء تحت عنوان «مشروع مقترح لبلدنا بتنظيم القيادات الإسلامية بجمهورية مصر العربية» يطالب فيها بإلغاء منصب شيخ الأزهر ومفتي الجمهورية واختيار قيادة إسلامية جديدة تحت اسم «شيخ الإسلام» على أن يجري اختياره من هيئة كبار العلماء بمصر بالتعيين

بقرار جمهوري أو بالانتخاب بدرجة نائب رئيس وزراء..

مهما كانت آراء الرجل غريبة فسوف يسجل التاريخ أنه في عهد د. سيد طنطاوي طالب البعض بإلغاء منصب شيخ الأزهر تماماً

كل ما فعلته.. وتفعله.. يا مولانا شيخ الأزهر يقلل من هيبة الأزهر وشيوخه وعلمائه، فهل يمكن أن يبادر الرجل ويقدم استقالته وهو في كامل الاقتناع بأن ما يفعله هو الخير له وللعلماء ولكافة المسلمين، فالخلافات ستزيد يا مولانا.. والشقاق سيزيد.. والاتهامات ستزيد.. اترك الكرسي ودع الآخرين يفعلون ما عجزت أنت عن فعله.. فليس عيبا أن تعترف بأن الأحداث كانت أقوى منك.. ولكن العيب أن تضيع هيبة العلماء على يديك.

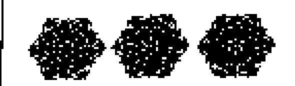
■■■

2

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

الإمام القادم



بعد أن توفى شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق على جاد الحق - مارس ١٩٩٦ - طفت مجموعة كبيرة من الأسماء رشحها البعض لتولى المنصب المهم والكبير، كانت قائمة الأسماء تضم د. محمد سيد طنطاوى - مفتى الديار وقتها - الذى فاز بها فى النهاية. طرح اسمه منذ البداية بسبب علاقاته الوثيقة والمتينة بمؤسسة الرئاسة وبمراكز صنع القرار فى مصر، وبالفعل أثبتت هذه العلاقات فعاليتها وحملت د. طنطاوى إلى كرسى المشيخة. وبدا المسئولون وهم فى غاية الثقة والاطمئنان، حيث أن د. طنطاوى - وكما عرفوه - كان طيعا للغاية ومثاليا للغاية وهو مفتى - ولن يتغير كثيراً عندما يصبح شيخا للأزهر - وهو ما حدث!!

الاسم الثانى كان لوزير الأوقاف د. حمدى زقزوق، وكان قد مضى عليه فى الوزارة فقط ٨٥ يوما، وترشيح د. زقزوق جاء طبيعيا للغاية لأن الشيوخ الثلاثة السابقين عبدالحليم محمود ومحمد عبدالرحمن بيصار وجاد الحق على جاد الحق كانوا يشغلون منصب وزير الأوقاف قبل اختيارهم لمشيخة الأزهر، لكن كانت هناك أسباب عديدة أضعفت فرصة اختيار د. زقزوق منها مثلاً أنه لم يكن يرتدى الزى الأزهرى والذى يعتبر شرطاً مسكوتا عنه ومتفقا عليه لمن يشغل منصب شيخ الأزهر.

ترددت كذلك بعض الآراء التى رشحت وعلى استحياء وزير أوقاف سابق وهو الشيخ الشعراوى، لكن سن الرجل الذى كان قد تجاوز الخامسة والثمانين لم تكن تسمح له بأن يتولى المنصب الذى يترتب عليه الكثير من المسئوليات التى تحتاج إلى صحة وعافية وسعة صدر، وهذه المواصفات كان يدخرها الشيخ - رحمه الله - لتفسير القرآن، فى

الوقت نفسه كان هناك عدد كبير من وزراء الأوقاف الذين كانوا يمتلكون لقب «وزير سابق . منهم د. إبراهيم الدسوقي مرعي الذي عمل وزيراً للأوقاف (١٩٨٢ - ١٩٨٤) ود. الأحمدي أبوالنور (١٩٨٤ - ١٩٨٦) ود. محمد علي محجوب (١٩٨٦ - ١٩٩٦)، وهؤلاء كانوا بعيدين كل البعد عن عين الحكومة من ناحية لأنهم لا يلتزمون بالزي الأزهري (باستثناء د. الدسوقي)، ومن ناحية ثانية أنهم كانوا وزراء في الدولة وقد خرجوا من الوزارة لسبب أو لآخر. وهو الشيء الذي يعني أنهم ليسوا مقبولين سياسياً، ومنصب شيخ الأزهر مهما كانت نزاهته واحترام الحكومة له، فلابد أن يكون من يتولاه مرضيا عليه سياسياً.

رؤساء جامعة الأزهر السابقون كانوا أيضا في بؤرة الأحداث وبرزت أسماؤهم بقوة فظهرت أسماء الشيخ محمد السعدي فرهود، ود. عوض الله حجازي، ود. عبدالفتاح الشيخ، وكان يتولى رئاسة الجامعة قبل د. أحمد عمر هاشم الذي كان مرشحاً هو الآخر لتولي منصب شيخ الأزهر.

فئة أخرى ظهرت عنها مجموعة أسماء لا نستطيع أن نتغاضى عنها، تلك كانت فئة وكلاء الأزهر. وظهر منهم الشيخ سيد سعود ولم يكن مستبعداً أن يتولى المشيخة خاصة أن هناك سابقة تولى أحد وكلاء الأزهر منصب المشيخة حدث ذلك مع الشيخ شلتوت (١٩٥٨)، حيث اختير وهو وكيلاً للأزهر شيخاً دون أن يمر بمنصب الوزارة.

بالاضافة إلى هذه الأسماء ظهر اسم الشيخ عطية صقر الذي كان يشغل وقتها منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، على المستوى السياسي كان عضواً بارزاً في مجلس الشعب وله علاقات طيبة بجميع المسئولين في قطاعات الدولة كافة، وهو ما جعله يجلس مع الشيخ الشعراوي على دكة واحدة.

من حقنا أن نطوى هذه الصفحة تماماً ونقفل كل هذه الأسماء ونترك قليلاً المادة رقم ١٠٣ من قانون الأزهر التي تنص على "يختار رئيس الجمهورية شيخ الأزهر ولا يعزل من منصبه، وتعالوا نناقش وبمنتهى الهدوء.. ونسأل عن شيخ الأزهر القادم.

لا نتدخل في مشيئة الله . فالأعمار بيده وحده . ولا نتدخل في رغبة الحكومة فعندما

يحين الأجل ستختار الحكومة شيخاً للأزهر يريحها، يسمع كلامها ولا يزعجها، لن نخوض في الأسماء.. فقط نضع من وجهة نظرنا بعض القواعد التي على أساسها يمكن ان يختار شيخ الأزهر.. الذي سيأتي بعد د. طنطاوي.. او اي شيخ أزهر في اي عصر..

اولاً.. يجب الا يكون شيخ الأزهر موظف حكومة.. لأن من يتولى هذا المنصب اكبر من أن يؤمر فيطاع، تكون له الصلاحيات كافة التي تمكنه من اداء وظيفته دون قيود أو عوائق، ويكفي ما يحدث الآن فكلما سألوا د. طنطاوي شيخ الأزهر عن شيء، ووجد أنه سيسبب حرجاً للحكومة يقول يا جماعة لاحظوا انني في النهاية موظف في الحكومة.. وهو بالفعل كذلك حيث يعيش حياة الموظف الحكومي بكل ما فيها من تفاصيل، التزام بالمواعيد، عدم التواجد في أماكن خارج العمل في الأوقات الرسمية إلا بخط سير.. والأفظع أنه عندما تختلط الأمور وتحتد المناقشات يترك الفتوى والكلام في الشرع. ليعود إلى قواعد وظيفته سالما ليقول أنه يختص فقط بالأشراف على شئون الأزهر وشئون المعاهد الأزهرية.. فهذه مهام وظيفته فقط، ومادام مولانا موظفا لدى الحكومة فهو لا يستطيع أن يعارضها حتى لا تأخذ على خاطرها منه.

ثانيا.. ليس شرطا أن يكون شيخ الأزهر القادم يرتدي الزي الأزهري، فالإسلام ليس زيا يرتديه العلماء، ولكنه معنى يحملونه في عقولهم وقلوبهم، لأن هذا الشرط حتى لو كان غير معلن يضيع الفرصة على الكثيرين من علماء الإسلام المجيدين المجتهدين فتبتعد عنهم المناصب الرسمية، لا لشيء إلا لأنهم يرتدون البدلة المدنية. ولا ندري صحة الشائعة التي تقول إن د. نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية عندما عين مفتيا كان يرتدي في الأساس البدلة المدنية لكنه خلعها وارتدى الجبة والقفطان ليصبح شيخاً أزهريا شكلا وموضوعاً، لا نستطيع أن ننفي او نؤكد، خاصة أن الشيخ نصر فريد لم يكن وجهاً إعلاميا معروفا قبل ان يأتي لدار الإفتاء!!

ثالثا.. لابد من التحديد الواضح والحاد لوظيفة شيخ الأزهر ودوره، فحسب قانون الأزهر، يختص شيخ الأزهر بشكل أساسي بالإشراف على التعليم الأزهري بداية من المعاهد الإبتدائية ووصولاً إلى جامعة الأزهر.. تأتي بعد ذلك عدة أنشطة تثقيفية يمكن أن يقوم بها شيخ الأزهر.

لكن الفتوى مثلا ليست من عمل شيخ الأزهر، فهناك منصب رسمى فى الدولة اسمه مفتى الديار . على الأقل حتى تنتهى المهزلة التى يشارك فيها شيخ الأزهر الحالى، فالرجل يفتى فى أى وكل شيء وعندما تحتدم المناقشات ويختلف الناس ويعترضون على آراء الرجل يتراجع سريعا ويقول بمنتهى الاستخفاف «فيه عندكم مفتى روحوا اسألوه».

رابعا.. بعد تحديد مسئوليات ووظيفة شيخ الأزهر القادم يجب أن يصيغ كل مواقفه ومواقف الأزهر بالتالى على أساس رأى الإسلام فقط، لكن ما تحتاجه السياسة شيء لا يجب أن يلتفت إليه شيخ الأزهر بشيء من القداسة والاحترام فيجب الا يظهر اللون الرمادى فى مواقف علماء الدين، فالاسلام إما مع أو ضد، لكن الآراء المتناقضة والأفكار الغامضة والقرارات المتعجلة فلا يعترف بها الناس، بل يعترضون عليها حتى لو كان اعتراضاً صامتا.. فهم يعترضون والسلام..

خامسا.. يطمع الشيوخ أن يكون شيخ الأزهر واحداً منهم يحافظ على هيبتهم وكرامتهم ويؤمن أن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.. وأن يسود خلافهم حكم العقل.. والسلام.

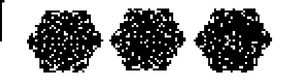
■■■



شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

حرب الشيوخ



جلس طالب كلية الصيدلة أمام شيخ المسجد يشكو له من ضيقه وضجره، فهو يعانى معاناة شديدة فأينما يولى وجهه يرى البنات . جميلات وغير جميلات . وهذا شىء يثيره جنسيا ويجعله يفكر فى الجنس ليل نهار، فإذا حاول أن يغض البصر وجد سيلا من البنات يهاجمنه فى أحلامه.. وبأوضاع غاية فى الإثارة، والعاقبة فى كل مرة تكون وخيمة ومبتلة، تحدث طالب الصيدلة بصراحة . وإذا قلت لماذا طالب صيدلة بالذات أقول لك لأن الموقف حقيقى وحدث بالفعل . وكان فى شكواه معبراً عن أزمة كثير من زملائه الشباب.

قال كلماته وألقى الكرة كلها فى ملعب شيخ المسجد ووقف يستمع لرأى الدين فى هذا الموقف وقال الشيخ «النبى قال من استطاع منكم الباءة فليتزوج ولأن الطالب لم يكن يملك شيئا انتقل الشيخ إلى الدرجة الثانية، فمن لم يستطع فعليه بالصوم وعلق الشاب أنه بالفعل يصوم ولكن الصوم لا يؤثر، لا يقدم ولا يؤخر معه، بالطبع العيب ليس فى الصوم ولكنه فى الشاب، لكن الأمر فى النهاية تقرير واقع لا أكثر.

ووصل الشيخ إلى حل وسط قال عليه: «عليك إذن بالصبر» قالها الشيخ ميتسما وكأنه وصل إلى حل عبقرى، لكنه فوجىء بالشاب يقول له.. وإلى متى هذا الصبر..؟! فرد الشيخ والله مش مبقول أقول لك روح إعمل اللى أنت عايزه، وربنا سيغفر لك.. فالدين واضح.. والحلال بين والحرام أيضا بين.

هذه واحدة.

وواحدة أخرى كان بطلها شيخ مسجد وقف يخطب الجمعة والموضوع كان واحداً من الموضوعات الكلاسيكية التى لا يكف خطباء المساجد عن التردد عليها، كان عن عقوبة

ترك الصلاة، وكانت هذه بعض كلمات الرجل؛ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صارخاً بأن أباه مات ولكنه لا يجد من يصلى عليه لأن الناس رفضوا حتى الدخول عليه. فطلب النبى من أبى بكر وعمر أن يذهبا ليصليا عليه، لكنهم عندما ذهبا وجدا أن الرجل قد تحول وهو على فراش الموت إلى خنزير، ففزع أبوبكر وعمر وعادا إلى النبى يخبرانه بحال الرجل، فذهب النبى إليه ولما سأل ابنه عن عمل الأب الميت قال له الشاب «لقد كان تاركا للصلاة يا رسول الله».. فدعا له النبى أن يغفر الله له.. فعاد إلى صورته الأولى.. وصلى النبى عليه وقام بدفنه..

وهذه ثانية وأخيرة

نهدف فقط من سرد القصتين أن نضعهما أمام أعين شيوخ مصر الكبار ليطلعوا إلى أى مدى وصلت الحال بشيوخ المساجد.. وإلى أى درجة تدنت عقولهم.. وذلك لأن الشيوخ الكبار تجاهلوا كل مصائب الدعوة وما فيها من عيوب وثغرات وتفرغوا لمعارك وحروب هلامية.

وهذه بعضها..

ملاحظة:

قبل الولوج إلى ساحة الحرب.. تبادل علماء الأزهر وشيوخه اتهامات من قبيل جاهل.. كلامه فارغ.. وتخيل لقد تراشقوا بالكفر فيما بينهم وربنا يمسيك بالخير يا د. نصر يا أبوزيد!!

رأى أعلنه د. عبدالمعطى بيومى وكتاب أصدره جمال البنا، د. عبدالمعطى والذى يشغل حاليا منصب عميد كلية أصول الدين تحدث عن دعوته إلى ضرورة وجود منهج فقهى جديد فى الأبحاث الفقهية وكل ما يتعلق بالثقافة الإسلامية بشكل عام، حيث أن المنهج المتبع حاليا فى بحث أمور المسلمين وخاصة ما يستجد منها هو أن يسرع الفقهاء إلى الكتب القديمة ويبحثون فيها عن الحل.

فإن قابلهم الحل كان خيراً وبركة، وإن لم يقابلوه وقعوا فى مشكلة حيث يتنازعهم تقديسهم لكتب الفقهاء من ناحية، وهذه المشكلات التى تطل أعناقها على الناس من ناحية ثانية، وفى هذه الحال بالتحديد نرى حربا مشتعلة بين أصحاب الفتاوى، وقد

كانت هناك ظاهرة هى أنك كنت تجد رجلاً يدخل مبنى مشيخة الأزهر، وبعد قليل يخرج متجها إلى دار الإفتاء كى يطلب الفتوى على نفس المشكلة التى سبق وسأل عنها فى مشيخة الأزهر، وأغلب الظن أن فتوى الأزهر لم تعجبه، ولا ينس الناس أيضا غاية الخلافات بين شيوخ الأزهر وعلمائه فى أمور مستحدثة مثل أرباح البنوك ونقل الأعضاء وأطفال الأنابيب، فكل هذه أمور مستحدثة ولم يكن يعرفها أبو حنيفة والشافعى ومالك وابن حنبل.

هذا المنطق يجعل من الخطأ أن نقدس كتب المذاهب القديمة، وعليه فيجب أن نضع القرآن والسنة فى مكانهما، ونضع إلى جانبهما العقل الذى يستطيع أن يفكر ويجتهد مع اختلاف الظروف والأزمات والأماكن والمشكلات، وبذلك يمكن أن يضاف إلى الاجتهادات السابقة اجتهادات معاصرة تفصل بها فى مشاكلنا. فليس من العقل أن نستدعى آراء الفقهاء القدماء ليحكموا بها على مشاكلنا فى نهاية القرن العشرين.

أما جمال البنا - وهو بالمناسبة وإن لم يكن لذلك معنى - شقيق مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا . ومن خلال كتابه «نحو فقه جديد».. يدعو إلى إعادة النظر فى الأحاديث النبوية الشريفة حيث هناك أحاديث لا يقبلها العقل، وضعها بعض الذين اندسوا بين صفوف المسلمين وكان غرضهم تشويه هذا الدين فهى أحاديث وضعت من أجل مصالح معينة، هذه الأحاديث يجب أن تعرض على القرآن الكريم ولا يظل ثابتا لدينا سوى ما يوافق القرآن وما يقبله العقل، ويرفض البنا أن نسلم بمسألة وجود ما يسمى بالاجماع ففى رأيه أنه ليس هناك شىء اسمه إجماع فى وقت من الأوقات. والمثال لدينا فى موسم الحج الذى يجمع كل المسلمين نعم، لكن كل منهم يؤدى المناسك بطريقته ولا يوجد إجماع على شىء.

ومن أجل أن يدعم البنا كلامه ساق الكثير من الأدلة والبراهين مهاجما فى ذلك الجميع، فالمفسرون عنده ليسوا على صواب دائما، فكل منهم يفسر القرآن على هواه وحسب رغبته ومصلحته وظروف مجتمعه الذى يعيش فيه والأمثلة على ذلك كثيرة فابن كثير مثلاً كان شيخاً سلفيا ولذا تجد تفسيره غارقا فى السلفية كلاماً وآراء، وسيد قطب

من خلال ظلال القرآن الذي كتبه تجد تفسيره غارقا في فكرة الحاكمية التي كرس حياته من أجلها، بل دخل السجن وأعدم بسببها.

ويؤكد البنا في كتابه انه يحترم السنة النبوية ولا يطالب بنفيها كلية، فليس من العقل أن يقول احد بذلك خاصة إذا كان دارساً وعالماً بأهمية السنة النبوية كمصدر من مصادر التشريع، لكنه فقط يدعو إلى إعادة النظر في السنة النبوية حيث ان فيها ما هو تعبدي يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالحياة كالمعاملات ومنها ما يتعلق بالسياسة والحكم، والواقع فعلاً هو أن الفقهاء قديمهم وحديثهم اهتموا بالعبادات واهملوا المعاملات، ولنا أن نتخيل أن هناك أحاديث تهتم بدخول الرجل الحمام بقدمه اليسرى، واحاديث تتحدث عن عذاب القبر، ولا تجد أثراً لمن يتحدث عن كيفية نهوضنا من المنزلق الذي نقع فيه حاليا.

دخلت د. آمنة نصير في الخط وهي عميد كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف وتتعامل معها الصحف في مصر على أنها فقيهة ذات رأي وشأن.

د. امنة قالت رأيها فيما قاله جمال البنا.. قالت «من يرفض غربلة الأحاديث يعتبر جاهلاً ولا يعرف طبيعة الفكر الإسلامي، فالإمام أبوالفرج بن الجوزي وهو فقيه مهم في كتابه «الموضوعات» مكون من ٣ أجزاء، الاف الأحاديث الموضوعة وهذا كان في القرن السابع الهجري. ولو فعل هذا في عصرنا لحاربه المتطرفون واتهموه بالكفر والالحاد، ولقالوا إنه منكر للسنة، وقبل ذلك قام البخاري بغربلة الأحاديث التي كانت في حوزته وهي تتجاوز الـ ٦٠٠ ألف حديث، ولو صنع فقيه في عصرنا مثل ما صنع لقالوا عنه إنه منكر للسنة وملحد، وعليه فكل الأحاديث يجب أن تخضع للعرض على القرآن فما يتفق معه على العين والرأس، وما يختلف معه فهو موضوع ولا يعمل به..

وجاوزت د. امنة ذلك إلى رأيها في أحاديث بعينها. فبالنسبة لرجم الزاني فهذه العقوبة تخالف النص القرآني الذي تحدث عن جلد الزاني، ويجب أن نعلم أن عقوبة مثل الرجم كان يجب أن يشير إليها القرآن الكريم، كذلك يجب أن نتوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المرأة بدءاً من خلقها من ضلع أعوج، وانتهاء بوصفها بنقصان العقل والدين،

فهذه الأحاديث تصادم روح القرآن ومبادئه السمحة التي ساوت بين الرجل والمرأة في الخلق والتكوين والمهام وعمارة الكون.

ما يثير العجب أن هذه الدعوات ليست جديدة، فالدكتور عبدالمعطى بيومي منذ كان معيداً في كلية أصول الدين وهو مهتم بالبحث عن شكل جديد للفقه الإسلامي، لكنه لم يكن قد وصل بعد إلى الصيغة التي يعبر بها عن هذا الشكل، كان ذلك في أواخر الستينات، تحديداً عندما بدأ في إعداد أطروحته لنيل درجة الدكتوراه، الموضوع كان «تجديد الفكر الإسلامي في العصر الحديث»، المشرف عليها كان الإمام الأكبر د. محمد عبدالرحمن بيصار الذي تولى مشيخة الأزهر في فترة من فترات حياته. وكان متجاوبا جداً مع تلميذه عبدالمعطى حيث كان يرى أن دعوته لإيجاد صيغة جديدة للفقه الإسلامي دعوة تستحق الاهتمام، الطبيعي والذي يؤكد العقل حدوثه هو أن د. عبدالمعطى كان طوال حياته يتحدث إلى الطلبة الذين يحاضرهم عن مذهبه وتفكيره في إيجاد منهج جديد في البحث عن المسائل الفقهية، معنى ذلك أن هذا الكلام الذي يطرحه حاليا د. عبدالمعطى لم يكن كلاماً شيطانياً ولكن له أصول وجذور.. لماذا الاعتراض عليه إذن؟

هذا واحد من الأمثلة الكثيرة التي ستقابلك وأنت تستعرض معارك الشيوخ الجوفاء!!

جمال البنا هو الآخر. ٧٤ سنة. درس التجارة لكنه وكما يقول قرأ كثيراً من الدراسات الإسلامية بما يؤهله لأن يجتهد ويفتي ويدرس، هو الآخر لم يكن كلامه شيطانياً أو بدون أساس وأصول، فقد أصدر عام ١٩٤٦ كتابا بعنوان «نحو ديمقراطية جديدة» وكان في هذا الكتاب واضحاً في دعوته لأن يكون هناك فهم جديد للدين يناسب روح العصر الذي نعيشه والذي له متطلبات لم تكن في العصور السابقة. ذلك يتطلب دينا جديداً بالطبع ولكنه يحتاج لفهم جديد للدين، وفي عام ١٩٧٢ أصدر كتابا بعنوان «روح الإسلام» وأكد فيه على المعنى الذي طرحه قبل ذلك بـ٢٦ سنة كاملة، وهو ضرورة أن يعيد الناس فهمهم للدين فهو ليس مجموعة من الأوامر والنواهي فقط، ولكنه دين سماوي فيه علاقة ثنائية بين العبد وربه ليست قائمة على القهر ولكن قائمة على الحب، وعليه فروح الإسلام هي التي يجب أن تحكم وليست نصوصه فقط التي هناك شك فيها

وخاصة الأحاديث النبوية التي وضعت في أوقات معينة وتحت ظروف معينة.

ورغم أن هذا الكلام ليس جديداً على د. عبدالمعطي والبنا، لكنه أثار كثيراً من الزوابع والعواصف الترابية على وجه الرجلين، ولم يشفع لهما أنهما يتحدثان بمنتهى الهدوء عن أفكارهما التي لا يريدان من خلفها سوى الاصلاح إن استطاعا، انهالت على رأسيهما الاتهامات، وحتى تعرف طبيعة العلاقات بين الشيوخ وكيف تدار الخلافات الفكرية بينهم، عليك فقط أن تستمع إلى الاتهامات التي وجهت إلى الرجلين.. وهي جملة لا تفصيلاً.

اتهم كل من الرجلين بأنهما طعنا في تراث الأمة وتعرضا بشيء من الاستخفاف والسخرية لرموز الإسلام الكبار والفقهاء العظماء خاصة الأئمة الأربعة مالك وأباحنيفة والشافعي وابن حنبل، حيث يريدان نفي جهود هؤلاء الفقهاء وإلغاء كل ما قدموه من اجتهاد بدعوى أن نفي جهود هؤلاء الفقهاء وإلغاء كل ما قدموه من اجتهاد بدعوى أن هذه الاجتهادات لم تعد تصلح لا من قريب ولا من بعيد لهذا العصر الذي نعيش فيه.

اتهما كذلك بأنهما صغار، فما حجم كل منهما حتى يقدم بجرأة يحسد عليها مثل هذه الدعوة، فهما لا يعرفان حجم الكارثة التي يمكن أن تترتب على كلامهما خاصة وأن عامة الناس لا يقبلون كلاماً من هذا النوع على أئمتهم الكبار خاصة الأئمة الأربعة فقد ترسخ في عقول الناس أن هؤلاء هم علماء الأمة وليس من العقل أن نهدم هذه الرموز.

اتهما أيضا بأنهما يسعيان خلف الشهرة، وحيث أن مبدأ خالف تعرف هو أقرب طريق إلى أن يعرف الناس ما يحدث، فقد خرج كل منهما بدعوات هي أقرب ما يكون إلى الشاذ من الطبيعي. فهما يعرفان جيداً أن هذا الكلام سيثير عليهما القيل والقال من علماء الدين ويكون ذلك سببا لأن يهتم عامة الناس بهذا الكلام، ويكون ذلك هو المدخل الذي لا يخيب إلى الشهرة وأجهزة الاعلام والصحف التي ستسعى خلفهما، هذا فضلاً عن رغبتهما الدفينة في أن يكونا شهداء رأي خاصة أنهما طوال طول عمرهما لا يعرف أحد عنهما شيئاً صغيراً أو كبيراً، وقد عز عليهما أن يصلا إلى هذه السن وليس لهما من الشهرة نصيب.

الاتهام وصل إلى أن الرجلين يريدان إفساد الناس على العلماء، فما دامت الدعوة تنصب على إعمال العقل وعدم الاعتماد بشكل كلي على الأئمة والفقهاء، فإن كل من هب

ودب سيجد في نفسه القدرة على التفكير والفتوى والاجتهاد، ولن يكون هناك احترام من الناس لعلماء الدين، ولا ما يقولون وفي ذلك إفساد وتخريب لأمور العقيدة الإسلامية، فليس للعامة أن يكون لهم نصيب في الاجتهاد، لأنهم لا يمتلكون شروطه والطريق السليم للدعوة هو أن يظل لعالم الدين مكانته التي يحترمها العامة ويقدرونها وينظرون إليها باحترام وإجلال فليس معقولاً وبعد هذا الكم الهائل من الاجتهادات والآراء الفقهية التي تغطي مختلف القضايا يأتي عامة الناس ليعترضوا ويرفضوا حديثا نبويا شريفا لا لشيء إلا لأنه لا يوافق العقل.

ذهب بعض الشيوخ إلى أن ما قاله الرجلان مجرد كلام فارغ وهذا التعبير حقوق نشره محفوظة للمفتي وحده، حيث وصف كلام البنا بأنه كلام فارغ، في حين ذهب بعض العلماء الآخرين إلى أن كلام الرجلين لا يعدو أن يكون كلاما تافها ولا يستحق عناء الرد عليه، ولا ندري بالتحديد ماهي المعايير التي على أساسها يحكم علماء الدين عندنا على كلام أحد العلماء بأنه تافه أو فارغ.

هل لأن الكلام يخالف ما يذهبون إليه فقط ولذا فهو تافه وساقط ويستحق الرجم، أم لأنه يهدد مصالحهم ويزحزحهم من مواقعهم ولذا فهم يدافعون عن ذلك بكل ما يملكون من كلمات براقة وغير براقة، مهذبة وغير مهذبة؟ وعندما يختلي كل منهم بنفسه لا يجد عليها حرجاً فيما يفعل فهو يعتقد تماما انه يدافع عن دين الله بكل ما يملك، لكن هل هذا حقيقي؟ ذلك شيء لا يعلمه إلا الله..!!

السؤال الأهم من اتهامات الشيوخ.. ومن خوفهم على مناصبهم ونفوذهم، هو لماذا يرفض علماء الأزهر وشيوخه أن يجتهد البعض؟ أراني مغالياً في تفاؤلي عندما أقول إنهم يرفضون الإجتهاد، فهم يرفضون حتى الكلام عن هذا الاجتهاد فهم يرفضون كلام د. عبدالمعطي والبنا، يرفضون حتى مناقشة الرجلين فيما يقولان. يا جماعة اجلسوا معهما يمكن أن نصل لشيء مفيد، لكن هذا الشكل من المصادرة مقيت وعنيف واسمعوا لي لا يتفق مع الإسلام مطلقاً.

يمكن أن نصل لسببين أساسيين يفسران رفض علماء الدين لاجتهاد الرجلين بالذات.

الأول.. أن الرجلين غير متخصصين فالدكتور عبدالمعطي تخرج من قسم العقيدة

والفلسفة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وتخصص بعد ذلك في علم المناهج وهذا العلم كما يفسره العالمون ببواطن الأمور وظواهرها يمثل التوظيف الفلسفي للفقه والقواعد الكلية الفقهية. وجمال البنا درس التجارة بما يعني من وجهة نظر علماء الأزهر انهما غير متخصصين في الفقه، ولا صلة لهما به وعليه فلا يحق لهما الاجتهاد وهو كلام إلى حد بعيد قاصر، ولو كانت المسألة بالتخصص لفرضنا على كل علماء الأزهر ان يثبتوا انهم كفاءة في تخصصاتهم، فالتخصص لا يعني أن أكون حاصلاً على شهادة معتمدة من جهة علمية فقط، فكثيرون هم من درسوا في الأزهر لكنهم فيما درسوه - وعفوا لقسوة التعبير - في تخصصاتهم أجهل من دابة، ثم إن د. عبدالمعطي وهذا بشهادة المقربين منه رجل على درجة كبيرة من العلم والتفقه في الدين، ويتوجه له الكثيرون سواء كانوا صحفيين أم رجال إعلام أم حتى من عامة الناس ويسألونه في أمور دينهم ودنياهم، ويجدون عنده إجابات شافية وافية، ولا يمكن أن ينكر أحد علماء الدين أن د. عبدالمعطي درس الفقه في سنوات دراسته في جامعة الأزهر، وهو ما يكون أساساً للبحث والقراءة والاجتهاد أيضا، فهو ليس قادماً من الشارع، وبدلاً من أن نختلف حول هل من حقه أن يجتهد أم لا.. نختلف معه فيما اجتهد فيه وهل هو صحيح أم خطأ.

البنا هو الآخر لم يسقط على رؤوس الشيوخ بالباراشوت، ولكنه رجل له مؤلفاته وكتبه التي صدرت منذ عام ١٩٤٦، وطرحت هذه الأفكار فيها فهي ليست جديدة، هذا السبب يجعلنا نتجرأ ونقتحم هذا الحصن الذي يقبع خلفه علماء الأزهر.. فلماذا يصمتون على أفكار منشورة وكلام يتردد على آذانهم مادام أنه في حيز ضيق لا يعرفه إلا القليل من الناس؟ وبمجرد أن يخرج للناس وتكتب الصحف ويخرج المجتهدون كي يتحدثوا مع الناس في المساجد والندوات تشهر الأسلحة في الوجوه ويجرجر العلماء إلى الشوارع وتصب على رؤوسهم اللعنات والاتهامات بالكفر والزندقة؟ وهذا أيضا سؤال نحتاج الاجابة عليه.. فهل نطمع أن نجدها عند أحد.. أي أحد من علماء الأزهر.

السبب الثاني.. وقد يكون مضحكاً بعض الشيء، فعلماء الأزهر يرون أنه لا يوجد حاليا عالم تتوفر فيه التقوى والورع الذي كان في شخصيات الفقهاء السابقين، وهو ما

يقف حائلا دون أن يجتهد أحد حاليا، يمكن ان نكتفي بالكلام عن هذا السبب، حيث تظهر سذاجة منطقه، واسمحوا لي يا سادتي شيوخ الأزهر الكرام ان استعير كلمتكم «تافه» لأصف هذا المنطق وهذا التبرير، فمن الذي يقيس درجة تقوى الناس وإيمانهم وورعهم ليحكموا ان من حقهم أن يجتهدوا أو يمتنعوا عن الاجتهاد، نريد ان نفهم فقط. هل اعتراض شيوخ الأزهر الأفاضل لوجه الله فقط، أم هناك أسباب أخرى ؟

وهذا سؤال ثالث ننتظر إجابته..!!

ما يجعلنا نسأل هذا السؤال بالذات هو الشعور بأن علماء الأزهر وشيوخه، يحاولون أن يعثروا على «القطط الفطسانة» في كلام د. عبدالمعطي والبنا، فالمهم ان يظهروا ان كلامهما خطأ وجهل وفساد والسلام، ويظهروهم أمام الرأي العام كعامل هدم وتخريب وأصحاب أفكار فاسقة يريدان أن يسوقا بها الناس إلى النار وبئس المصير.

الوضع في مجمله لا يسر.. فشيوخ الأزهر حزبان

مجموعة صغيرة تؤيد كلام الرجلين ويفعلون ذلك على استحياء ويصيغون كلامهم بشكل مؤدب ومهذب وعاطفي وكأنهم يعتذرون عنه قبل أن يقولوه، وكأنهم يقولون والله لم يكن قصدهم وإن كانت نيتهم خيراً وهؤلاء الشيوخ ليسوا قادرين على المواجهة، ولكنهم مقتنعون بما ذهب إليه الرجلان.

الحزب الأكبر والذي وقف على رأسه المفتي يهاجم بشراسة ويرفض بضراوة ويذهب في عناده إلى أبعد مدى، وعلى كل حال فهذه عادة المفتي ولن يشتريها، وتصور أن المفتي يطالب بمصادرة كتاب البنا «نحو فقه جديد» والسبب في رأيه لأنه خطر على عقيدة الناس وعباداتهم..!!

وأضاف المفتي د. نصر فريد واصل لافض فوه أن د. عبدالمعطي والبنا لا يعرفان الفرق بين الفقه والشريعة وهذا هو السبب في هذا الخلط الذي وقعا فيه، ومع احترامنا الشديد لكلام المفتي لكنه كلام مطلق لا نستطيع أن نعتمد عليه في فهم وحسم هذه الحروب التي كشفت عن سطحية شديدة يرقد عليها بعض شيوخنا.

الأغرب من ذلك كله كان موقف شيخ الأزهر د. طنطاوي الذي لم نسمع صوته في

هذه المعركة، وذلك على غير عادته، ظهر د. طنطاوى فى مشهد واحد، فعندما احتدمت المناقشات فى قاعة الإمام محمد عبده فى جامعة الأزهر، كل ما فعله د. طنطاوى وكان حاضراً أنه أنهى المحاضرة وأنهى المناقشات حتى لا تحتدم ويثور الشيوخ بعضهم على بعض خاصة أنهم لم يتورعوا عن وصم بعضهم البعض بالكفر وإفساد الدنيا والدين. لا نستطيع أن نوصف فعل شيخ الأزهر ولكن نسأله لماذا يسكت ويترك شيوخ أزهره يتناحرون ويختلفون والمفروض أنه كبيرهم؟ وهذا هو رابع سؤال وموجه مباشرة وفقط إلى شيخ الأزهر.

بنظرة سريعة وشاملة يمكن أن نقول ان الأمور لا تبشر بخير ولا تبعث على التفاؤل، فإذا كان هذا هو حال شيوخ الأزهر الذين هم القدوة والمثل، وإذا كانت المهازل تضم المفتي وشيخ الأزهر.. فمن سيفصل فى الخلاف إذن؟ ولماذا لا يراعى المختلفون الله فى عباده الضعفاء الذين لا يهمهم سوى أن تصح عبادتهم القليلة ويتقبلها الله. أما خلافات الشيوخ فليرحمنا الله من سخافتها.. وليرحمهم من تفاهتها.

د. أحمد صبحى منصور أحد خريجى جامعة الأزهر وأحد الحاصلين على الدكتوراه منها.. يرى علماء الأزهر وشيوخه أنه ابن غير بار للأزهر «لا تهمنا تفاصيل حياة الرجل ولا خلافاته السابقة. ما نتذكره فقط هو معركته المفتعلة.. وتوقعوا خطورة المعركة.. لقد كانت عن عذاب القبر والشجاع الأقرع، أدارت جريدة الميدان المعركة بشكل مستفز يتضح منه أنها ترغب فى «ربكة» . والمعنى مقصود . المجتمع فقد رأى القائم على الجريدة . مع أنه صحفي محترف . أن الشجاع الأقرع وعذاب القبر من القضايا المهمة والمؤثرة فى مصائر الناس.. ولذا أفرد لها مساحة كبيرة كانت موضوعات أخرى . أهم وأجدى . أحق بها.

يقول د. صبحى «السنة الحقيقية هى اتباع القرآن، والقرآن يؤكد على أن النبى لا يعلم الغيب ولا يتحدث عن الغيبيات، إذن فالسنة الحقيقية للنبى تخلو من حديث له عن عذاب القبر وغيره من الغيبيات، ذلك هو ما نستخلصه من القرآن العزيز، وأن علماء الأصول يقررون أن أمور الغيبيات لا تؤخذ إلا من القرآن والحديث المتواتر، وحيث أن الحديث المتواتر لا وجود له عند أغلب المحققين، وحيث أن من اثبت وجود بعض

الأحاديث المتواترة فليس منها شيء من عذاب القبر، لذلك فالأحاديث الأخرى أحاديث الآحاد ليست مصدراً معتمداً لإثبات عذاب القبر أو نفيه.

يضيف د. منصور.. أن هناك ابعاداً نفسية لعقيدة عذاب القبر والثعبان الأقرع لأن تركيز الانتباه على الجسد واهمال النفس يجعلنا نسيء فهم الموت ويجعلنا على استعداد لتصديق الأساطير عن الموت وعذاب ما يعرف بعذاب القبر. فالذين تتعلق عيونهم بالمحتضر على فراش الموت ولا يرون فيه الا مجرد جسد يموت يتعاظم لديهم الاحساس بفظاعة الموت ومنها يترجمون حركات الذي يجود بأنفاسه الأخيرة ويحسبون تقلصات وجهه على أنها الم شديد ومعاناة هائلة وكلهم يخشى على نفسه تلك اللحظة.. هل تريد اكثر.. خذ عندك.

يقول د. صبحي «حين يضع الناس الجسد فى الحفرة لا يعلمون أنهم يضعون ثوبا باليا كانت فيه النفس وتركته، ولا يعلمون أن الشخص الحقيقى أو الذات الحقيقية للإنسان قد غادرت ذلك الجسد أو تلك السوأة وأن مصير ذلك الجسد هو العودة للتراب والصورة المثلى لعودته للتراب أن يكون جزءاً من التراب، أى دفنه فى التراب. ويرون الجثة الميتة هى نفس الشخص العزيز لديهم قد أصبح أسير حفرة فى باطن الأرض ويتخيلون ما يحدث له فى هذا السجن الضيق الانفرادى الذى يخنق الأنفاس.

وتأتى كلمات النهاية على لسان د. صبحى «إنك إذا كنت تريد أن يتحول قبرك إلى فندق خمس نجوم فتبرع يا أخى بكذا، وإلا فإن الثعبان الأقرع فى انتظارك. وهذا يكون طبعا عن طريق القصاصين (شيوخ المساجد) الذين يجلسون فى المساجد وحولهم الناس يستحوذون على ألبابهم بالحكايات والأقاصيص والأساطير والتركيز على التخويف والإنذار والترهيب من عذاب القبر والآخرة، وحتى الآن فإن دعاة التطرف يركزون فى الخطب والكتابات على عذاب القبر والثعبان الأقرع وعذاب الآخرة ليشيع الإرهاب الديني فى النفوس ومن ثم يسهل لهم السيطرة على الناس».

أنكر د. منصور وفى ضربة واحدة.

١ ـ عذاب القبر بالكلية.

٢ ـ لا يوجد مايسمى «الشجاع الأقرع» فهو محض خيال وأسطورة»

٣ ـ لا ذكر لسكرات الموت، فما يحدث مجرد تقلصات.

يهز الرجل برأيه هذا ثوابت اعتاد الناس على الاعتراف بها والتسليم بوجودها دون مناقشة.. كان من المنتظر ان يهب الشيوخ والعلماء ليردوا على د. صبحى ويلقمنوه حجراً.. شيئا من هذا لم يحدث.. لسبب بسيط ان الشيوخ زهقوا من شطحات الدكتور وخوضه فيما لا يفيد.

وإن كـــان ذلك لم يمنع أن ترد إلى الجـــريدة بعض الردود، من بينهـــا رد من د. عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى أستاذ بجامعة الأزهر قال «هناك موضوعات ثلاثة أشار إليها جماعة من الصحابة إلى أن الناس سيختلفون فيها، وحدث ذلك وتم التنبيه إليه فى صدر الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمور الثلاثة هى رجم الزانى والشفاعة وعذاب القبر، وذكر سيدنا عمر وجمع من الصحابة أن الناس سيختلفون فى هذه الأمور، وهذا ما أشار إليه الفاروق وفعلا قد حدث، ففى الأونة الأخيرة تطالع انكسار هذه الأشياء صراحة وعلى صفحات الصحف، وأننا نود من منطلق إيماننا بالله وتصديقنا لما جاء به رسول الله نقول..

إن عذاب القبر امر ثابت وواقع أيدته النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية وهو اشهر واظهر من أن يجحد أو ينكر، ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب». فالآية تبين لنا أن قوم فرعون يعرضون على النار للعذاب مرتين كل يوم فى الصباح والمساء، ويستفاد من ذلك قوله تعالى «غدوا وعشيا» أى فى الصباح والمساء ثم بعد ذلك تشير الآية إلى أن هؤلاء القوم يدخلون النار يخلدون فيها، وكان الآية فى بدايتها تشير إلى عذاب القبر وهو المعروف بمرحلة البرزخ وتشير فى نهايتها إلى الخلود فى نار الجحيم والآية صريحة فى الدلالة على عذاب القبر ومن يقرأها بتعقل وتدبر يصل إلى الحقيقة.

وأما من نصوص السنة فيقول النبى صلى الله عليه وسلم «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» وهناك حديث ظاهر الدلالة والمعنى فى هذا الموضوع، وهو

الحديث الذى ورد بشأن الرجلين اللذين مر النبى على قبريهما فوقف ووقف أصحابه واضطرب حتى ارتعش كم قميصه فقال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، اما أحدهما فكان يمشى بين الناس بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، فهذه النصوص كلها تدل على وقوع العذاب فى القبر».

ليس مقصدنا بالطبع أن نبين هل هناك عذاب قبر أم لا.. فهذا موضوع آخر ليس من اختصاصنا تماما، نحن نضع أيدينا فقط على داءات علماء الدين فى خلافاتهم وفى القضايا التى يهتمون بها، لذا كان طريفا وسخيفا فى الوقت نفسه ما فعلته الصحيفة عندما نشرت فى تحقيق بذل المحرر فيه مجهوداً كبير وقالت للدكتور. صبحى.

عفوا د. منصور هؤلاء الترابية قابلوا الثعبان الأقرع..

وإليكم التفاصيل.

أحد الترابية قال «جاءوا بميت كى ادفنه وعرفت انهم وضؤوه باللبن وكان الميت من الذين يحضرون الجن والعفاريت فوجدت خشبته التى يحملها الناس تمشى فوق رؤوسهم كانهم لا يحملون شيئاً، وبعد أن دفنت الميت وخرجت فإذا بى فى اليوم التالى ادخل هذه المقبرة فوجدت هذا الميت فى صورة جحش فقمت بإبلاغ ابن هذا الميت وقلت له لو مش مصدق تعالى معى لأريك ماهو عليه وفعلاً دخلنا القبر فوجد والده على صورة جحش كما قلت له وبجواره علبة فقام بفتحها وخرج منها جنى وقال أنا حكمت على والدك كما حكم على فى الدنيا وسخرته وخليته على صورة جحش، فخرج الابن للناس وقال والدى طلع نصاب ودجال ومشعوذ وليس شيخا يسخر الجن بل هو الآن جحش(!!)

وعلامات التعجب من عندنا طبعا

زوجة أحد الترابية كان أبوها ترابياً أخذت تروى هى الأخرى قالت «كان والدى يقوم بدفن ميت وكان المكان مظلماً لدرجة كبيرة يستحيل رؤية أى شىء فطلب من والدتى مصباحاً: فإذا بها تجد مصباحاً من يمينها ومن خلفها ومن شمالها ومن امامها، فأسرع أهل الميت بقولهم بشهدنا يا عم الحاج إن عملك كويس»..

وقال أهل الميت انه كان يعطى الناس صدقات بدون أن يعلم بها أى شخص وظل قبر هذا الرجل زمنا ورائحته طيبة.

تربى آخر . تأتى قصته على الجرح . قال «أثناء دخولى القبر لدفن ميت وجدت أمامى ثعبانا أقرع وكانت أول مرة فى حياتى أرى ثعباناً بهذا الحجم والشكل فى القبر.. وأيقنت أن هذا الثعبان ملك من الملائكة فقلت له هل يمكن أن أدفن هذا الميت ثم أخرج وأتركه لك. وقمت بأعمال الدفن وخرجت بظهرى كما نفعل، فرأيت الثعبان يدخل داخل الكفن ولا يظهر منه شيء..»(١١١)

مرة أخرى علامات التعجب من عندنا

المستفز والذى يعد استخفافا من نوع خاص ما ختمت به الجريدة موضوعها والختام بالنص . هذا كل ما تم خلال لقائنا بالترابية وذكروا أشياء يشيب لها الرأس لكن طلبوا منا عدم ذكرها لأنها أسرار إلهية لا يجب الخوض فيها كما أنها انتهاك لحرمة الميت..

والآن بعدما عرضنا . والكلام للجريدة . هذا الموضوع هل يستطيع أحد أن ينكر عذاب القبر؟!!

أسلوب صبيانى للغاية ذلك الذى كتب به الموضوع فأحمد صبحى منصور يتحدث عن نصوص وآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.. بل تطور الموضوع عندما تدخل فيه شيخ الأزهر الذى قال أنه لا يجوز إنكار معلوم من الدين بالضرورة ورد د. صبحى ليؤكد أن عذاب القبر ليس معلوماً من الدين بالضرورة، وتدخل المعارض القبطى الذى كان يملأ الدنيا كل الصحف جعجعة بلا طحن القس إبراهيم عبدالسيد ليؤكد أن الأقباط عندهم عذاب قبر وإن كان يختلف فى أن عزرائيل لا يتواجد فيه عندهم، وبعد هذا الجدل الفكرى تستند الصحيفة إلى ترابية أغلبهم غير متعلم.. فى تفاصيل كلماتهم سمعت من زميل لى.. عرفت من تربى آخر. وكان من الممكن أن يريح المحرر نفسه تماما ويقابل أى شخص مصرى عادى جدا لا تربى ولا يحزنون.. ويسأله عن عذاب القبر فسيسرد عليه كثيراً من هذه القصص الذى يسبقها بكلمات مثل سمعت.. عرفت.. قالوا لى..!!

السبت ١٣ إبريل ١٩٩٩. جريدة الأهرام.. د. مصطفى محمود وكلام هذا نصه.. «ما ترويه الأحاديث عن أن محمداً سوف يخرج من النار كل المسلمين بذنوبهم فلا يبقى فى النار واحد قال لا إله إلا الله ولو لمرة واحدة فى حياته هى أحاديث تخالف صحيح

القرآن، فالنبى فى القرآن يشكو أمته ولا يتوسط لمذنبيها فيقول لربه «يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» وهى شكوى صريحة وكلام مناقض لأى شفاعة، ولن ينجو من المذنبين إلا من تكرم عليه رب العزة وفتح له باباً للتوبة قبل الممات..

ويكمل د. مصطفى: «الشفاعة بمعنى إخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنة هى تشبه فوضى الوسايط التى نعرفها فى عالمنا. ولا وجود لها فى الآخرة. وكل ما جاء فى الأحاديث بهذا المعنى مشكوك فى سنده ومصدره لأنه يخالف صريح القرآن والله يقول فى آية شديدة القطع «له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع، ومالهم من دونه ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً» فالقرآن يقول فى قطعية واضحة أن الله لا يشرك فى حكمه أحداً.

ويصل د. مصطفى لمنطقة خطيرة عندما يقول «نحن نقرأ كتب السيرة . قصد الرجل بها كتب الحديث . بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل ومحفوظ من عند الله، والله لم يقل لنا أنه تولى حفظ هذه الكتب، وهو لم يحفظ إلا القرآن وكل ماعدا ذلك من كتب يجب أن تخضع للنقد مهما عظم شأن أصحابها».

د. مصطفى محمود الذى ينظر له عامة الناس فى مصر على أنه مفكر إسلامى ويحسبونه على قائمة الشيوخ المعممين ورجال الأزهر . رغم اقترابه من سن السبعين لكنه مازال قادراً على لملمة الأضواء كلها وجعلها مركزة عليه وحده، دون أن يشرك فيها أحداً حوله.. وهذه المعركة التى بدأها . كان يعلم أنها ستعيد إليه بعضا من البريق الذى انطفأ فى السنوات الماضية.

ركز د. مصطفى على قضيتين:

الأولى.. إنكار تام للشفاعة فليس هناك ما يسمى بشفاعة النبى للمذنبين من أمته..

الثانية.. ضرورة إعادة النظر فى كتب الأحاديث التى درج الناس على أنها صحيحة وعلى رأس هذه الكتب البخارى ومسلم.

لم يجد د. مصطفى مؤيدين لرأيه إلا القليل جاء على رأسهم بالطبع د. أحمد صبحى منصور الذى قال «أنا أتفق تماما مع د. مصطفى محمود فى حديثه عن الشفاعة، فأحاديث الشفاعة تعارض نصوص القرآن، فالنبى نفس بشرية ينطبق عليها قوله تعالى

«يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه».

ثم خرج بعد ذلك طابور طويل قلب الدنيا على رأس د. مصطفى.. وجاءت الأسماء د. محمد سيد طنطاوى، د. نصر فريد واصل، د. يوسف القرضاوى، د. حمدى زقزوق، د. أحمد عمر هاشم الذى هاجمه بقوة، وتصور أن شيوخاً كثيرين للغاية وقفوا على المنبر وهاجموا ما ذهب إليه د. مصطفى ولسان حالهم يقول للرجل.. لأ يا د. عيب اختشى، لكن د. مصطفى لم يعترف بأن ما فعله عيب وعليه فلم يختش.. وعن طريق المتعهد الرسمى لكتبه قطاع الثقافة بأخبار اليوم أصدر كتابا بعنوان «الشفاعة». يؤكد فيه من جديد أنه على صواب.. كل الصواب.

وكما أصدر الدكتور كتابا خرجت عدة كتب ترد وتقاوم.. وتقول له بل يا دكتور أنت على خطأ.. كل الخطأ. كان من الكتب كتاب بعنوان «الرد على د. مصطفى محمود فى إنكار الشفاعة» ومؤلفه كما هو على غلاف الكتاب «الأستاذ الدكتور عبدالمهدى بن عبدالقادر بن عبدالهادى.. ود. عبدالمهدى الذى اختار أن يكتب إسمه على الكتاب بشكل تراثى. لا ندرى لماذا؟ هل سيصدقه الناس إذا كتب اسمه بهذه الطريقة؟ هو أستاذ فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر وأجمل د. عبدالمهدى أخطاء د. مصطفى والتى كانت كالتالى:

١ ـ الاستدلال من القرآن الكريم بأن من دخل النار لا يخرج منها وبالتالى فلا شفاعة، بل يخرج أحد من النار لا بشفاعة ولا بغيرها، وطريقته فى ذلك أنه أخذ الآيات التى فى خلود الكافرين فى النار وجعلها على المسلمين حتى يثبت أنه لا خروج من النار، وبالتالى فلا شفاعة، أما الآيات المثبتة لخروج المسلمين من النار، وكذلك الأحاديث فتنكر لها.

٢ ـ الاستدلال بآيات القرآن الكريم الواردة فى نفى الشفاعة للكافرين، أخذها فاستدل بها على نفى الشفاعة عموما للمسلمين وللكافرين، ولما استعصت عليه بعض آيات لم يستطع حملها على نفى الشفاعة تعسف وفسر الشفاعة بأنها البشارة، وهذا تفسير شخصى منه لا يتفق مع الآيات ولا مع الأحاديث ولا مع اللغة العربية.

٣ ـ فسر آيات الشفاعة تفسيراً خاطئاً ثم راح بناء على ذلك يخطىء فى حق القرآن الكريم.

٤ ـ لم يقتصر على موضوع الشفاعة وإنما راح يطعن فى السنة النبوية وأن أحاديثها مدسوسة، وأن المسلمين حنطوا أنفسهم فى نصوصها وانهال على العلماء تجريحاً وسبا.

٥ ـ فى سبيل نفى الشفاعة استجاز لنفسه الكذب على رسول الله فكذب حديثا عليه صلى الله عليه وسلم وهو «من يترك العمل ويتكل على الشفاعة يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله».

وهذا الحديث لم يجده د. عبدالمهدى فى أى شىء من كتب السنة، لا فى الصحيح ولا فى الضعيف، ولا فى الموضوع، ولو وجده فى الموضوع لالتمس لدكتور مصطفى عذراً حيث أنه غير متخصص فى الحديث.. لكنه غير موجود من الأساس، وهذا الحديث مكذوب لأنه ليس فيه خصائص الأسلوب النبوى ومعناه خطأ، وليس فيه حتى خصائص أسلوب الوضاعين.

وكان ختام الرد على د. مصطفى محمود هكذا ونصا.

دكتور مصطفى إذا كان هذا مستواك الإسلامى فأنصحك ابتعد فلست أهلاً للكتابة فى الموضوعات الإسلامية لقد تجرأت على القرآن الكريم وأهنت سنة رسول الله وكذبت على رسول الله واحتقرت الأئمة الأعلام.

هل انتهت المعركة..؟!

نعم انتهت والنتيجة لا شىء. ولا يستطيع أحد أن يلوم فيها د. مصطفى محمود فالرجل من ناحية قال رأيه الذى يعتقده ودلل عليه بما فهم من القرآن والسنة، ومن ناحية ثانية يواصل هوايته فى إثارة المعارك الفكرية حتى لو كانت تافهة وسخيفة.. لكن الملوم حقا هم الشيوخ الذين يكيلون بمكيالين.. فماذا فعل نصر أبوزيد قياساً بما فعله د. مصطفى محمود ود. أحمد صبحى منصور. ونضرب ذلك مثالاً فقط.. فلو كانت تهمة نصر أنه أنكر القرآن وسخر من سنة النبى.. فالدكتوران لم يفعلا إلا ذلك. الفارق أن نصر فعل ذلك بروح الباحث المجتهد الذى يعشق دينه.. بينما صبحى ومصطفى فعلا ذلك من باب الوصاية على الناس وبشىء فيه الكثير من استعراض العضلات عليهم

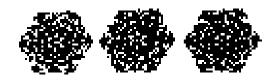
وعلى الشيوخ الذين لم نجد من بينهم شيخا رشيداً يقف وقفة حق لا فى معركة تكفير نصر ولا فى معركة الطبطبة على د. مصطفى محمود الذى رغم كل ما يقوله ورغم ما فعله على مدار تاريخه من أكاذيب ينظر له عامة الناس فى مصر على أنه مفكر إسلامى ويحسبونه على قائمة الشيوخ المعممين ورجال الأزهر!!

■■■

4

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

حروب صغيرة



فى رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوى صورة جادة وساخرة للغاية فبعد أن وقعت جاموسة مسعود أبوقاسم فى الساقية واجتمع الفلاحون كى يخرجوها، وقف شيخ المسجد الشيخ الشناوى ليقول للجميع، حاسب يا واد، حاسب منك له، أوعوا تقربوها لأحسن تفرقوها، اقروا الفاتحة أن ربنا ينتع الجاموسة الفاتحة لها يا أولاد.. وحاول الشيخ الشناوى أن يروى حكاية تشجعه فاستطرد قائلا.. دا مرة بقرة سيدنا موسى.. ولم يكمل فقد اندفع مسعود أبوقاسم فنحى الشيخ بعيداً وأوشك أن يوقعه فى البئر ويصيح.. ما تغور بقى يا سيدنا.. يا شيخ غور، فاتحة إيه وبقرة سيدنا موسى إيه، اجروا يا جدعان.. انزلوا يا رجالة.. حوشوا يا أولاد يا خراب بيتك يا مسعود يا أبوقاسم.. ياحش وسطى، يا ضياع شقا العمر كله . يا كسرتى يانه..

هذه الواقعة إذا كنت قرأتها قبل ذلك، أو قرأتها الآن فقط، فإنها لابد أن تقتحمك وأنت تتصفح كتاب «أمثال شعبية فى قفص الاتهام» لمؤلفه محمد كامل عبدالصمد، اسم المؤلف هنا لا يهم، المهم هو ما كتبه فى كتابه والذى يعتبر حربا صغيرة ليست على الشيوخ، ولكن من شيخ على الأمثال الشعبية.

فقد رأى أن الأمثال الشعبية تدخلت إلى مدى بعيد فى حياتنا، وصار لها تأثيرها الخطير لاسيما فى حياة الناس العامة، حيث تجد ولعهم بالأمثال لدرجة أن جعلوها قاعدة للسلوك ومعجماً للأخلاق والمعاملات، فقلما يقصون حديثا أو يعرضون أمرا إلا وأيدوه بمثل هو زبدة الحديث وجوهر الأمر.

ولما رأى المؤلف ذلك بدأ يعرض للأمثال الشعبية من منطلق إسلامى وظل طوال كتابه

يقيس كل مثل شعبى على معايير الإسلام وقيمه وأخلاقه كما يراها، ومع كل مثل يقول هذا يرفضه الإسلام، وهذا مخالف للأسلام، وهذا معارض له، وقبل أن تصادر على مجهود المؤلف لابد وان نؤكد أن هناك أمثالاً شعبية تحتك بكتفها فى قيم الإسلام وللمؤلف حق بالفعل فى التصدى لها وكشف زيفها.. وهذه بعض الأمثلة.

● اللى فينا فينا ولو حجينا وجينا، وهو ترنيمة قبيحة لا تخلو من الجهر بالسوء الذى جبلت عليه النفس، ولو أدت أسمى المناسك وهو الحج وذلك بعدم تغيير أخلاقياتها وسلوكها إلى احسن وافضل مما كانت عليه، والمثل فيه إصرار غريب على الذنوب وعدم التوبة منها كما امرنا الله تعالى فى قوله «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون».

● ما بقاش فى العمر ما يستاهل التوبة.. ورغم أن هذا المثل غير شائع بدرجة كبيرة لكنه موجود، والمعنى انه لم يبق من العمر ما يمكننى أن أعمل فيه من الصالحات واتوب واكفر عما فات، فدعنى فيما أنا فيه فإن المدة الباقية غير كافية ولا تستحق التوبة، وهذا المثل يكتنفه روح القنوط من رحمة الله بما تحول بين العبد وربه وهو ما يتعارض مع قول الله «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم» وهذا المثل مدعاة للانصراف عن التوبة للذين يريدون ان يستغفروا الله ويتوبوا إليه كما أراد الله من عباده.

● ارقص للقرد فى دولته.. ويدعو هذا المثل إلى التلون بوجهين والمداراة بإخفاء ما نبطنه وإظهار غيره، وذلك ما ذمه الشرع الحكيم فى قوله تعالى «يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول.. وكان الله بما يعملون محيطاً».

هذا ببساطة منطق ومنهج الكاتب فى كل الأمثلة التى تناولها فى كتابه والتى بلغت ١٢٩ مثلاً، فهو يذكر المثل ثم يقول إنه يعارض روح الإسلام والدليل لديه فى كل وقت جاهز. وإذا جئنا إلى الحقيقة لوجدنا أنفسنا بالفعل فى حاجة لمن يذكرنا دائما من باب ان الذكرى تنفع المؤمنين، لكن ما نتأكد منه تماما اننا لا نريد من يملى علينا رؤيته

الخاصة التى تفتقد للمنطق ويظل ينذر فى الناس صباح مساء، يحول افعالهم مهما صغرت إلى مخالفات ومعاص وذنوب جلبا لغضب الله على هؤلاء الذين لا تخرج من افواههم إلا الذنوب والمعاصى.

وتعالوا نناقش المبدأ.. ونسأل لماذا يتحدث الناس عادة بالأمثال، من وقت لآخر نجد من يردد على رأى المثل، وعادة من يردد الأمثال كبار السن اولئك الذين جربوا الحياة وجربتهم الحياة، عادة ما يذكر الإنسان مثلا معينا للتعليق على حادثة وقعت أمامه وينطبق عليها المثل، ويكون فيه بعض من الحكمة وخبرة السنين، وبعد أن يقال المثل ينتهى الأمر فلا احد يعتقد فى مثل، ولا احد يأخذ قراراً بناء على مثل، بدليل ان الأمثال لا تقال إلا بعد وقوع الأخطاء.. يعنى على رأى المثل «بعد الفاس ما توقع فى الراس».

ينطلق مؤلفنا من قاعدة أن المثل الذى يعارض الإسلام ويخرج عن روحه وتعاليمه، يصبح ناطقه خارجا عن الملة، لذا فهو لا يتورع أن يصف مثلاً معينا بأنه مثل فاسق، او مثل فاجر، أو مثل يتجرأ على قدسية الله ومقامه، وتخيل لو أن جدتى او جدتك أو أى شخص كبير فى السن قلت له إنك إذا قلت مثلا، أدينى عمر وارمينى البحر تكون قد تعديت حدودك وتجرأت على صفات الله.. تخيل ما سيقوله لك... إنه بالطبع سيندهش ويفكر ثم يفكر، ثم يصل فى النهاية إلى أنك مجنون أو لا تفهم مثلا، لأن هذا الشخص الذى يردد هذا المثل ستجده أيضا لا يكف عن ترديد اسم الله، ويؤدى كل ما عليه من فروض فكيف يكون إذن عاصياً او مذنباً أو أى وصف آخر يقترب به من مساحة التكفير والنار؟

وحتى نتعرف بدقة على هذه الحرب التى أعلنت فجأة على امثالنا الشعبية من خلال هذا الكتاب الذى اصدرته دار الاعتصام، تعالوا نضع كتاب الأمثال العامية الذى وضعه أحمد تيمور باشا كمرجعية لنا، ونحن نقرأ أسباب الرفض لبعض أمثالنا الشعبية، واعتمادنا على تيمور لا يعنى أن الرجل حجة وأن ما يقوله صحيح وغيره يكون خطأ.

ولكن أولا.. لأن مؤلف «أمثالنا الشعبية فى قفص الاتهام» اعتمد بالدرجة الأولى على كتاب تيمور، ثم إنه نقل بعض تفسيراته للأمثال ثم اعترض عليها بعد ذلك.

وثانيا .. لأن المقارنة بين تناول تيمور للأمثال الشعبية وتناول كامل عبدالصمد لها يكشف عن الفارق بين العقلية التي تحترم النص لكنها تدرك احتياجات الناس وتدرس حياتهم ثم تعرف دوافع الناس فيما يقولونه ويفعلونه، والعقلية التي تقدس النص وتقذف به في وجوه عباد الله الضعفاء ولذا فكل ما يقولونه حرام، وكل ما يفعلونه حرام، وكل ما يفكرون فيه حرام.

وخذ عندك على ذلك امثلة كثيرة ومفزعة

● «لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل» يقول أحمد تيمور عنه أي لا رحمة منه ولا يترك رحمه الله عزوجل تحف بنا، أي لم يقتصر على المنع وحسب، بل مانع فيها ينالنا، من غيره وهو قريب من قولهم «لا منه ولا كفاية شره» انتهى كلام تيمور ويبدأ الآن كلام عبدالصمد يقول «يقصدون من المثل إنه لا رحمة منه ولا تترك رحمة الله تنالنا ومن الغريب الذي لا يعقل أن نردد مثل هذا المثل الفاسق» الذي يتجرأ على مشيئة الله عزوجل فيمنع ما أراده. هذا المثل يرفع من مقدرة من لا يرحم من البشر لدرجة أنه يستطيع أن يحول دون رحمة الله أن تصيب من يشاء من عباده.

إن الأدب مع الله عزوجل يتطلب التدقيق في اختيار الكلمات والمعاني التي نتلفظ بها في جميع أحوالنا ليمتلئ القلب منه مهابة والنفس له وقاراً وتعظيماً، إذ ليس من الأدب في شيء أن نستخدم كلمات مجازية تتناول الذات الإلهية ولو لم يكن القصد واقعاً، وصدق الله إذ يقول «مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً».

قطعا ستقول هذا كلام جميل ومقبول، لكنه أيضا يلوى ذراع الكلمات ليخرج منها بمعنى على مزاجه الخاص فيظل يهاجم الناس، فهو يقول لهم أنتم تقصدون كذا، وهذا الكذا حرام دون أن يعرف لماذا قيل مثل هذا المثل، ففي حياة الناس بالفعل من يحجب الرحمة. ليس بمعنى أنه يعطيها او يمنعها، ولكنه يقف عائقا أمام رزق الناس، وما يمكن أن يحصلوا عليه أي أنه سبب، ومسبب الأسباب هو الله طبعاً، فالناس عندما تقول مثل هذا الكلام لا تقوله من باب الجرأة على الله، بل من باب الضيق بالأحوال والمعايش، وعليه فمن السهل جداً أن تجد واحداً مصرياً يقول لآخر «يا أخي انت لا بترحم ولا

بتسيب رحمة ربنا تنزل.. أنت إيه» وينتهي به الموضوع إلى لا شيء، لكن أن يأتي واحد ليقول إن هذا المثل لا يستقيم مع النفس المؤمنة التي لا تذكر الله إلا بالإجلال وليس بالتطاول عليه في التعبير، فلو سمع من يردد هذا المثل تلك الكلمات لما زاد على قوله يا عم أنت بتقول إيه!!

● خذ عندك هذا المثل أيضا «إديني عمر وارميني البحر» يقول فيه أحمد تيمور، أي إذا كانت السلامة مكتوبة لي ولم يزل في عمري بقية فإن إلقائي باليم لا يضرني. ويضرب هذا المثل لمن ينجو من خطر لا تظن النجاة منه، كلام عبدالصمد يختلف تماما يقول «هذا المثل يفتقد للحس الإسلامي الذي يحرص على أن يتحرى الدقة في التعبير، لماذا يا سيدنا الفاضل؟ يقول «لأن الذي يعطي العمر أو يأخذه ليس أحداً من البشر وإنما هو الله الخالق البارئ المحيي المميت لا إله إلا هو سبحانه وتعالى، هذا من الناحية الشكلية، أما من ناحية المضمون فتجده قد اكتنفه خصال ضعف العزيمة وعدم التوكل على الله الذي حث عليه الشرع الحكيم في كتابه العزيز «فإذا عزمت فتوكل على الله.. إن الله يحب المتوكلين».

والمسألة ليست هكذا على الإطلاق، ثم ماهي حكاية الافتقاد للحس الإسلامي، ودفع أحد البشر لدرجة الله، ولك أن تتخيل ان بعض الناس يرددون هذا المثل على اعتبار أنه من أحاديث النبي فيقولون «قال النبي اعطني عمراً وارميني البحر» وهو دليل على أن الناس يرددون هذا المثل كدليل على الإيمان العميق للغاية، فما كتبه الله نافذ حتى ولو ألقيت بإنسان في بحر لجي وهو لا يعرف العوم، ومكتوب له عمر فسيخرج ناجياً لأن الله كتب له ذلك، وليس كما يقول الأخ عبدالصمد فيه عدم توكل على الله.. يا أخي المثل فيه كل التوكل على الله.

● «كتر السلام يقل المعرفة» في هذا المثل يقول الكاتب الذي بين أيدينا، عجبا أن يقال كثرة السلام تقل المعرفة، فلم تنج حتى تحية الإسلام من مكائد الشر الذي له أعوانه وأدواته في كل حين، فقد توهم البعض أنه مثل لا يراد به باطل فتواتر بينهم ومازال يعيش بين بعض الناس، هذا المثل يتناقض مع السلوك الإسلامي الحميد ومظاهره، ومن تلك

التحية التى تقوم بين الناس فى كل مرة يتم فيها لقاء حتى ولو كان قصيراً جداً بين كل لقاء ولقاء، فمن يدرى ماذا فعل الشيطان فى النفس فى الوقت القصير الذى ابتعد فيه الشخص عن أخيه المسلم فيجىء بالسلام والتحية ليهدم ما بثه الوسواس.

أحمد تيمور يقول فى معنى هذا المثل: المعرفة يريدون بها الصحبة والصداقة، يضرب فى أن الإفراط فى الشىء يقلبه إلى ضده، ونحن نميل إلى تفسير تيمور، لأن هذا معروف فالإكثار من الشىء يقلبه إلى ضده، تيمور أصوب لأنه يبحث خلف كلمات المثل العامى، لا يقف عند حدودها الجامدة ثم يصرخ ويلطم خدوده ويقول تعالوا يا مسلمين هذا خروج على شرع ربنا، لكن أن يفسر المثل بكلماته ولا يتجاوزها من يتعامل معه إلى ما وراء الكلمات يخطىء كثيراً، فلأن كامل عبدالصمد تعامل مع السلام كسلام فقط.. كتحية الإسلام.. فقد تقمص دور الداعية كثيراً، فهو يلوم على من يرددون هذا المثل حيث إنه لما خلق الله تعالى آدم أظهر له الطريق فى علاقته بالله وعلاقته بالناس، وكانت كلمة التحية التى أراد الله أن تكون بين بنى البشر كلمة السلام، أول من نطق بها آدم ألقاها على الملائكة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم يقول هل يعلم الذين يرددون هذا المثل أنه من السنة استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه عن قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل فى الحال أو حال بينهما شجرة أو نحوها فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه».

هذا الكلام رائع للغاية فى حالة واحدة إذا قيل فى موضعه، لكن أن يقال هكذا وبدون مناسبة، وفى موضع غير موضعه فذلك ليس من الحكمة فى شىء، ثم أن ما يقوله المصريون بالذات لا يخضع لقواعد ولا لقوانين، فهم شعب مزاجه حريف، كلماته حراقة يبقى من ورائها السخرية والنكتة والفكاهة ولذا صعب أن نسمع اعتراضاً على أمثال من قبيل:

- خلف البنات يحوج لنسب الكلاب
- أقول لها إنت طالق.. تقول قوم بنا ننام
- الفلاح يوم ما يتمدن يجيب لأهله مصيبة

- الفقى يخيض المية فى الزير
- كدب مساوى ولا صدق مبعزق
- فايدة أيام البطالة النوم
- الطويل أهبل ولو كان حكيم
- يا مامنة للرجال.. يا مامنة للمية فى الغربال
- عيب الراجل جيبه
- الكى بالنار ولا حماتى بالدار
- ابن الكبة يطلع القبة.. وابن اسم الله خده الله
- ابن الهبلة يعيش أكتر

كل هذه الأمثال يقولها المصريون تندراً وسخرية على بعضهم البعض، لكن يفاجئنا الكاتب بأنها أمثلة خارجة عن روح الإسلام وتعارضه ومن يرددها فإنما يرتكب بذلك إثما وبهتاناً عظيماً، هذه الأمثال وغيرها تعبر عن المزاج المصرى الخالص وتحمل قدراً من همومه وآلامه وتعبيره عن عجزه فى كثير من الأحيان، وإذا كان الكاتب يريد أن يقنعنا أن هذه الأمثال يجب أن تمحى من وعى وذاكرة الأمة لأنها حرام، فإننا ندرك أن الناس عندما يقولون هذا الكلام لا يكون فى ذهنهم مطلقاً التعدى على الله أو مساواة البشر به أو تحدى إرادة الله، فالناس أضعف من كده يا أخوانا، وبعدين كثير على الناس يفضفضوا ويقولوا اللى فى نفسهم؟!

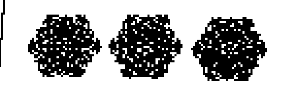
مرة أخرى عندما تسمع لأحد يتحدث بهذا المنطق ويقلب كل شىء إلى حرام يقتحمك موقف رواية الأرض، ومحمود أبوقاسم صاحب الجاموسة التى وقعت فى الساقية وهو يقول لشيخ المسجد مستفتيا مما حدث له ما تفور بقى يا سيدنا.. يا شيخ غور.. فاتحة إيه.. وبقرة سيدنا موسى إيه!!

■■■

5

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

صحافة
الترابية



عندما تقوم بجولة لتتعرف على وظائف الصحافة ستجد أن جميع من كتبوا يهتمون بإبراز وظائف مثل الإخبار أى نقل أحداث العالم كاملة إلى الجمهور الذى يتابع الصحيفة، التثقيف حيث يكون عقل القارىء هو الهدف بوضع جميع المناقشات التى تدور فى المجتمع أمامه فيكون على دراية كاملة بما يموج به المجتمع من أفكار، التسلية كذلك من وظائف الصحافة حيث تضع فى اعتبارها ضرورة الترويح عن هذا القارىء المثقل بالهموم.. تشارك الصحافة فى تنمية وترقية المجتمع فى الدول النامية وتساهم بقسط كبير فى الرقابة على مؤسسات المجتمع والوقوف له بالمرصاد فى المجتمعات المتقدمة. وعندما تتصفح أى كتاب عن الصحافة ستجد فيه حذفا لهذه الوظائف أو إضافة لها.

ومع احترامنا الشديد لكل من كتب عن وظائف الصحافة، فقد غفل الجميع عن مهمة واقعية للغاية.. يستشعرها الدارسون والباحثون فى الصحافة، فالصحف المصرية الجديدة التى تسمى بالصحف المستقلة سواء تلك الحاصلة على تراخيص من المجلس الأعلى للصحافة أو الحاصلة على تراخيص من قبرص.. وللإيضاح أكثر نذكر منها صحف النبأ والأسبوع والميدان والزمان.[1]

هذه الصحف تكتب فى المطلق.. تساهم بقدر لا يستهان به فى تغييب وعى الناس وقذفهم بموضوعات لا تسمن ولا تغنى من جوع.. ولأننا نتحدث عن شيوخ مصر الأفاضل.. فلا يفوتنا أن نقول أن هذه الصحف تجر الشيوخ إلى ساحتها التى تحكمها

(١) لم نذكر أمثلة للصحف القبرصية حيث أنها صحف قلقة غير مستقرة تظهر وتختفى تبعاً لرضاء الحكومة عنها أو غضبها عليها

آليات معينة لعل أهمها هو السيطرة على القارئ الذى يدفع ثمن الجريدة راضيا مرضيا.. فالهدف جيب القارئ وجيب المعلن.. ومن أجل الجيوب تظهر العيوب والعورات، فمقبول أن يتعرف الناس على آراء علماء الدين فى أمور الدين بما يصحح عبادة الناس، لكن بالله عليك ما فائدة موضوعات هذه عينة منها..

- قل لنا يا مولانا.. ماهى آخر نكتة سمعتها بشرط أن نضحك عليها؟
- هل تزوجت يا مولانا عن حب.. أم تزوجت زواجاً تقليديا؟
- ما رأيك يا مولانا فى المطربين.. من تحب منهم.. وماهى الأغانى التى تستمع إليها؟
- متى دخلت آخر مرة السينما.. وهل أعجبك الفيلم..؟
- أين تفصل ملابسك يا مولانا.. وهل هى مستوردة؟
- حكايات وقصص عن شذوذ رجال الدين..
- افتعال المعارك وإقحام الشيوخ فيها إقحاما.. ولعل الأمثلة السابقة تكفى.

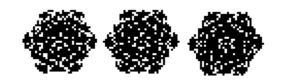
أعترف تماما أن هذه الموضوعات يقبل عليها الناس، وأقتنع تماما بضرورة أن يتواجد الشيوخ على صفحات الصحف ولكن بحدود.. يمكن أن تنتقدهم وتناقشهم وتقول لهم عندكم..

لكن أن يتساوى الشيوخ مع نجوم الغناء والسينما فهذا غير مرغوب فيه على الإطلاق، على كل لا نستطيع ان ندفن عقولنا فى الرمال ونقول هذا حق الصحفيين خاصة وهم يعيشون أزهى عصور الحرية والديمقراطية(!!).. فهذا ليس من حقهم!! المصيبة والتى يشعر بها القريبون من الوسط الصحفى أن من يقومون بتقديم هذه الموضوعات مقتنعون تمام الاقتناع بأنهم أصحاب رسالة وأنهم بذلك يعملون من أجل هذا الوطن.. من أجل رفعته وراحته ومستقبله.. وربنا يستر على هذا المستقبل الذى سيظل فى خطر مادام أنه سيطر على الصحافة هؤلاء الذين يذهبون إلى الترابية حتى يؤكدوا لهم أن هناك شجاعاً أقرع وأن هناك عذاب القبر.. الحقيقة أن ما فعلوه هو عذاب القبر بعينه..

التوضيح يحتاج لتفاصيل.. والتفاصيل ليس مكانها هنا.. فربما تكون هناك وقفات أخرى مع الترابية عندما يسيطرون على الصحافة.

6

شيوخ وراقصات



فى حوار يمكن أن تطلق عليه صفة الشجاعة قالت الراقصة الصاعدة دينا وكلامها هنا بالنص . أعرف أن الرقص حرام لكن ربنا رب قلوب . ولأن دينا ليست فقيهة ولا من أصحاب الذكر فإننا سنترغب عن اخذ ديننا منها أو عنها، خاصة وأنه لا يوجد ما يلزمنا بذلك، فقط يمكن أن نعود إلى قالته بعد رحلة قد تكون طويلة بعض الشيء مع موقف الإسلام من الفنون بوجه عام . وهو موقف طال واستطال وانتشر . والرحلة يمكن أن تطول لأننا سنستعرض الموقف خلال الحياة سواء فى الماضى أو فى الحاضر أو حتى فى المستقبل لمن يعيش فيها كل الوجوه المعقد والبسيط.. المحب للحياة والكاره لها الذى يأخذنا بالعسر فى كل شىء، والذى لا يشغله إلا التيسير على نفسه وعلى الناس، الذى يقبل على الحياة بمنتهى الحب، والذى يرفض الحياة بحلوها ومرها ومهما كانت طيبة يظل على موقفه منها . ولعجب الشيوخ أيضا لهم نفس الوجوه . الذى يحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق والذى يعيشها جنة الله التى لا يعكر صفوه فيها شىء!!

والآن نبدأ .

يقول الإمام الشافعى فى كتاب «آداب القضاء» إن الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته.

ويقول القاضى أبوالطيب.. إستماع الغناء من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة.. بل يذهب الإمام الشافعى إلى أكثر من ذلك حيث يقول إذا جمع صاحب الجارية الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته.

الإمام مالك أراح رأسه من الأخذ والرد وقال «إذا اشترى الرجل جارية فوجدها مغنية كان له ردها» حيث يعتبر ذلك عيبا من العيوب التى توجب رد الجارية.

أبو حنيفة النعمان كان يكره سماع الغناء كرها شديداً ويجعل سماع الغناء من الذنوب ومادام أبوحنيفة دخل به إلى باب الذنوب فهو حرام، وهذا مذهب معظم أئمة الاسلام فالغناء فيه نوع من فساد القلوب وترقيق العزائم وخور الهمم وضياع تام بعد ذلك لأية محاولة إصلاحية، فبه ينشغل الناس عن أمورهم الأهم.

ورغم أن القائلين بتحريم الغناء - ونتخذ الغناء هنا نموذجاً فقط من نماذج الفن حيث إنه إذا ثبت تحريم الغناء فالرقص والتمثيل أولى وأحق بالحرمة . كثيرون لكن القائلين بأنه حلال كثيرون للغاية .. وهذا طبيعى للغاية ومنطقى أيضا .. فالنفس الانسانية بطبيعتها تميل إلى الترويح فهى إلى اللهو اقرب وإلى اللعب أسرع وهذه بعض نماذجهم..

نقل أبوطالب المكى إباحة السماع من جماعة فقال «سمع من الصحابة عبدالله بن جعفر وعبدالله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل بمكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال.. وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما.

وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون المصرى يستمعون؟

وروى عن يحيى بن معاذ انه قال.. فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة .. وحسن الإخاء مع الوفاء، ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصونه وجده فى الدين وتشميره.

وكان ابن مجاهد لا يقبل دعوة إلا أن يكون فيها سماع، وحكى غير واحد أنه قال

«اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبوالقاسم ابن بنت منيع وأبوبكر ابن داود وابن مجاهد فى نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكره وأنا على مذهب أبى» فقال أبوالقاسم أما جدي أحمد بن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد ان أباه كان يسمع قول ابن الجنازة فقال ابن مجاهد لابن داود «دعنى أنت من أبيك».

وقال لابن بنت منيع «دعنى أنت من جدك أى شىء تقول يا أبا بكر فيمن انشد بيت شعر أحرام هو؟!

فقال ابن داود.. لا..

قال.. فإذا كان حسن الصوت حرم عليه ؟!

قال.. لا

قال.. فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود وأحمد منه المقصور أحرام عليه؟

قال.. أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشياطين؟

وكان أبوالأسود العسقلانى من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتاباً رد على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه.

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال «رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له - ما تقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا؟ فقال الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء».

وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال «رأيت النبى فى النوم فقلت له يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا، فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن».

وحكى عن طاهر بن بلال - وكان من أهل العلم - أنه قال. كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولاً ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت على بيت من بيوت الله يقولون الشعر، فرأيت النبى تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبه أبوبكر الصديق وإذا بأبى بكر يقول شيئا من القول والنبى يستمع إليه

ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت فى نفسى ما ينبغى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله وقال هذا - حق بحق - أنا أشك فيه

وقال الجنيد.. تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة.. وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا.

وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له.. أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أم سيئاتك؟ فقال.. لا فى الحسنات ولا فى السيئات.. لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم».

ونقلا عن كتاب - إحياء علوم الدين - للإمام أبوحامد الغزالى نقول «اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه، وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص وأعنى بالنص ما أظهره النبى بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ويبقى فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك فى جوانب عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكاً كافيا فى إثبات هذا الغرض.

لكن نستفتح ونقول «دل النص والقياس جميعا على إباحته أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب. فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات.

أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس، أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ،

فلذة النظر فى المبصرات الجميلة، وهى فى مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها.

أما النص فيدل على إباحة الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال «يزيد فى الخلق ما يشاء».. فقيل هو الصوت الحسن، وفى الحديث «ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت» وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام «أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزابور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأقوات».

وقال فى مدح أبى موسى الأشعرى «لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود» وقول الله تعالى «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن، ولو جاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعانى الصحيحة، وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر فى الصوت من حيث أنه طيب حسن».

انتهى كلام ابوحامد الغزالى

ويمكن أن نقتطع من صفحات كتابه سطوراً كثيرة عن الغناء وحكم الشرع فيه وما يفعله من اثر فى القلوب، لكننا نكتفى بذلك لأكثر من سبب الأول.. أن الأحداث والروايات تراثية للغاية.. لا نفع فيها ولا خير من ورائها. ولا اعرف نهاية لاعتمادنا على كتب التراث وما فيها من جنون يجرنا إلى حديث متشابك لن نخرج من ورائه بحل لأى شىء فى حياتنا المعاصرة، وحياتنا المعاصرة هى الشىء المهم الذى نبحث عنه وفيه..!!

الثانى.. هو الاختلاف الكلى والجزئى لتفاصيل حياتنا المعاصرة عن حياة هؤلاء الذين

حرموا الفنون وأولئك الذين أحلوها.. فمهما بلغت تصوراتنا عن عقول وخيالات أسلافنا فإن عقولهم لم تكن لتقودهم مطلقا إلى الصورة التي عليها الفنون الآن بكل ما فيها، فليس لواحد من اسلافنا ان يتصور مطلقا انه سيكون لدينا رقص شرقي ومطربات شبه عاريات وفنانات يتحدثن عن الإغراء بشروط.. وتخيل ماذا يمكن أن يقول ابن داود أو ابن بنت منيع أو العسقلاني او ابن أي احد لو نظر إلى بدلة فيفي عبده الساخنة أو دينا وما ترتديه . او قل مالا ترتديه وهي ترقص..

ولنبدأ الحديث مرة أخرى..

فنحن ننظر إلى الفنون بمنظور معاصر ونسجل كلام معاصرين عن شتى ألوان الفنون، خبروا جيداً ما يحدث وراوه رأى العين.. وهذه بعض الكلمات وبدون تدخل..

الشيخ محمد الغزالي..

عن الغناء يقول «لم يرد حديث صحيح في تحريم الغناء على الاطلاق وقد احتج البعض بما جاء في القرآن الكريم بسورة لقمان «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا» ولعمرى أن من يشترى جد الحديث أو لهوه للأسباب المذكورة فى الآية جدير بسوء العقاب أما من يريح أعصابه المكدودة بصوت حسن ولحن جميل فلا علاقة للآية به.

وكما يقول - ابن حزم - لو اشترى إنسان مصحفاً للإضلال فهو مجرم ويبدو أن اقتران الغناء ببعض المحرمات من خمر وفحش وما يشاع عن البيئة الفنية من تحلل كل هذه الانحرافات أساءت للغناء وهى التي جعلت عدداً من العلماء يسارع إلى تحريمه، بيد أنه ليس من الضروري أن تجتمع هذه الفواحش كلها عند سماع الأغنية، وعلى أية حال فإذا كان الغناء مقرونا بتلك المحرمات فهو مرفوض أما إذا برىء منها فلا شىء فيه فالغناء عبارة عن كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، ومن غنى أو استمع إلى غناء شريف المعنى طيب اللحن فلا حرج فى ذلك والاسلام لا يحرم الغناء الهابط.

وعن الموسيقى يقول «الموسيقى كالغناء فقد رأيت فى السنة أن النبى مدح أبو موسى الأشعرى وكان يتغنى بالقرآن وقال له . لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» ولو كان

المزمار مخروما كما يقول بذلك أصحاب العقول الضيقة ما مدحه رسولنا الكريم بهذه الصفة، وقد سمع النبى صوت الدف والمزمار بلا حرج، ولا أدرى لماذا قال البعض بتحريم الموسيقى فالأصل فى الأشياء الإباحة ولا تحريم الا بنص قاطع، وإذا كان هناك مجال للاعتراض فعلى الأصوات المخنثة والألحان المثيرة، لكننا نجد نفراً من سوداوى المزاج قاموا بتحريم الفن كله وعندنا أن الأصل فى الأشياء الإباحة، لكن أصحاب العلل الأصل فى الأشياء عندهم التحريم أو على الأقل الكراهية.

وفى إحدى الندوات التى عقدت فى صالون إحسان عبدالقدوس بروز اليوسف عام ١٩٩٠، تحدث الشيخ الغزالي عن الفنون بمنتهى الصراحة فقال «إنه كلما كان فى حالة من الأرق والقلق او كانت أعصابه مرهقة فإنه يستمع لبعض من الموسيقى الهادئة التى تريح أعصابه» بل إن الشيخ الغزالي كان من المعجبين بصوت فيروز خاصة فى أغانيها الوطنية حيث أن صوتها فيه نوع من الصفاء قلما يتواجد فى صوت آخر.

وما يدل على أن الشيخ كان يعجب بالأصوات الجميلة وينفر من الأصوات القبيحة أنه عندما استمع إلى أحد المطربين الجدد قال معلقا أن صوت أم كلثوم أكثر رجولة من هذا المطرب المخنث، بل إن الشيخ الغزالي دلل على حسه الموسيقى عندما قال أن محمد عبدالوهاب أخطأ فى تلحينه للقصيدة التى يقول أحد أبياتها . وللحرية الحمراء باب . بكل يد مضرجة تدق» فقد كانت الموسيقى هادئة وكان من المفروض أن تصاحب هذا البيت أصوات المطارق تضرب بقوة حتى يصل المعنى المقصود إلى المستمعين وكان الشيخ الغزالي يتدخل فى مسألة التوزيع الموسيقى.

موقف الشيخ الغزالي من الفنون يؤكد أننا لو رزقنا بفنانين ذوى شرف ومقدرة لأمكن تحويل الفنون بأنواعها إلى عوامل للبناء لا للهدم ولإثارة المشاعر النبيلة وليس لإثارة الغرائز الدنيا، والرجل لا ينطلق فى كلامه هذا من فساد عقيدة . لا سمح الله . كما وصفه البعض ولكنه كان يرى فى الحياة شيئا جميلاً يجب أن يعاش ولذا يصف الذين يحرمون هذه الفنون بأنهم أصحاب عقول ضيقة فهو مثلا كان يكتب الشعر وكان يغلب على شعره الغزل العفيف وعندما سأله البعض عن ذلك قال سأظل أقول شعر الغزل حتى لو قالوا أن الغزالي يتغزل.

الرجل صاحب رؤية متطورة للغاية، ولكن إذا جئنا بالرقص ووضعناه على ميزان كلمات الشيخ الغزالى لأمكن لنا ان نقول أن الرقص حلال فيمكن أن نصفي الرقص الشرقي من كل ما يشوبه من مخالفات.. ولا أعرف كيف.. ليصبح الرقص حلالاً ولا عيب فيه.

كثيرون هم من يقولون مثل كلمات الشيخ الغزالى، لكنه كان الوحيد - يرحمه الله - الذى كان يقول رأيه بصراحة شديدة ووضوح أشد. د. سيد طنطاوى شيخ الأزهر لا يرى اية عيوب فى ان يستمع للأغانى الدينية فهى قادرة على جعله فى حالة من الوجد الشديد لكنه يقول ذلك على استحياء..

رأى آخر خرج ولكن ليس على استحياء، كتبه د. أحمد شوقى الفنجرى فى مقال طويل. يمكن أن يطول نقاشنا من خلاله يقول «.. الحديث عن قضية الفن يجب أن يبدأ أولاً بالتفرقة ما بين الفن والفساد وأن نتجه منها أولاً.. فالفن علم ودراسة وليس فيه أى انحراف وإن كان هناك من يستغل الفن فى الانحراف، كاستغلال الغريزة الجنسية لكى يشتهر أو يكسب، هذا ليس فنا وليس فى قواعد الفن ما يبيح اى انحراف أو شذوذ فالفن علم وله قواعده».

النظرية العقلية مازالت تنظر إلى الفن بدون فلسفة، فالفن حلال ولا شيء فيه على الإطلاق مادام هو فى ذاته شيئا راقيا.. يسعى وراء تطوير الناس ويسمو بأرواحهم، ولو تغاضينا عن مسألة السمو بالأرواح هذه فلنقل على الأقل ان الفن يسعى خلف الترويح عن الناس وإراحة ارواحهم وأجسادهم ونفوسهم، ولو كان هذا فقط ما يفعله الفن لكفى.

وفى عصرنا الحاضر يقولون أن الفن علم، والعلم فن وكلاهما لا غنى عنهما فى الحضارة الحديثة التى تسير على قدمين إحداهما هى العلم والأخرى هى الفن.. ولقد اثبت العلم الحديث أن الفن لابد منه فى كل مرحلة من مراحل الحياة.. نحن نقول هذا الكلام للذين يقولون أن الفنون مضيعة للوقت ولا فائدة منها، هم لا يعرفون الحضارة الحديثة، ولا يعرفون احتياجات الناس فى العصر الحاضر، فالفن دخل فى كل شيء فى حياة الإنسان. فكل المخترعات الحديثة كانت لا يمكن أن تتم إلا بالعلم والفن معاً. الفن هو الذى ينشيء ملكة الخلق والابتكار عند الإنسان والذى يساعده أن يحسن أحواله ويحسن احوال الانسانية».

وفى هذه الكلمات أيضا نكتة أخرى يعتمد عليها الكاتب ليعطى مساحة من الرضا والقبول للفن، فهو يجعله أساساً ثابتا وراسخاً من أسس تقدم الحياة وازدهارها، يرد بدون انفعال على من يتهمون الفنون بأنه شيء لا فائدة له ولا ضرورة تجنى من ورائه، فمنه قد يستمد الإنسان بعضا من الطاقة الروحية التى من خلالها يستطيع أن يكمل إبداعه وابتكاره وآليات إنتاجه. ولأن الكاتب مقتنع تماما بفكرته فهو يعدد مواقف الإسلام من ألوان الفنون.

يقول البعض أن التصوير حرام والتماثيل حرام، ونرى الآن أن التصوير والتماثيل أصبح جزءاً لا يتجزء من الحضارة الحديثة، والتصوير دخل فى كل شيء فى البطاقة الشخصية وفى جواز السفر وفى التقديم إلى وظيفة من الوظائف (هذا فى حالة إذا كان هناك وظيفة خالية) والتصوير وصل إلى مرحلة راقية من العلم لدرجة أنه أصبح علما مستقلاً بذاته فمثلا فى أماكن البحث عن الجرائم والجنايات يوجد جهاز خاص من الرسامين والمصورين، فعندما يهرب المجرم ويأتون بالشهود الذين رأوا المجرم كل منهم يدلى بأوصافه ومن كلامهم ووصفهم يستطيع الرسام أن يخرج صورة تصل إلى ٩٥٪ من الشكل الأصلى للمجرم، ولا تمضى ساعة واحدة حتى تكون الصورة جاهزة وتعلن ويتم القبض على المجرم، أيضا فى هيئة اليونسكو فرع متخصص فى الرسوم يبحث عن العلماء والشخصيات الذين أثروا تاريخ الإنسانية، هؤلاء الرسامون يذهبون إلى مقابر المشاهير ويبحثون عن جماجمهم ويصورونها من ثلاث اتجاهات ويعلم (الفيديوتمى) يعملون جمجمة شبيهة بالجمجمة الأصلية ويضعون عليها بعض المعاجين حتى يصلوا إلى وجه الإنسان الأصلى بحيث يقول العلماء أن هذه الصور تمثل ٩٨٪ من الشكل الأصلى.

أيضا التماثيل أصبحت فى عصرنا الحاضر مهمة جداً فى كليات الطب، الطلبة يتدربون على تماثيل شمعية تمثل جسم الإنسان وفيها كل ما فى جسمه من تفاصيل تشريحية ويتفرجون عليها بدلاً من تشريح جسم الإنسان الحقيقى، أيضا التماثيل أصبح لها أهمية فى متاحف الحضارة الإنسانية ليتعلموا تسلسل الحضارة والتاريخ الذى مرت به الإنسانية، استعمال التماثيل كذلك فى حوادث السيارات لكى يكتشفوا من الحوادث الصناعية أى الأجزاء فى جسم الإنسان يتعرض للحوادث ويمكن تلافيها وتعديلها لحماية الإنسان أكثر.

واقول أن علم الموسيقى - واقول عنها علماً - لأنها ليست ما نعرفها بالفن الرخيص ولكنها السيمفونيات الحديثة التى تخاطب عقل الإنسان والموسيقى الكلاسيكية اليوم أصبحت خطابا للعقل اكثر من العاطفة فهذه الموسيقى أصبح لها فى العصر الحديث رسالة مهمة وخطيرة جداً لدرجة أنهم وضعوا موسيقى فى حظائر البقر لتساعدها على إدرار الألبان اكثر من الظروف العادية، أيضا وجدوا أنها فى أماكن العمل الانتاج يزيد، وايضا فى المستشفيات وأماكن الانتظار، المنتظرون عندما يسمعون إلى الموسيقى تهدأ أعصابهم ولا يصيبهم القلق ويقل الشغب، أيضا الموسيقى تستخدم اليوم فى علاج الأمراض العقلية فى مستشفيات الأمراض العقلية ووجد أن الأطفال يتعلمون الدروس بالموسيقى والغناء أكثر من الدرس الشفوى والنظرى، من هنا لا يمكن أن تقول أن الموسيقى حرام وأنها مضيعة للوقت، هذه الأفكار من المفروض أن تتغير مع الزمن.

عندما يسمع إنسان مسلم (الرقص) يتصور أنه الرقص الشرقى وهذا ليس بفن وأبعد ما يكون عن الفن بل هو انحراف عن الفن، والرقص معروف فى عهد الرسول وكان الأحباش يرقصون أمام بيته فلم ينكر عليهم شيئا فأخذ زوجته السيدة عائشة لتشاهدهم معه وهو يقول «هيبه» يا بنى ارفده (أى بشجعهم).

أيضا هنالك رقصات عربية موجودة فى التاريخ العربى منها رقصة السيف حيث يقف الفرسان يرقصون رقصات فيها الرياضة والصحة وفيها إظهار المشاعر الإنسانية، أيضا هناك الرقص الجماعى الذى يمثل شعوبا مختلفة ورقص البحارة. فالرقص فيه أنواع من الفن، وبالنسبة للطفل رياضة مهمة جدا والأطفال الذين يتعلمون الرقص يحتفظون لياقتهم البدنية مدى الحياة، إذن لا نستطيع أن نقول أن جميع الفنون خطأ وانحراف أو فساد واهم فائدة للفن انه يرقق المشاعر الإنسانية ويؤكد على ملكة حب الخير والثقافة.

وإذا كنا نجد مثل هذه الآراء الطيبة التى بها من اليسر أكثر من العسر فإن هناك وجهة نظر أخرى تراثية تستند إلى ظهر الماضى وتركن إليه، ولا يكتفى صاحبها بتبنيها ولكنه يطالب شيوخ المساجد أن يؤكدوا عليها ويتبنوها. وننقل هنا جزءاً من كتاب «الخطبة المصرية» الذى به عدد كبير من الخطب المنبرية التى وضعت خصيصاً لخطباء

المساجد وهو يعكس كيف يفكر خطباء المساجد ومن أى يستمدون مادتهم.. وكيف يكونون رايهم فى قضايا العصر.

يقول الكاتب:.. سادت الفوضى بين الناس، فأصبحوا لا يفرقون بين الصواب والخطأ، وبين الحلال والحرام فولع قومنا بالغناء وكرموا أهله وانزلوهم منازل الشرفاء وهم الفاسقون الذين يجمعون الناس على موائد الفسق والضلال تحت ستار ما يسمى بالفن، فقد انتكست عندهم موازين الأخلاق فصاروا يسمون الزنا الذى حرمه الله حبا، والهمجية جرية والرقص والغناء فنا والدعارة حضارة!! وأصبحن اللاتى يهززن بطونهن أمام الناس ويخلعن برقع الحياء ويظهرن كاسيات عاريات يكرمن غاية التكريم ولذلك فقد امتلكن العربيات الفاخرة والقصور الشامخة وعندهن الملايين ولا أبالغ فى الأموال التى جاءت بغضب الله الكبير المتعال، فى الوقت نفسه تجد الذين الزموا أنفسهم حدود الله وعودوها على سنة رسول الله يضامون ويعذبون ويسجنون ويضربون ويوصفون بأقذر الصفات وينزلون أحط المنازل، فلننتظر عظتنا من الملك العلام، إن لم نعد إليه ونصلح حالنا ونحل ما أحله ونحرم ما حرمه الله.. ثم ينقل مؤلف الكتاب شواهد عديدة على كلامه.. وهذه بعضها.. ابن القيم.. «من مكائد الشيطان ومصائده سماع المكاء «ما يشبه الصفير» والتصدية أى التصفيق والغناء بالآلات المحرمة التى تصد القلوب عن القرآن وتجعلها عالقة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان».

أبو جعفر الطبرى.. «لما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المغنى الخاصل بالعود فدرجه ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدرج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد.

هذه الكلمات تدل على أن هناك إتجاها عصريا نعايشه ونراه ونشعر بمدى ضراوته حيث يقتنع به جميع خطباء المساجد بلا استثناء وهو ان الفن حرام.

موائد ونفحات الرحمن

مظهر حضارى، أو غير حضارى، لكنه على أية حال مظهر من مظاهر احتفالنا بشهر رمضان أن يقوم الأغنياء بإقامة ما يسمى بموائد الرحمن وهى أماكن يتجمع فيها

الفقراء وأبناء الطريق للإفطار فيها في رمضان، هو في النهاية عمل من أعمال الخير الكثيرة التي يتقرب بها الناس إلى ربهم في هذا الشهر، لكن ومثل أشياء كثيرة في حياتنا تسلل إليها بعض من الفساد الذي سببه ومصدره النفس الإنسانية المريضة أو المعتلة أو على أقل تقدير الضعيفة - حيث تحول هذا العمل في بعض أماكنه إلى مجرد عمل مظهري دعائي.

ومن هذا المدخل ظهرت الراقصات على موائد الرحمن في مصر، واشتهرت مائدة الراقصة فلانة ومائدة الراقصة علانة، الناس تعرف تماما من يفعل الخير ومن ينتحيه، ولو سلمنا حتى أن الراقصات أو راقصة بعينها تقوم بإعداد مائدة رحمن للصائمين في رمضان فهذا ليس موضوع نقاشنا، الموضوع يتعلق بالحلال والحرام، ونحاول أن نعرف هل ما يحدث بمنظار محدد جداً ودقيق للغاية - حلال أم حرام؟ هل المائدة التي تعد بأموال جاءت من الرقص تعتبر في سجل أعمال الخير أم أنها من الأعمال التي تضيع سدى فلا يكون لها ثواب. هذا هو السؤال.. أو هكذا من المفروض أن يكون السؤال.

فلا معنى إطلاقا أن يثور بين شيوخ مصر جدل هائل وكبير حول موائد الرحمن لصاحبتها من الراقصات حلال أم حرام.. فهذا جدل عقيم دار للأسف بين شيوخ مصر منذ سنوات ويتجدد كل عام، لا يهمنا إطلاقا ما دار أو قالوه أو حتى حكمهم الشرعي الذي أصدروه، فالبعض قال لهم ثواب.. والبعض قال لا ثواب.. فما يهمنا هنا هو الراقصات، عملهن وأعمالهن، ما لهن وما عليهن، كل ذلك يدخل مباشرة تحت مظلة الحلال والحرام وهو شيء أكثر تماساً واقترابا من الحديث عن أهل الفن الاستعراضي وعلاقتهم بالحلال والحرام.

ما لفت الانتباه هو موقف الناس في الشارع، والناس هنا هم هؤلاء الذين يجلسون على مائدة الرحمن في أي مكان، يأكلون ولا يسألون عن مصدر الطعام، فلهم خيره ولصاحبه الثواب إن كان من مال حلال، والعقاب إن كان من مال حرام، الناس لا ينشغل بصاحب الطعام كثيراً إن كان راقصة تكسب من هز بطنها أو شيخ يكسب ماله من آيات الله، فالناس فقراء أكثر من اللازم، تحصرهم الحاجة ولا مانع عندهم من التحلق حول [illegible]

من قبيل صاحبة الأيادي البيضاء الراقصة فلانة أو سيدة البر والتقوى الراقصة فلانة.. ولا شيء يضير على الإطلاق ما دامت ذاكرة الناس أصابها العطب وتمكن منهم أيدز لعين.

صلاة الراقصات

من حق أي إنسان أن يقرأ كلام ربنا، وأن يتعبد بالطريقة التي يراها صالحة تماما لتقربه إلى الله، ولا اعتراض ولا رقابة ولا مؤاخذة أيضا على ذلك. لكن تصور أحيانا تكون قراءة القرآن مكروهة، وتقول يا رب لا نسمعها خاصة إذا كانت من راقصة تستعد من فورها للصعود للمسرح لأداء رقصة في الغالب تكون ساخنة أو مطرب جهز نفسه وعلى وجهه كل علامات الخضوع والخشوع والتقوى يرفع كفيه إلى وجهه ويقرأ الفاتحة متبوعة بشيء من الأدعية أن يوفقه الله فيما هو مقدم عليه.

لا نقول أن الفن حرام - فنحن لسنا من أصحاب هذا الكلام أصلا. وعليه فلا يجب قراءة القرآن قبله أو بعده. لكن كما للصبر حدود، فإنه للفن حدود، فلا يمكن أن تتحمل أعصابك هذا المشهد الذي يتكرر، على الأكثر يحدث في شهر رمضان. مذيعة تجلس في بيت شيك جدا لفنانة مشهورة - ولا مانع أن يكون فنانا مشهورا بالطبع. وتسألها المذيعة وأنت ماذا تعملين في رمضان؟ وتخرج الكلمات بدون توقف والله أنا باقضي رمضان في الصلاة والصوم وقراءة القرآن وقيام الليل(!!) أمال يا جماعة مين اللي بيسهر في خيام رمضان طول الليل، ومن اللي بيحضر حفلات السحور الصاخبة.. هم أيضا.. حقيقة أنه لا تعارض على الإطلاق بين قيام الليل في القرآن وقيام الليل في الحفلات الراقصة على واحدة ونص.

يمكن أن تمضي هذه الحالة على أساس أنها حالة فصام وينتهي الأمر والسلام، ولكن تبقى لنا كلام وكلام كثير عن القرآن في أفواه الراقصات.

● أم كلثوم تركب سيارتها التي يقودها محمد الدسوقي ابن أخيها، يسمعها تقرأ آيات قرآنية - هذا عادي - لكنه يقول.. كانت زكاتها تبتهل.. وكان السؤال الطبيعي.. الذي وجهه إليها، هل أنت خائفة؟ وأجابت أم كلثوم نعم خائفة.. والسبب كما ذكرته أم كلثوم ورغم لياليها الكثيرة الطويلة مع الجمهور لكنها ما زالت تخاف منه حيث أنه غول كبير، لا

بعجبه المعجب فمهما قدم الفنان وأبدع وأنتج كل يوم جديداً فالجمهور يريد إبداعاً أكثر، يريد جديداً كل يوم وهذه هي مشكلة الجمهور، لذا فهي كانت تردد آيات القرآن وتبتهل إلى الله حتى يساعدها لمواجهة هذا الغول الكبير، ما فعلته أم كلثوم يفعله الكثير من المطربين والمطربات والراقصات، أم كلثوم فعلت ذلك وهي تركب سيارتها الخاصة لم يرها أحد، ولولا حديث محمد الدسوقي عنها لما كان أحد عرف عنها ذلك.

الأمر الآن يختلف.

● خذ عندك مثلا - هاني شاكر - فقد تركزت عليه الكاميرات وهو خارج إلى المسرح وفجأة توقف ورفع يديه إلى وجهه وأخذ يقرأ.. ثم مسح وجهه بيديه - هاني كان يقرأ آيات من القرآن الكريم، ولا نستبعد انه عمل ذلك ايضا حماية من الجمهور!!

● في لقاء تليفزيوني منذ سنوات مع النجمة المعتزلة - التائبة حاليا - سهير رمزي كان الحوار كالتالي.. ماذا تفعلين في رمضان؟ والإجابة كانت كالتالي.. والله أنا أقضي رمضان كله في عبادة وصوم وصلاة وطبعا اقرا قرآن كتير جدا.. لأن ده مهم جدا للإنسان منا.

● الكاتب الصحفي محسن محمد يقف في الحرم النبوي يزور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فجأة يجد امامه الراقصة الشهيرة جدا فيفي عبده تسند رأسها إلى قبر النبي وينأخذها نوبة بكاء عاتية وتردد بعض آيات القرآن الكريم، تعجب محسن محمد من الموقف وردد بينه وبين نفسه سبحان الله، وبعد أن عاد كتب عن هذا المشهد متسائلاً.. هل يمكن أن تكون فيفي عبده الباكية المبتهلة أمام قبر الرسول هي نفسها فيفي عبده التي تشعل مصر رقصاً.. والتي لا تقفز في الهواء إلا بصرختها المعتادة - هوبا...!!

هذا التساؤل اعقبه محسن بسؤال آخر حول اعتزال فيفي عبده الرقص من أساسه حيث إن ما تفعله يعتبر منافياً تماما لما كان عليه حالها في المدينة المنورة أمام قبر الرسول، فيفي عبده نفسها تؤكد انها قريبة جدا من الله وأن مشاهد الموت تهزها بقوة من الداخل، وانها فكرت أكثر من مرة في الاعتزال بعد تعرضها لمواقف موت كثيرة.

● لم يكن من المستهجن بعد ذلك ان تقول المطربة ذكرى وهي تتحدث عن طقوسها قبل أن تصعد خشبة المسرح أنها تقرا شوية قران، ولا احد يعرف بالطبع الشوية دول قد إيه.

هذه المشاهد وغيرها تؤكد لدينا القاعدة أن الفنانين والفنانات يحرصون على ترديد آيات قرآنية قبل البدء في أعمالهم تبركا به وهذا طبيعي للغاية، لكن من قال هذا؟ من قال بإن القرآن وقدسيته تتناسب مع الرقص أو مع الغناء رقصا وها هي صورة من الصور الكثيرة التي تؤكد ما ذهبنا إليه حيث قامت الفنانة نادية الجندي بإقامة حفلة كبيرة دعت إليها الجميع بمناسبة فوزها بجائزة أحسن ممثلة في مصر عام ١٩٩٧ عن دورها في فيلم «امرأة فوق القمة» وبمناسبة نجاح فيلم «٤٨ ساعة في تل أبيب» مفاجأة الحفل كانت حضور نبيلة عبيد التي بينها وبين نادية الجندي جفوة كبيرة جدا ولا نعرف أسبابها - ومش عايزين نعرف - لم تعلن نادية عن حضور نبيلة، لكنها عندما حضرت اخذتها بالأحضان والقبلات وبعد ذلك توالت الأحداث.

فقد قامت نادية بالرقص وعندما سخنت المسائل قامت نبيلة عبيد بالغناء والتصفيق - وهات يا تشجيع - وبعد أن أنهت نادية وصلة الرقص قامت نبيلة عبيد بإهدائها مصحفا شريفا تعبيراً منها عن صفائها وحبها الصادق وأن المسألة خلاص انتهت، دلالة المسألة كلها واضحة طبعا، نحن لا نعترض على ذلك بالطبع لكن نسجله فقط، الذين يعترضون هم علماء الدين ورجاله الذين من المفروض أن يكون لهم رأى وعلى طريقة إذاعة القرآن الكريم تعالوا نسمع كلام الشيوخ على الأقل حتى لا ندوخ.

د. أحمد شلبي - رحمه الله - كان له رأي يقول: «إيه العلاقة أساساً بين الفن والدين إيه العلاقة أساساً بين الفنانين من مطربين ومطربات وراقصات ورجال الفكر والدين.. دول حاجتين مختلفين تماما.. كل واحد منهم طريق».

والمهم نحدد عن أي فن نتحدث، فالفن يتوقف على الكلمات والأداء، فإذا كانت الكلمات جيدة، والأداء جيداً فإن الفن ذاته يكون جيداً ن وإذا حدث العكس فحدث ولا حرج عن الأضرار التي تلحق بالأمة، ثم إن الفن ليس فنا واحداً، ولكنه فنون كثيرة له الوان متعددة، الفن فيه إسلامي خاضع بشكل كامل للفكر الإسلامي، ويمكن من خلاله ان تخدم قضايا الأمة الإسلامية، بشكل جيد جداً، هذا الفن القرآن فيه يقرا قبله وبعده واثناءه، فهو موجود أساساً من أجل خدمة القرآن الكريم، لكن إلى جانب هذا اللون من

الفن هناك فن منحرف ولا تحفظ على هذا اللون مطلقا، ومن الطبيعي إذا سمعنا أن من يقومون بهذا الفن يقرأون القرآن قبله أن نرفضه على الفور، فهذا تهريج ويجب أن يعرف هؤلاء ان الأغاني شيء مختلف تماما وكفاهم عبثا بمقدساتنا.

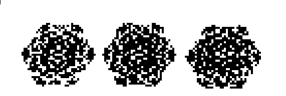
د. محمد عبدالمنعم البري.. أمين عام جبهة علماء الأزهر سابقا - جاءت كلماته أكثر صخبا وضجيجاً، والبداية كانت هكذا.. هؤلاء يقومون بالدور الأعظم في هدم صرح الأمة الإسلامية، الرجل كان يقصد الفنانين والفنانات بقوله - هؤلاء - طبعا.

ثم قال.. والمفروض أن يكون الفن أداة بناء لكنه للأسف الشديد عندنا أداة هدم فقد فعلوا كل شيء، حتى أنهم يسخرون من القرآن الكريم، وها أنت تسأل الآن عن المطرب أو الراقصة الذين يبدأون عملهم باسم الله وببعض آيات من القرآن، وأجد الوضع عجيبا وغريبا للغاية. فالفنان الذي يقول أنه يقرأ بعض آيات من القرآن حتى يباركه الله ويوفقه.. عندي تماما مثل اللص الذي يخرج للسرقة بعد أن يقرأ آية الكرسي حتى تحفظه من الشر.. ما يحدث يمثل سخرية القدر التي يدعمها أهل الفن في بلادنا.

هذا.. وفقط.

■■■

شيوخ الميكروباص



تحرك سائق الميكروباص من محطة المنصورة متجها إلى القاهرة وبعد دقائق وضع شريطا لأم كلثوم.. بدأت أنغامها تنساب فى عذوبة ورقة وقبل أن تأخذ الست راحتها فى الغناء والطرب، إذا بصوت عنيف هز جميع من بالميكروباص ينهر السائق ويأمره بأن يسكت هذا الصوت المنفر الذى ينطق بالكفر والحرام وغضب الرحمن.

عقدت الدهشة لسان السائق الذى لم يخطر على باله أن صوت أم كلثوم يجلب غضب الله وسخطه ويمكن أن يؤدى به إلى جهنم وبئس المصير، وقبل أن يفيق السائق من دهشته وسط صمت الركاب ودهشتهم أعطى صاحب الصوت العنيف الذى كان يرتدى قميصاً وبنطلونا ويطلق لحية ليست طويلة وإن كانت مهذبة بعض الشىء. شريطا للسائق ويطلب منه أن يشغله حتى يكتسب الجميع الثواب من الله.

تحت سطوة عنف اللهجة التى تحدث بها الرجل، وبرغبة خفية فى أن يربح السائق الثواب مع الأجرة تناول الشريط ووضعه فى الكاسيت، وبدأت كلمات أكثر عنفا وصلابة من كلمات الرجل الملتحى عن عذاب النار ورحلة الإنسان الطويلة المريضة التى يخوضها من لحظة موته حتى يقف أمام يدى الله يوم القيامة.

ساد صمت تام واكتست الوجوه بعلامات متباينة وردود أفعال مختلفة تماما، ابتسامة ساخرة.. نظرات خوف.. عدم اهتمام بما يقال أو ينذر به المتحدث فى الشريط. بعد أن انتهت الخطبة العنيفة حاول السائق أن يضع شريط أم كلثوم مرة أخرى فنهاه الرجل بعنف أشد.. إذ كيف بعد هذه الموعظة البليغة يعودون لسماع المنكر من جديد.

وحكاية سماع شرائط الخطب والمواعظ والقرآن الكريم فى الميكروباصات ليست جديدة ولا غريبة. وليست أيضا بسبب لهجة رجل ملتح يرغم سائقا على أن يضع شريطا معينا ليسمعه الناس، يأخذون منه الموعظة، وترتعد أوصالهم من الرعب، فهناك قطاع كبير جدا من سائقى الميكروباص على طول مصر وعرضها ولك أن تحصيهم من موقف الاسكندرية وأسوان ورفح وقنا والمنصورة ودمياط.. وحتى توشكى يخرج السائق فيضع شريط قرآن لأى شيخ، كانت هناك فترة سيطرت الأصوات السعودية وأهمها صوت الشيخ الحذيفى.. الآن تراجعت هذه الظاهرة بعض الشىء . وبعد ذلك يمكن أن يسمع سائقو الميكروباص الأغنيات من أول أم كلثوم وحتى الطفلة المعجزة شيماء.

البداية كانت مع الشيخ عبدالحميد كشك . أستاذ مدرسة خطباء العصر بلا منازع . الذى رغم منعه من الخطابة فى نهاية السبعينات لكن مازالت شهرته حتى الآن ورغم وفاته مقلقة ومؤرقة للجميع.. ترك وراءه أكثر من ٨٠٠ شريط أهم ما فيها هو طريقة الشيخ فى خطبه. فلم يكن الرجل عاديا ولكنه كان يعرف كيف يستولى على أذن وعقل المستمع وحتى لا نظلم الرجل فهذه بعض ميزاته..

كان للشيخ طريقة فريدة متفردة فى الشرح والتوضيح، فلم يكن يلقى ما فى جعبته من معلومات ويمضى، ولكنه كان يظل خلف معلوماته حتى ترسخ فى عقول مستمعيه.. يضرب لهم المثل بأشياء من حياتهم وأحلامهم.. فلم يكن منعزلاً عنهم إطلاقاً.

كانت للشيخ طريقته الفريدة فى النقد . قد تتفق معها وقد تختلف حولها . فقد كانت حادة وفى أحيان كثيرة طائشة، فلم يترك شيئا إلا وانتقده بأسلوب تهكمى ساخر فيه حرارة النكتة المصرية الحارقة اللاذعة، حتى تحولت سخرياته إلى نكت ثابتة يرددها الناس لا يذكرون السياق الذى قيلت فيه ولكنهم يرددونها وفقط.. وخذ عندك سخريته من السيدة أم كلثوم عندما غنت «خدنى فى حنانك خدنى عن الوجود وابعدنى».. قال «امرأة فى السبعين من عمرها تقف على خشبة المسرح وتتبختر وتقول خدنى لحنانك خدنى.. أخذها الله بلا رجعة».

أو ما قاله عن نبيلة عبيد بعد فيلمها «أرجوك أعطنى هذا الدواء» حيث أى دواء ذاك

الذى تطلبه ولم يجد كشك توصيفا لهذا الدواء سوى أنه دواء الفسق والفجور، ثم تحول إلى منتج الفيلم جرجس فوزى وصب عليه دعوات من قبيل «اللهم إن لم تهده فخذه».. وتعلو نبرة الدعاء فيقول «اللهم آتيه بسرطان فى دمه» والغريب أن جمهور المصلين كانوا يقولون آمين بحماس منقطع النظير.. وهم فى منتهى الخشوع وأصوات تبتهل راجية أن تتحقق دعوات الشيخ، رغم أن معظمهم قد لا يعرفون من هو جرجس فوزى، ولم يشاهدوا الفيلم من أصله، لكن الشيخ قال.. ومادام قال فهو على صواب. وعندما بدأ نجم عادل إمام يعلو وتطغى شهرته على شهرة العلماء والكتاب قال الشيخ ساخراً.. «إنى انظر حولى فى مصر فلا أجد فيها إمام عادل واحد وإن كنت أجد فيها عادل إمام واحد.. والله يرحمه الشيخ لم تكتب له الحياة حتى يرى القصر الشامخ وهو يتهاوى.

تمتع الشيخ كشك بنوع من الحماس منقطع النظير وهو يلقى عظاته.. يشعر المستمعين له بأنه بالفعل مهموم بقضايا بلاده وما يحدث فيها.. لم يكن يدخل فى أحاديثه شيئا عن العلم أو الطب أو الهندسة أو الفلسفة.. كان يركز على الموضوعات التى تستحوذ على إعجاب جمهوره.. يخطف أسماعهم.. وتجعل أبصارهم تفتح على آخرها انبهاراً ودهشة.. يتحدث عن الموت، عن وفاة الرسول، عن معارك المسلمين، وعن أبطالهم، عن الفاسدين والمفسدين، عن الرؤساء والوزراء والمسئولين ويسب ويلعن ويشتم.. وذلك يجذب الناس فهم يشعرون أنهم هم الذين يشتمون ويسبون المسئولين الظلمة.. فهو لسانهم الذى به يتحدثون والناس دائماً تحتاج إلى لسان..

كل هذا جعل شرائط الشيخ كشك وخطبه وكأنها فاصل مسرحى ممتع لا مكان فيه للملل ولا للموعظة الجافة.. ولذا لم يقتصر جمهور الشيخ على فئة معينة فشرائطه تسمع فى البيوت ومحلات العصير والورش.. وأخيراً فى سيارات الميكروباص. المذهل أن موت الشيخ لم يحل دون إنتشاره.. شىء آخر غير الموت أثر على انتشار الشيخ وصوته وشرائطه وهو ظهور تلاميذ آخرين للشيخ.. ظهروا بقوة واحتلوا مكانتهم بقوة أيضا عند سائقى الميكروباص.

إنه الشيخ محمد حسان.. ابن الدقهلية وخريج كلية الاعلام قسم العلاقات العامة حتى الآن له أكثر من ٤٠٠ شريط تسيطر على أرصفة شوارع مصر.. وفى مكتبات المساجد

والجمعيات الشرعية وتعار لمن يرغب أن يسمع.. ولا تخرج موضوعاتها أيضا عن الجنة والنار والحور العين والموت ووفاة الرسول.. وإن كان يتحدث عن ظواهر الحياة الحديثة مثل الدش والانترنت ومسابقة كأس العالم لكرة القدم.. وهذه كلها تدخل في ساحة الحرام عند الرجل ولا نخرج منها.. تحول إلى نجم يتداول الناس اخباره ومواقفه.. يرونها وكأنها احاديث نبوية شريفة لا ترد.. ومن أطرف ما روى عنه.. أنه سئل ذات مرة عن رغبته في الزواج مرة ثانية مع أنه سعيد في زواجه.. فقال لا فض فوه.. مادمت قادرا وعندي طاقة تكفي وتفيض فلماذا لا اتزوج يا جماعة؟ وضحك.. وضحك الحضور بلباقة وحيوية الشيخ.

نقطة نظام..

حدث هذا الموقف بيني وبين الشيخ محمد حسان مع أنه لا يعرفني ولا أعرفه شخصيا.. في يونيو ١٩٩٦ وفي سيارة ميكروباص صوت شيخ عالي النبرات يتحدث عن لحم يعني نساء الجنة.. حديث مثير عن الخدود والشفايف والنهود والأرداف.. كنت أسمع وكأني أمام فيلم جنسي متقن الصنع.. سألت السائق عن اسم الشيخ قال: «الشيخ محمد حسان» على فكرة كان الشريط للشيخ إسماعيل حميد . وعندما توجهت إلى أحد محلات الشرائط إحسان إلى يوم الدين.. وحدثته عن الشريط قال لي فعلا الشيخ حسان له ... المواصفات.. حصلت على الشريط وفرغته وخرج موضوع صحفي بعنوان ... الشيخ حسان.. قلت فقط أن الكلام عن نساء الجنة لا يليق بهذا الشكل أبداً.. نشر الموضوع في جريدة الدستور التي أغلقت في فبراير ١٩٩٨.. وتوالت الرسائل تستنكر هذا الهجوم على الشيخ الكبير.. أمل الإسلام ومستقبل الدعوة الإسلامية.. كنت قد علمت أن الشريط ليس شريط الشيخ حسان.. وظننت أن الواقعة قد وقعت وأني قد نزلت إلى مستنقع خطأ لا يغتفر أبداً.

لكن حدث مالم يكن في الحسبان، فقد أرسل صحفي اسمه مجدي الداغر للجريدة حوارا كبيرا ضخما مع الشيخ محمد حسان يؤكد كل سطر فيه انه صاحب الشريط وأن هذه الكلمات كلماته.. والأفكار أفكاره.. وسكت.. لم ينشر الحوار على أساس أنه ليس من العقل أن نصنع من الشيخ نجما ونساهم في صنعه بالحوار والجدال حوله فهو أقل من ذلك..

بعدها بشهور تحدثت مصادفة مع مجدي الداغر وأخبرته أن الشريط الذي نشرته لم يكن للشيخ محمد حسان فكيف أجريت معه حواراً يؤكد انه صاحبه فقال الشيخ مجدي . هيئته شيخ . أنه بعد أن نشر الموضوع جلس مع الشيخ حسان، وظلا يبحثان عن هذا الشريط من بين شرائط الشيخ.. لأنه الشيخ وعلى حد كلامه لم يكن متيقنا من أن هذا الشريط شريطه ولما عجز عن أن يجده.. قال على كل أنا مقتنع بكل الكلام والأفكار التي وردت في الشريط.. وقلت ساعتها الحمد لله لا غلطنا في مسلم ولا في البخاري.

الشيخ محمد حسان لم يتجاوز الأربعين من عمره، وبالقياس إلى الشيخ كشك يعتبر تلميذا صغيرا في مدرسة الإلقاء والخطابة، حيث أن إلقاءه ليس قويا بالدرجة التي تجذب إليه المستمعين، لكنه يضع ذكاءه في الموضوعات التي يختارها الرجل حيث يركن إلى الجانب العاطفي في عقيدة الناس.. فالرجل لا يكف عن ترديد الحوادث.. و لناس مغرمة بالفعل بالحواديت والحكايات.

ثم تأتي شرائط محمد جبريل القارىء الشهير للقرآن، الذي أصبح نجما من نجوم شيوخ الميكروباص، خاصة بعد أن أصبحت هناك إعلانات كثيرة عن أشرطة القرآن بصوته، ودعاؤه الذي ذهب فيه إلى إبتكار طريقة جديدة تماما غير مسبوقة. وكما تعلم فنحن شعب يحب الجديد ويحب الطلعة الحلوة، ولا فرق عنده في ذلك بين شريط دعاء لشيخ يملأ الخشوع والخضوع صوته، وبين شريط يحمل أغنية مطلعها الموسيقي جديد وجذاب وخاطف . راجع غرام الناس بمطلع أغنية لطفي بوشناق «لاموني اللي غاروا مني» الطريف ان محمد جبريل وطريقته في الدعاء صارت موضة يقلدها شباب صغار في مساجد مصر نفس الأدعية ونفس الكلمات وبنفس النبرات لا لشيء إلا ليقلدوا نجم الأدعية الجديد .

محمد جبريل ابتكر شكلا جديداً فقط.. لكن دعاؤه وكلماته لا تخرج عن موضوعات كشك ومحمد حسان.. تلك الموضوعات التي تجعل القلب يخفق والنفس تشهق والجسد يرتعد ويرتعش بشدة.. «اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك»... يقولها بنبرة كلها خشوع وتقوى.. يبكي على أثرها ويبكي من خلفه.. على أساس أن العين

الباكية لا تمسها النار.. ثم انه يخترع بعد ذلك طريقة للقضاء على اليهود.. طريقة أيضا مبتكرة يختصرها فى الآتى «اللهم أهلك اليهود باليهود.. وأخرجنا من بينهم سالمين غانمين.. يا رب العالمين».. هل هناك تعليق.. طبعا.. !!

من الضرورى إذن أن يكون صاحب الشريط الذى ينتشر من خلال سيارات الميكروباص صاحب شىء جديد يقدمه للناس سواء من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون، ولذا لم يكن غريبا أن يحظى كثير من الشيوخ بنصيب كبير من الشهرة، لكنهم لم يصبحوا من شيوخ الميكروباص حيث الشهرة الشعبية.

وعندك مثلا الشيخ عمر عبدالكافى.. الذى حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة الأزهر عام ١٩٧٢، وكان ترتيبه الثانى على الدفعة ثم حصل على الماجستير عام ١٩٧٤، وكان موضوع رسالته «دودة اللوز القرنفلية» ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٧ وكان موضوعها «مبيدات الآفات».

انتسب إلى كلية الدراسات العربية والاسلامية، وحصل منها على الليسانس عام ١٩٧٦ ثم على درجة الماجستير وموضوعها الخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه فى المسائل الفقهية. امتدت مسيرته فى الدعوة لمدة تمتد لأكثر من عشرين عاماً(١).. ووقف خطيباً فى عدة مساجد منها مسجد الصحابة بالدقى.. ومسجد محمود.. ومسجد رشدى بالعجوزة. ومسجد بولاق الدكرور.. وأخيرا مسجد أسد بن الفرات الذى خرج منه وإلى الآن لم يعد أحد يسمع صوته.

لم يكن د. عمر شيخا عاديا ولكنه كان يعيش وسط دائرة الضوء كتبت عنه الصحف ووقف أحد أعضاء مجلس الشورى ممسكاً بأحد شرائطه معلنا.. كيف يترك مثل هذا الرجل يفعل ما يشاء بالإسلام والمسلمين؟! فرد على عضو مجلس الشورى أحد زملائه قائلا.. بأن وزير الداخلية وكان وقتها اللواء محمد عبدالحليم موسى يصلى خلفه، وقد أكد الوزير وقتها وكان حاضراً كلام هذا العضو.

ظهر د. عمر واختفى.. ولا أحد يعرف لماذا ظهر أو لماذا إختفى؟. كان له مستمعون ومريدون.. وشهد منبر أسد بن الفرات أياماً زاهرة عندما كان يقصده آلاف المصلين

(١) هذه المعلومات المسئول الوحيد عنها عمر عبدالكافى.. لأنها جاءت على لسانه

وخاصة من طلبة المدينة الجامعية التابعة لجامعة القاهرة التى كانت تقع على بعد خطوات من المسجد، وبعد الخطبة يصبح الشيخ عمر هو السيرة الوحيدة التى تتردد على ألسنة الناس.. للشيخ عمر شرائط كثيرة كان فى معظمها ينتقد أوضاع المسيحيين وينكر على المسلمين أن يعاملوهم بالحسنى!! وعندما سأل الشيخ عن ذلك لم ينكر ولم يثبت.. ولكنه راوغ.

والحوار من كتاب محمود فوزى «عمر عبدالكافى وفتاوى ساخنة».

● **د. عمر.. اسمح لى أقول لك أنت مشعل الفتنة الطائفية فى مصر من وجهة نظر البعض.. هل حقيقة ما يتردد أنك حرمت على الإنسان المسلم أن يلقى السلام على المسيحى وأن يقول له.. السلام عليكم؟! هل السلام عليكم حرام؟ وهل يستطيع المسلم أن يهنىء المسيحى فى الأعياد؟!**

● أولا النبى ﷺ هو الذى نأخذ منه حدود الاسلام وقواعده.. وكان الرسول الكريم إذا أرسل خطاباً لأحد الملوك أو رؤساء القبائل أو الزعماء. إذا جازت هذه التسمية. وكان هذا الزعيم أو هذا الملك غير مسلم فكان يقول له: السلام على من اتبع الهدى.. وهناك نص فى البخارى يقول: لا تبدأوا اليهود أو النصارى بالسلام.. هذا هو نص البخارى وتفسير هذا الكلام أولاً أنا لم أقل لا تسلم على النصرانى.. والبعض يغضب من كلمة نصرانى ولكن القرآن الكريم هو الذى أطلق عليهم ذلك، وفى رأيى أن تسمية نصارى أفضل مما يسمون مسيحيين حتى لا يصبحون عبدة المسيح، فهناك دين النصرانية دين سيدنا عيسى. أما المسيحية فلا يعرف أحد ماهى المسيحية.. فنحن لا نقول نحن على دين المحمدية.. ولكن نقول نحن على دين الاسلام فأنا قلت للأسف هذا الكلام.

● **هذا الكلام مسجل فى شرائط فهو قيل فى ظروف معينة منذ ثلاث أو أربع سنوات؟!**

- تمام.. هى مسجلة تقريبا فى ذلك الوقت.. بالضبط كده.. وأقول لحضرتك إن الدين حلال وحرام وليس فيه لون رمادى يعنى واضح.. أنا قلت بالنص.. أنت بتسلم على المسيحى النصرانى.. تقول له صباح الخير وتقول له مساء الخير وتعوده فى مرضه..

وإذا كان جارك فله حق الجوار ولا تظلمه وقد قال ذلك ابو حنيفة.وهذا الكلام موجود في شرائط ولكنهم للأسف بيحبوا ياخدوا الكلام اللى على كيفهم.

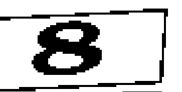
الرجل قال ولم يقل..

موضوعات خطبه أيضا كانت تتطرق إلى موضوعات الجنة والنار والثواب والعقاب ونساء الجنة . فكلهم فى الهم شرق وغرب وشمال وجنوب . وهى موضوعات تمثل المفتاح السرى الذى يفتح مغاليق قلوب الناس وعقولهم لكن الشيخ عمر لم يكن ساحر الحديث.. كان يسترسل فى حديثه بدون توقف.. لم يمتلك براعة الخطيب الذى يلهب جمهوره.. عندما ينفعل وتحمر عينه ويصرخ بجمل محفوظة ونمطية ومكررة.. فاكتفى الناس أيضا بالسماع عنه. وكان من النادر أن تجد سيارة ميكروباص يستمع سائقها والذين معه إلى خطبة من خطب الشيخ عمر عبدالكافى.

الشيخ عبدالصبور شاهين - الذى يفتقد مستمعوه صوته الذى كان يتردد من على مسجد عمرو بن العاص. ورغم أهمية ما كان يقوله - من وجهة نظره - على الأقل - لم يجذب جمهور الميكروباص لأنه حراق المزاج فالرجل فى كثير مما كان يقوله، كان يبدو ثوب المتفلسف على الناس المتعالى عليهم.. ثم أن الحس الشعبى عرف مبكراً أن هذا الرجل ليس مخلصاً.

[illegible] الشريط الوثيقة الذى لم ينكره الشيخ والذى اعتبر فيه الريان أحد أولياء الله الصالحين. وأن أموال الناس التى ضاعت هى الآن استقرت فى يد الله، هذا غير التضحية والتعالى الذى يتحدث به فى لقاءاته التليفزيونية، وهذا لا ينفع مع أولاد البلد سائقى الميكروباص الذين لا يهتمون بأحد ولا بشىء إلا بقدر ما يوفر لهم من متعة وراحة ومزاج عال. ولذا تجدهم مرة يستمعون للشيخ الفلانى ومرة للمطرب العلانى، وإذا لم تصدق فضع أذنك بالقرب من أى ميكروباص فى بر مصر ستجدهم يسمعون آخر شريط كاسيت لشيخ أو مطرب.. بشرط أن يكون مجدداً ومبتكراً وصاحب طلعة حلوة..!!

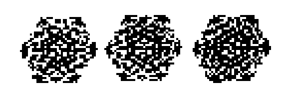
■■■



شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

مواعظ شيوخ التطرف



القصة الكاملة لشرائط الكاسيت التى تحمل أفكار وخطب ومواعظ ودروس شيوخ التطرف قصة مفزعة ومزعجة، بعد أن تعرفها يمكن أن تقول ما الذى يحدث فى هذا البلد بالضبط لكنك لن تندهش عندما تعرف أن هذه الشرائط التى من المفروض أن تكون مهمتها الأولى الدعوة إلى الإسلام - كما يقولون - تخضع لسوق تجارى كبير.. به فترات ازدهار وبه فترات ركود.. فالحكاية كلها تجارة فى تجارة.. والتفاصيل تفضح بعض ما خفى.

●●

فى السبعينيات تحديداً عندما ظهر الشيخ عبدالحميد كشك أصبح الناس فى مصر - الذين يسمعون أكثر مما يقرأون - يلتفتون إلى شرائط الكاسيت الذى يقدم لهم خطب الشيخ الضرير الذى لا يترك شيئا إلا وانتقده، ولم يصادر الشيخ كشك كل إعجاب الناس لنفسه بسبب قدراته الخطابية فقط، ولكنه وجد نفسه فجأة فى مواجهة رأس الدولة الرئيس السادات، فبعد أن انتقد الشيخ كشك قانون الأحوال الشخصية الذى كان وراءه السيدة جيهان السادات تصدى الرئيس السادات بنفسه لكشك مما زاد نجومية الأخير وجعل الناس يتهافتون على شرائطه، وكان من النادر أن تمر أمام بيت أو تركب سيارة دون أن تسمع فيها شريطاً للشيخ كشك.

وعندما استقرت سفارة إسرائيل فى العام ١٩٨٠ على نيل القاهرة تصدى الشيخ حسن شحاته للتطبيع مع إسرائيل واعتبر انتقال السفارة الإسرائيلية من إحدى الفيلات بالدقى إلى المقر الجديد المواجه لمسجد كوبرى الجامعة تحدياً لمشاعر المسلمين، لم

تسكت الحكومة على انتقادات الشيخ حسن والتى لم يكف عنها بعد أن علم أن سكان العمارة التى انتقلت إليها السفارة متذمرين من هذا الوضع، أحاطت الحكومة المسجد بقوات الأمن.. وعرف الناس أن الشيخ حسن يواجه الحكومة فالتفوا حوله وزاد عدد جمهوره، وعندما وجد الشيخ هذا الإقبال الشديد على خطبه كلف أحد أصدقائه بتسجيل هذه الخطب والدروس على شرائط كاسيت ونسخها ثم بيعها، كان سعر الشريط ثلاثة جنيهات ونصف وكانت تباع أمام المسجد الذى يخطب فيه الشيخ، والطريف أن الرجل كان يروج لها ويحض المصلين على شرائها.

انتقل الشيخ حسن بعد ذلك إلى شاشة التليفزيون وأصبح ضيفاً لكثير من البرامج الدينية وكان ذلك عاملاً مساعداً فى ترويج شرائطه، لكن الدنيا لم تبتسم كثيراً للشيخ الذى اتهم فى بداية التسعينيات بأنه يدعو إلى الكفر الشيعى ويطعن فى الصحابة من على منبر مسجده.. ورغم أنه أعلن توبته مما قاله بالفعل.. لكنه أبعد تماماً عن المسجد وعن الخطب وعن الشرائط.

وفى الفترة التى بدأ يلمع فيها الشيخ حسن شحاتة كانت هناك أصوات أخرى بدأت تشق طريقها فى مشوار نجومية الخطابة وشرائط الكاسيت منهم د. عبدالصبور شاهين وكانت بدايته مع عالم الكاسيت مع بداية تفسيره القرآن الكريم والذى بدأه من على منبر جامع عمرو بن العاص، وفعل د. شاهين كما فعل شحاتة من قبل فقد كلف أحد المتخصصين بتسجيل خطبه لبيعها فى الأسبوع التالى مباشرة للتسجيل وكان يضمن ذلك رواجاً للشريط الذى يباع بثلاثة أو أربعة جنيهات، خاصة إذا كان الشيخ يوصى المصلين ويعلمهم بأن شريط الخطبة الماضية يباع أمام المسجد.

يأتى بعد ذلك محمد حسان - خريج كلية الإعلام - والذى احترف الدعوة والخطابة وعمره ٢٢ سنة فقط، بدأ الخطابة فى أحد المساجد الكبيرة بحى الأربعين بمدينة السويس. الخطوة الثانية - التى لا تخيب مع أحد - كانت مع شرائط الكاسيت وبالفعل ذاع صيت الرجل الذى كان يعمد لإبكاء مستمعيه وإن لم يبكوا تطوع هو بالبكاء، الخطوة الثالثة كانت رحلته فى عدد كبير من محافظات مصر، وكانت الإعلانات تسبق صوره،

وشرائطه التى سجلها من قبل تتبعه يحملها أتباعه ومريدوه والعاملون معه، وكنت ترى بعد خروج المصلين من صلاة الجمعة من يبيعون هذه الشرائط يروجون لهذه الشرائط قائلين.. آخر شريط للشيخ محمد حسان خطبة وفاة الرسول، يفعلون تماما مثل باعة الطماطم والخيار الذى يتجولون بالمساجد أثناء صلاة الجمعة، وبعد أن ينتهى المصلون من صلاتهم تجدهم ينادون الطماطم بجنيه.. الخيار بجنيه.. فكل شىء أصبح قابلاً للبيع.

النجم الثالث والذى ظهر إلى جوار حسان وشاهين كان عمرعبدالكافى - الذى لا نستطيع أن نقول عنه الآن شيخاً أو دكتوراً - بعد أن تأكد عدم حصوله على أية شهادات من الأزهر(!!)، ورغم أن عمر عبدالكافى بدأ تسجيل خطبه ومواعظه على شرائط كاسيت، لكنه لم ينتشر إلا بعد أن استضافته المذيعة كريمان حمزة فى ثلاثين حلقة تحدث فيها عن أنبياء الله ويبهر الرجل النساء قبل الرجال بحسن مظهره وحسن حديثه وانتهت الحلقات ولم ينته اهتمام الناس به.. فزاد مريدوه وزاد توزيع شرائطه التى كانت سبباً فى فتن ومشاكل أدت لإيقافه فى النهاية عن الخطابة.

الشيخ عبدالرشيد صقر هو الآخر لحق بركب شيوخ الكاسيت وإن كان قد سبق شاهين وحسان وعبدالكافى، فقد بدأ التسجيل مع نهاية السبعينيات واهتم بطلبة الجامعة فمثلوا معظم جمهوره ومستمعيه، ويختلف الشيخ صقر عن سابقيه فى أن شرائطه لم تنتشر الانتشار الواسع الذى يمكننا أن نجد له جمهوراً ومستمعين وهو الأمر الذى تكرر مع الشيخ عبدالله السماوى الذى خرجت من معطفه معظم أفكار الجماعات المتطرفة حيث وجد الرجل أن الإقبال على شرائط خطبه ومواعظه ليس كما يريد. ففضل أن ينشر دعوته وأفكاره عن طريق جولاته فى القرى والكفور يخطب فى الناس ويجذبهم إلى أفكاره وجماعته..

ورغم أن معظم هؤلاء الشيوخ ظهروا فى منتصف الثمانينيات، لكنهم ظلوا محتفظين بالقمة حتى أواخر التسعينيات التى شهدت زلزال عروشهم وزوال دولتهم السمعية على أيدى شيخ خفيف الظل - وهو الشىء الوحيد الخفيف فيه، فمواعظه وأفكاره وآراؤه

وخطبه كلها من الوزن الثقيل الذى يكفر المجتمع ويدخل الجميع النار. الشيخ هو محمد حسين يعقوب الذى يعتبر الآن فارس عصره وأوانه فى مجال شرائط الكاسيت.. وقد سيطر الرجل على عقول مجموعة كبيرة من شباب الجماعات الإسلامية للدرجة التى اعتبر أحدهم أن السماع إلى شريط الشيخ يعقوب تقربا من الله، حاجة كده تفكرك بفيلم «ظهور الإسلام» الذى اعتبروا مشاهدته وقت ظهوره تعدل حجة إلى بيت الله الحرام.

الشيخ يعقوب لا يختلف عن سابقيه فهو يسجل خطبه على كاسيت مثلهم - وإن كان الرجل زاد أن خطبه تسجل على (C.D) شيخ عصرى طبعاً - وهو يتناول نفس الموضوعات التى سبق وتعرضوا لها، قد تكون الطريقة التى يلقى بها خطبته طريقة الفلاح الفطرى الذى يتحدث عن معجبيته عنده معلومات نعم، لكنه يعرضها بفخم وهو الشىء الذى يجعلك تنفر من الرجل بعد شريط أو شريطين.. فالحكاية مش ناقصة!!

أفكار.. ومشانق!!

شرائط شيوخ التطرف - الكلام الآتى سيثبت أنهم شيوخ تطرف - فى حد ذاتها لا تقلقنا.. فيمكن أن يعتبرها البعض مثل شرائط مطربى الأغانى الشعبية خاصة أن الشيوخ يروجون لشرائطهم بنفس الطريقة التى يتم بها الترويج لشرائط الأغانى الشعبية.. ويمكن أن يعتبرها البعض موضة أو هوجة سرعان ما تنتهى ويختفى كل أثر يمكن أن يترتب عليها.

لا يمكن أن نتعامل بهذا المنطق مع هذه الشرائط لسبب واحد أنها ليست هوجة ولكنها مستمرة ويتوالى عليها الأجيال ومن شتائم كشك إلى غشم حسين يعقوب يا قلبى لاتحزن، يؤكدون ويعيدون معالجة نفس الموضوعات وكأنه تنظيم يعرف جيداً ماذا يفعل!! يحدد هدفه جيداً ويعمل من أجل تحقيقه بكل الطرق، لن نبالغ ونترك الكلام على عواهنه وقبل مناقشة أفكارهم ما رأيك لوتسمع مقاطع من بعض شرائطهم..

يقول الشيخ كشك..

«ما كل هذا الفسق والتحلل والفساد، يجب أن نعود إلى الله لا خلاص للأمة إلا

بالعودة إلى الإسلام، لقد سدنا العالم عندما تمسكنا بالدين، ولكننا الآن ذيول لأمريكا والغرب، ألف مليون مسلم ولكننا غثاء كغثاء السيل.. اسمعونى لا إله إلا الله. كاثوليكى يتبنى ثلاثين ألف طفل مسلم فى الصومال، إن جزءاً من المال العربى الضائع على موائد القمار كان كفيلاً بحفظ هؤلاء..».

ويقول الشيخ..

«لابد من تطبيق الشريعة الإسلامية، لابد من تطبيق حكم الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، المفسدون يجعلون من رؤوس الفسق أمثالاً تحتذى، امرأة فى الستين من عمرها تقف وتقول وهى تتمايل، خذنى لحنانك خذنى، وعبدالحليم صاحب المعجزات الباهرة.. أمسك الهواء بيديه وتنفس تحت الماء».

ويهاجم كشك السادات قائلاً: «اعتبر أيها السادات من سلفك انظر إلى جبروته، ثم كيف بات الآن عظاماً باليه، بسم الله الرحمن الرحيم ذهب من لا يقولها وجاء الآن من يقولها مبتورة بسم الله أكملها يا ناقص».

النصوص من شريط المناظرات

ومن الشريط ٢٦ يقول عمرو عبدالكافى:

«هنالك سؤال بيقول: جيراننا وزمايلنا فى الشغل مسيحيين ونصارى تجيلهم أعياد نروح نهنيهم كل سنة وأنت طيب يابطرس ياإسحاق ياوليم.. ينفع الكلام ده؟! الإسلام بيقولك ما ينفعش، ليه؟ عندهم عيد اسمه عيد القيامة اللى قام فيه المسيح، المسيح نام ثلاثة أيام وقام ولما قام جاء عشان يحكم العالم تانى.. أمال العالم كان ماشى إزاى فى الثلاثة أيام اللى فاتوا؟ ما علينا مش عايزين نخش فى نقاش مش وقته، لما تروح تقول فى عيد القيامة كل سنة وانت طيب يبقى إنت أقريت من نفسك إن فيه حاجة اسمها قيامة المسيح.. صح ولا لأ؟ هذا إقرار ضمنى من جوانك إن فيه للمسيح قيامة وأنه قام وأنه مات وصحى، وإنه بعث ليحكم العالم لأنه الرب أو ابن الله وهذا الكلام كله حرام ميتفعش إنك تروح للمسيحى وتقول له كل سنة وانت طيب، لكن لو شفته فى السكة قل له إزيك.. يقولك كده أنا زعلان

منك ليه.. خيريابطرس زعلان منى ليه؟ مجتشى تميد علي.. هوانتو كان عندكم عيد؟ يعنى توهه متقولوش كل سنة وانت طيب العب معاه.. المهم متقرش إنه عنده عيد!!

لن تذكر مزيداً من الأمثلة.. ولم تذكر هذا المسمع من شريط عبدالكافي لأنه مازال يصر حتى الآن انه لم يقل هذا الكلام مطلقاً بل هو صديق للمسيحيين.. وقام بزيارة البابا حتى لا تكون هناك أية شبهة، وأن من الصق به هذا الاتهام إنما هم العلمانيون الذين يحاربون دين الله آناء الليل وأطراف النهار.

وبعد الأمثلة تأتى الأفكار.. فتحليل بسيط لمضمون هذه الشرائط يضع أيدينا على حقيقة نوايا هؤلاء الشيوخ التى ليس من حقنا أن نشكك فيها وإن كان من حقنا ألا نطمئن إليها.. وهذه هى الأسباب:

● يتفق أصحاب هذه الشرائط على أن الحكومة مقصرة ولا تقوم بدورها ولذا يظهر كل هذا الكم من الفساد والفسق والفجور وتراهم يركزون على الفساد فى وسائل الإعلام وأفلام السينما والمسرحيات والمهرجانات، ثم لا يوجد حل عندهم للخلاص من هذه المفاسد سوى تطبيق الشريعة الإسلامية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون.

● والغريب ان هؤلاء الشيوخ يقدمون شعار «الإسلام هو الحل» للتغلب على كل المشكلات دون وضع منهج أو طريقة لكيف يتخلص المجتمع من أوجاعه عن طريق تطبيق الإسلام، وهم فى ذلك يفعلون مثل الجماعات الإسلامية التى تغرق فى الشعارات حتى أذنيها دون تقدم ما يدل على وعيهم أو إدراكهم لكيفية تطبيق هذه الشعارات..

● وفى كل الحالات تتهم هذه الشرائط الحاكم بانه هو المسئول الأول والأخير عن كل ما يحدث من فساد، وبينما نجد الشيخ كشك يسب الحاكم باسمه صراحة فعندما عايره الرئيس السادات بانه أعمى.. رد كشك قائلاً: تقول عنى أعمى يا أقرع.. لكن الشيوخ المعاصرين أكثر تقية من كشك وعندما يتحدثون عن الحاكم يكتفون بالإشارة إليه لحاكم ظالم أو فاسد أو غافل دون أسماء!!

● المرأة عند هؤلاء الشيوخ أيضاً سبب آخر من أسباب فساد الأمة.. بل لا يتحرج أحدهم فى وصف المرأة بأنها رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ولذا تجدهم رغم كل ما

حققته المرأة من مكاسب يطالبون بعودتها للبيت مرة أخرى فله خلقت ولا يجب أن تخرج منه ضاربين بكل دعوات التحرر عرض الحائط.

● الفن والموسيقى والغناء والتمثيل والمسرح والسينما محاور لا يتردد شيوخ التطرف فى شرائطهم فى الدخول إليها واقتحامها وبنفس الجرأة يحرمونها جميعاً وإن كان بعضهم يرى أن الفن يمكن أن يكون حلالاً إذا كانت له رسالة، فإن البعض الآخر يرفض الفن بكل أشكاله بل ويرفض اجتهادات العلماء الذين رأوا فى الفنون حلالاً ويصفون هذه الاجتهادات بأنها كلام فارغ!!

● هذه الموضوعات فى النهاية رغم أهميتها عند شيوخ التطرف لكنها لا تمثل سوى ٢٠٪ فقط من خطبهم، فهناك موضوعات أخرى يعتبرونها أكثر أهمية - هم يعتبرونها كذلك - وستعجب عندما تعرف أن موضوعاتهم الأخرى كلها تتعلق بالغيبيات.. فهم يسهبون فى الحديث عن الموت وسكراته والقبر وعذابه ومع أن فى القبر نعيم لكنهم لا يتحدثون عنه كثيراً. يتحدثون عن الجنة وثمارها ونسائها ومتعها، هذا غير ربط كل شىء بالعذاب فى الآخرة حيث النار التى يخلد فيها الناس ولن يخرجوا منها أبداً، فالتى لا ترتدى الحجاب مصيرها النار.. والذى لا يصلى مصيره النار والذى لا يفكر فى إخوانه بالشيشان مصيره النار.

أكثر ما يلفت الانتباه رغم أن عدد شيوخ التطرف فى زيادة مستمرة ولا يختفى أحدهم حتى يظهر آخر لكنهم جميعاً محلك سر لا يتطورون أبداً ولا يعطون لأنفسهم فرصة ليدرسوا ما يستجد حولهم فى حياة الناس فيجتهدوا على أساسه.. لكنهم يحرمون كل شىء بنفس الحدة والقسوة والغلظة على المجتمع الذى لا يرغب ناسه سوى أن يعيشوا فى سلام ولذا عندما تستشعر الحكومة خطرهم وأن مريديهم يتزايدون ويجعلون منهم زعماء وقديسين تتدخل لإيقافهم تماما عن الخطابة، لكنهم لا يستسلمون فى الغالب للقرارات الحكومية فيطلون على الناس فى البيوت والنوادى، الشيخ كشك مثلاً بعد سنوات طويلة من إيقافه استمع الناس له شريطا يتحدث فيه عن زلزال أكتوبر ١٩٩٢ واعتبره الشيخ غضباً من عند الله.. فمن أعمالنا سلط علينا (!!) هكذا قال الشيخ غافلاً عن أن الغضب فى الزلزال أتى من عندنا.

تجارة.. وشطارة

ليست الأفكار وحدها تحدد معالم هذا العالم الخرافى من الشرائط والخطب والمواعظ، ولكن طرق إنتاجها وبيعها أيضاً، فهناك إجماع قد يكون كاملاً من شيوخ هذه الشرائط أنهم يعملون لوجه الله فقط.. ويؤكد الشيخ محمد حسان أنه لا يتقاضى عن الشرائط التى يسجلها أى نقود فهو يتبرع بها لوجه الله، أكثر من ذلك فهو لا يسأل عن العائد من بيع هذه الشرائط كم يبلغ ومن يأخذه وكيف يتصرف فيه.. فلنسلم مؤقتاً بهذا الكلام.. ونسجل فقط أن إحدى شركات التسجيلات الإسلامية والتى تتولى توزيع شرائط معظم الشيوخ، تعرضت لهجوم شديد من إحدى الصحف كان الهجوم بالأساس على مضمون الشرائط التى تنتجها الشركة وتوزعها، وكيف أنها تساهم فى نشر الفكر المتطرف.

ولما كانت كلمة التطرف قد أصبحت سيئة السمعة ولا يطيق صاحب الشركة أن تلصق به هذه الكلمة سارع ونشر إعلاناً فى الصحيفة طمعاً فى أن تتراجع عن هجومها عليه.. وكان صاحب الشركة صريحاً عندما قال رداً على سؤال لماذا تفعل ذلك وأنت تملك الحق!! أى حق يتحدثون عنه لا أدرى.. قال والله أنا بأحافظ على تجارتى.. وهذا لا يعيب أحد على فيه.

وصاحب الشركة كان واضحاً مع نفسه لأن شرائط شيوخ التطرف بالنسبة له فى النهاية تجارة لا أكثر ولا أقل.. كل ما يفعله أنه يحاول أن يحصن نفسه بحصوله على موافقة الأزهر، يرسل نسخة من الشريط إلى لجنة البحوث والتأليف والترجمة التابعة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر للحصول على موافقتها وإجازتها للشريط، وبالطبع لن يجد أى شيخ أزهرى أى مانع فى الموافقة على شريط ينتقد المجون والفساد ويدعو الناس إلى العودة إلى الله.. حتى لو كان ما فى الشريط مثل السم الذى يدس فى العسل!!

ولأن المسألة تجارة.. والتجارة شطارة فقد قام صاحب شركة تسجيلات إسلامية منذ فترة بعمل مونتاج لشرائط الخطب وجمع كل المقتطفات والنكات التى قالها الشيوخ فى

خطبهم وأصدر من هذه المقتطفات سلسلة شرائط تحت عنوان «ابتسم مع» شهدت هذه المجموعة رواجاً كبيراً، لكنها أغضبت الشيوخ الذين اعتبروا ما حدث امتهاناً لعلمهم، وقام محامى أحد الشيوخ برفع قضية على صاحب الشركة الذى تاب وأناب وأعلن أنه أخطأ فى حق الشيوخ ولن يصنعها مرة ثانية وبالفعل سحب جميع نسخ المجموعة من السوق وإن لم يمتنع عن بيعها فيمكن لمن يريدها أن يحصل عليها من مقر الشركة فهو لم يعدمها كما وعد لأن الخسارة وقتها ستكون كبيرة للغاية.

تصرف أصحاب الشركات ليس غريبا بالطبع، فالشيوخ أنفسهم سبقوهم بجعلهم هذه الشرائط تجارة يربحون منها مع احترامنا الشديد لكل ما يقولونه عن أنها عمل لوجه الله وحده..

أزهر.. ورقابة

الخطاب الرسمي للأزهر الشريف والذى يتمثل فى أحاديث شيخ الأزهر د. سيد طنطاوى وأحاديث وحوارات شيوخ الأزهر الذين لا تخلو منه صحيفة أو محطة تليفزيونية أرضية أو فضائية، هذا الخطاب لا يبرح إصراره على أن الأزهر لا يصادر أى فكر ولكنه فى الوقت نفسه يحبذ حرية الرأى والفكر والإبداع، وأصبح كل من يتحدث باسم الأزهر يؤكد أنه لا توجد محاكم تفتيش فى الأزهر.. وكأنهم يدفعون عن أنفسهم اتهاماً يوجهه إليهم الجميع.

شيء من هذا تفعله الرقابة عندنا فهى تنفى أيضاً أنها تقف ضد الفكر والإبداع للدرجة التى وصل فيها رئيسها الحالى د. مدكور ثابت لقناعة بإلغاء الرقابة وهذا نص كلامه: «أرى أن مهمة الرقابة الأساسية ليست فقط مراقبة المبدعين.. خاصة وأن الأشكال التى تحمل الإبداع حاليا أصبحت كثيرة منها السينما المسرح شرائط الكاسيت وشرائط الفيديو وأسطوانات الليزر المسموعة والمرئية ثم أسطوانات الكمبيوتر، وكل هذه المصنفات لا تحتاج المراقبة فقط بقدر ما تحتاج لأن نحمى مؤلفيها والملكية الفكرية لأصحابها، وإذا لم نفعل ذلك ستتحول المسألة كلها إلى نوع من الفوضى، ثم أن الرقابة يجب أن تكون عنصراً مساعداً للمبدع بدلاً من أن تكون كما كانت طوال تاريخها سوطاً مسلطاً على حرية الإبداع».

هذه القناعة تصبح جديرة بالاحترام لو كان الإنتاج الفكري والأدبي والفني يعمل من أجل استمرار مسيرة الحياة، وليس لهدمها وتحويلها إلى ثقب إبرة لا يستطيع الناس أن يتنفسوا من خلاله إلا بصعوبة، هذا إذا استطاعوا أن يتنفسوا. ولأن لكل جهة وجهة نظرها فإن الأزهر أحيانا ما يتخلى عن قناعاته وجميعاً ويصادر ويمتنع القوة والبطش كتابات المفكرين يحاولون أن يجتهدوا، وكذلك تفعل الرقابة عندما تحذف مشهداً من فيلم أو كلمة من أغنية.. وقائع المصادرة والحذف كثيرة وإن دلت على شيء فإنما تدل على أنه لا توجد قواعد ثابتة أو معايير محددة تعمل على أساسها الرقابة أو مجمع البحوث الإسلامية بإدارتها المختلفة.

هذه العشوائية في العمل أدت إلى حدوث أكثر من صدام بين المجتمع والرقابة أولها كان في عهد حمدي سرور الذي أعلن أن الشرائط التي تحمل الخطب والمواعظ يجب أن تمر على الرقابة أولاً لتقول فيها كلمتها، مبادرة سرور كانت بسبب أن هذه الشرائط كانت تقدم فيما تقدم أفكاراً من شأنها أن تغيب المجتمع وتفصل الناس عن حياتهم وتصرفهم للتفكير في أمور غيبية ليس مطلوباً منهم أن يفكروا فيها من الأساس.

هذا الكلام لم يعجب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ونشر بياناً في مجلة «الأزهر» الناطقة الرسمية بلسان الأزهر الشريف وكل رجاله، نفى البيان أن يكون للرقابة شأن بهذه الشرائط لسبب بسيط هو أن ما يقدم فيها هو مادة دينية، وعليه فالأزهر وحده هو صاحب الاختصاص والفصل في شأنها، وما إذا كانت صالحة للعرض على الناس أم لا، هذا المنطق الذي حمله بيان مجمع البحوث يؤكد ما يعتقده علماء الأزهر وهو ضرورة التخصص فعالم الدين هو وحده المؤهل للحديث عن الدين.. ومن لم يدرس في الأزهر فليس له الحق في ذلك، هذا الخلاف لم يسفر عن شيء فقد استمر أصحاب شركات الكاسيت يرسلون لإدارة التأليف والترجمة والنشر ولجنة المشاهدة بمجمع البحوث الإسلامية بشرائط الكاسيت التي يرغبون في إصدارها وينتظرون موافقتها دون النظر للرقابة على أساس أن موافقة الأزهر على أي مادة دينية تجب ما قبلها، وإذا كان الأزهر معنا فمن علينا.. ليس لنا تعليق سوى أن نقول أن مجمع البحوث والذي يقف كجهة تكود

في وجه كثير من الكتب لم يصادر حتى الآن شريطاً واحداً من الشرائط التي وصلت إليه حتى لو تحمل أفكاراً غير منطقية بالمرة وكل ما تفعله لجنة المشاهدة هو كتابة تقرير يحمل عبارة متكررة هي «قامت لجنة المشاهدة بإدارة البحوث والتأليف والترجمة بمشاهدة ومراجعة الشريط الفلاني ومحتواه كذا.. ولا مانع لدى الإدارة من عرض هذا العمل على الجماهير لمشاهدته والانتفاع بما فيه من عظات غالية وثقافة إسلامية واعية» يحمل التقرير بعد ذلك توقيع مدير عام التأليف والترجمة فلان الفلاني...!!

الملاحظة الطريفة أن كل الشرائط التي صرح بها مجمع البحوث بالأزهر عظاتها غالية وثقافتها الإسلامية واعية، مع أن بعضها يحمل أفكاراً تعود بالمجتمع إلى ظلمات لا خلاص منها!!

الصدام الثاني كان بطله الناقد الكبير علي أبوشادي والسبب شريط التائبات الذي أنتج في إحدى الدول الخليجية وتولى توزيعه الفنان حسن يوسف من خلال شركته للإنتاج الفني.. المفاجأة غير السارة لحسن أن أبوشادي رفض تماما التصريح للشريط بالنزول للسوق المصرية وكانت قناعته أن الشريط يحمل قصصاً تتنافى مع الواقع والعقل فليس معقولاً أن كل الفنانات اللواتي تبن إلى الله جاءت توبتهن بعد زيارة الرسول لهن في المنام، لم تكن هذه القناعة فقط هي التي تحرك على أبوشادي ولكنه قال أيضاً أن عرض هذا الشريط بهذه الصورة يشكل خطراً على الحياة الفنية في مصر.. فكل الفنانات يعلن أنهن تركن حياة الضلال إلى حياة النور والهداية.. فهن يقلن بشكل غير مباشر أن الفن حرام.

حسن يوسف بلورة لم يقف صامتاً فعلاوة على أنه مقتنع بما جاء في الشريط فهو أيضاً يرغب في توزيع الشريط حيث الأرباح الطائلة التي تنتظره من ورائه. وتدخل كثير من الشيوخ وظهرت الحوارات مع حسن يوسف يصرح فيها بأن الرقابة تحارب حرية الرأي والفكر وتصادر حرية الآخرين في أن يقولوا ما يريدون، هذا الرأي وآراء بعض الشيوخ الأخرين لم ترهب رئيس الرقابة بل جعلته يزداد إصرارا على رأيه فهو لم يصادر حرية الفنانات التائبات في الإعلان عن أسباب توبتهن ولكنه يحافظ على حرية الآخرين

فى العمل والحياة، فحريتك تتوقف عند حدود حرية الآخرين. هذه المرة فإن الرقابة ولم تخضع لأى ضغط ولم يتم توزيع الشريط.

الصدام الثالث كان أبطاله على أبوشادى من ناحية ود. مصطفى محمود وشيخ الأزهر د. سيد طنطاوى من ناحية أخرى والسبب هذه المرة كان مسرحية كتبها د. مصطفى محمود ورغب المخرج جلال الشرقاوى فى إخراجها للمسرح. المسرحية التى كان عنوانها «زيارة للجنة والنار» رفض على أبوشادى أن تمثل على المسرح لأنها تتعرض لغيبيات لا يعلم أحد كيف تكون سوى الله، ثم أن د. مصطفى ادخل من يشاء الجنة ومن شاء النار وهذا أمر لا ينبغى إلا لله، قامت قيامة د. مصطفى محمود إذ كيف تعترض الرقابة على عمل إسلامى له وهو الكاتب الإسلامى الذى لا يشق له غبار، وبحركة غير مسبوقة كان قد حصل د. مصطفى على موافقة وإشادة من شيخ الأزهر بالمسرحية واعتبر ان موافقة الرقابة تحصيل حاصل لكن الرقابة صدمته فأخرج الخلاف إلى الصحف وأكد أنه ليس من المعقول أن ترفض الرقابة نصاً وافق عليه الأزهر.

ويصل الصدام إلى ذروته عندما يصرح على أبوشادى بأن موافقة شيخ الأزهر على نص معين لا يعنى أن رئيس الرقابة يبصم عليه دون أن يبدى وجهة نظره، ورداً على هذه الإهانة اجتمع مجمع البحوث الإسلامية وأشاد مرة أخرى بالمسرحية ليؤكد ما سبق وقاله شيخ الأزهر بل وزادوا على ذلك بأن المسرحية تدعو إلى تقوى الله وتساعد على تثبيت الإيمان عند الناس، رغم هذا الإصرار من الأزهر على أن تخرج المسرحية للنور لكن ذلك لم يحدث.. وانتصرت وجهة نظر الرقابة مرة ثانية.

قد تقول أن هذه المواقف لا علاقة لها بالشرائط نقول لك نعم فنحن فقط نسجل شكل العلاقة بين الأزهر والرقابة وليس الهدف بالطبع أن نزيد شعلة الخلاف بينهما فالهدف فقط أن تكون هناك صيغة واحدة يعرفها الناس وعلى أساسها يتم تقييم شرائط خطب ومواعظ شيوخ التطرف، ويتم بالتالى الوقوف أمامها بقوة ليس بهدف مصادرتها طبعاً - فلسنا دعاة مصادرة - ولكن لغربلتها حتى لا يتسرب أى فكر هدام يغيب الناس ويكفر المجتمع إلى السوق. وهذه الشرائط فى الغالب فى متناول الجميع

وأسعارها لا تتجاوز الثلاثة جنيهات، فالأزهر ليس دوره أن يكون خصماً للرقابة - أو هكذا المفروض - ولكنه يجب أن يكون عاملاً مساعداً فى أن تقوم بدوره.. نرى ذلك مهما للغاية خاصة بعدما قاله رئيس الرقابة الحالى د. مدكور ثابت مؤخراً عن الضغوط التى تتعرض لها الرقابة من جهات بعينها قال «هناك ضغوط طوال الوقت على الرقابة.. ففى الستينيات كان هناك رقابة على الرقابة من قوى معينة، فى التسعينيات أيضاً هذه الرقابة موجودة لكن بشكل آخر إلى الدرجة التى أنكر معاناتى منها كمسئول عن الرقابة».

الرجل لا يعانى وحده، ولكن العاملين معه فى الرقابة يعانون أيضاً ويتأثرون بالعديد من الضغوط وهم معذورون. فالرقيب عندما يشعر أنه مطارد بكرباج قد يقسو عليه فمن المؤكد أنه سيبادر بالمصادرة والحذف تجنباً لما قد يحدث من مشاكل، بما يعنى أن الرقيب قد يكون مقتنعاً بإباحة فيلم أو أغنية لكنه يبادر بالمصادرة حتى يتجنب الهجوم عليه.

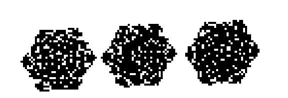
مالم يقله رئيس الرقابة أن هذه الضغوط قد تطالبه أحياناً بعدم المصادرة وبالإباحة على الأخرى إذا كانت الأفكار أفكارهم والشرائط شرائطهم، ويضطر أيضاً للموافقة خوفاً من الهجوم وربما التكفير وجرائم أخرى من قبيل المؤامرة على الإسلام. فهل يعى الأزهر ذلك فيتدخل لصالح أن تقوم الرقابة بعملها فى محاربة الأفكار الهدامة.. نسأل الله أن يعى الأزهر ومجمعه ذلك.

■■■

9

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

الغلابة



هل يمكن أن ترسم صورة حتى ولو مبسطة لحياة الموظف المصرى.. هذا الكائن القديم الأزلى.. الذى تقابله كل مشاكل الدنيا - حياته نفسها مشكلة - لكنه يعيش الحياة ببساطة.. ينسى همومه.. يستقبل يومه وكأنه ولد لتوه.. اهتماماته محصورة فى كيفية إنفاقه لمرتبه طوال الشهر، خاصة إذا كان المرتب لا يكفى لآخر الشهر.. فالموظف المصرى يتحول إلى حاو.. ساحر يأتى بالأعاجيب كى يكمل الشهر بجنيهاته القليلة.. يضرب به المثل فى الصبر والتحمل.. فهو طوال حياته الوظيفية يتحمل رذالات رؤسائه.. الذين يتفننون فى إيذائه لوجه الله.. يخرج من عمله وكأنه خارج من الجحيم.. يحشر نفسه فى أول أتوبيس يصل به إلى بيته.. هذا إذا كان موظفا قاهريا.. أما إذا كان موظفاً من أبناء الأقاليم فهو يحشر نفسه فى سيارة ميكروباص من مقر عمله إلى بيته.. وفى الأتوبيس أو الميكروباص يعانى الموظف من زحام رهيب تخنقه رائحة العرق وأنفاس من حوله الذين يبحث كل منهم عن فرصة حياة كريمة.

وعندما يعود إلى بيته لا يجد سوى المشاكل، مشاكل مع زوجته، مشاكل مع أولاده.. مصاريف مدارس.. ونتائج امتحانات.. ومصاريف ملابس.. ومصاريف فى أشياء غير مهمة على الأطلاق، لكنها مصاريف والسلام.. خاصة والتليفزيون لا يرحم يقذف فى وجوه غلابة هذا الوطن بسلع لا يحتاج إليها فى الواقع، لكنه يحاصر بمن يلح عليه بأن يشترى وبأن يدفع، راجع فقط الاعلانات عن شنط المدارس.. وتخيل موظف عنده أربعة أو خمسة أولاد.. كم يدفع كى يشترى لهم شنطا..!! وهذا مثال فقط.

وشيوخ المساجد عندنا فى النهاية موظفون فى الحكومة ينتظرون رواتبهم بلهفة من

يوم ٢٠ فى الشهر، كل واحد منهم له قصة.. احلام وطموحات.. وكلها تتضاءل أمام الدخل الزهيد.. وضغوط الوظيفة.. كل ذلك يؤثر على أداء الشيوخ.. فأى موظف ينتهى عمله الساعة الثانية.. لكن أى شيخ جامع لا ينتهى عمله ابدا.. فهو مع الناس طوال اليوم.. مع الناس في صلاتهم.. والصلاة خمس مرات فى اليوم وإذا قال انه فى أجازة.. قالوا يا شيخ هو فيه اجازة من الصلاة..!! لا نريد أن نسترسل كثيراً فى واقع شيوخ المساجد كموظفين.. فقط نستعرض دراسة قام بها د. عبدالفتاح عبدالنبى.. الدراسة نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة الزقازيق.. عنوانها دال للغاية «المؤثرون.. دراسة نماذج أئمة المساجد فى بناء الاتصال».. ومع دلالة العنوان العميقة.. لكننا لا نستطيع أن نسلم بصحته.. نستعرض تفاصيل الدراسة.. أما العنوان فنؤجل مناقشته قليلاً.

فالضغوط المهنية والمشكلات التى يواجهها الأئمة فى ممارستهم لمهامهم كثيرة، وهى فى الوقت نفسه تحدد لنا قدرة هؤلاء الشيوخ على أداء عملهم على النحو المطلوب او بشكل فيه بعض القصور[1].. فبعض الدعاة يرون أن مهمة الإمامة مهمة شاقة تمتد لتشمل جميع مناحى الحياة، كل أمور الدين والدنيا، وهذا جعل وزارة الأوقاف تلزم الإمام ان يظل موجودا فى مسجده من العصر حتى صلاة العشاء ولا يترك مسجده خاليا مهما حدث.. وعلى ذلك فهذه هى الحدود الزمنية لوظيفة شيخ المسجد والتى يستطيع ان ينهى أى شىء غير بقائه فى المسجد خلال هذه الفترة والا يكون بذلك مخالفا للقانون.. والقانون فى الغالب لا يرحم.

هذا يجرنا إلى الحديث عن العلاقة بين وزارة الأوقاف كجهة حكومية وبين الشيوخ وهم الموظفون التابعون لها.. والصلة فى كلمة واحدة هى «المفتش».

يرى الجانب الأكبر من الدعاة أن العلاقة بين المفتش وشيخ المسجد علاقة متوترة غير سوية، فالمفتش لا يقدر عادة مجهود الإمام ويتعمد إحراجه أمام الناس، ويغفل رأى الإمام ويأخذ برأى الأهالى الذين لهم فى الغالب رأى سلبى فى سيدنا الإمام الاكثر من

[1] محتفظ بنسب الدراسة بعيداً عن عين القراء.. فنحن نبحث عن المعانى لا الأرقام

ذلك هو إحساس الشيوخ أن الإمام لا يأتى إلى المسجد فى المقام الأول إلا لاصطياد الأخطاء التى سيضمنها فى تقرير يرفع إلى أصحاب القرار.

وللتحديد فهناك ثلاثة مصادر للتوتر وسوء العلاقة بين الإمام والمفتش أولا.. قضية ارتداء الزى الرسمى، حيث يرى بعض الأئمة وبالذات غير المقيمين بالمنطقة التى يوجد بها المسجد أن ارتداء الزى الرسمى باستمرار مسألة صعبة فيما يتعلق بالتنقل، وغسيل الملابس وما يلاقونه من بهدلة فى المواصلات.

ثانيا.. الوجود فى المسجد فى الفترة الزمنية المحددة من صلاة العصر وحتى صلاة العشاء، وما قد يتضارب خلال هذه الفترة من قيام الإمام بواجب عزاء أو مجاملة أو تلبية امر طارئ، يتطلب وجوده بعيداً عن المسجد.

ثالثا.. الشكاوى التى ترد من الأهالى ضد الإمام، وحضور المفتش وتبنيه لرأى الأهالى وليس الإمام، فضلا عن الالتزام بما يرد من تعليمات بشأن طبيعة الدروس وخطبة الجمعة.

والمواقف الدالة على ذلك كثيرة منها

● حدث بإحدى قرى مركز بنى مزار حيث حضر الباحث بسيارة البحث المكتوب عليها حكومة وعندما سأل الأهالى عن الإمام.. قالوا انه ليس موجوداً، وهرع عامل المسجد للبحث عنه، وجاء بعد حوالى نصف ساعة وهو يلهث وازداد رعبا من مشهد السيارة والغرباء، ولم يتمكن من تمالك نفسه أو استعادة توازنه إلا بعد فترة طويلة وبعد تأكيدات ان هؤلاء الغرباء ليسوا تابعين لوزارة الأوقاف.. كان تعليق الشيخ دالاً وموجعا.. حنعمل إيه المعيشة غالية..

● وفى مدينة الزقازيق حضرت لجنة تفتيش دينى ولم يكن إمام المسجد مرتديا لزيه وبحضور الإمام تمتم أحد الأعضاء اللجنة «برضه مش لابس الزى.. مفيش مكافأة» وانصرفت اللجنة ورد الامام بعد انصرافها معلقا «والله نعمل إيه.. يخصموا زى ما هم عاوزين»

● والمؤسف ان هذه العلاقة تكون جيدة أحيانا.. لكن لأسباب شخصية بعيدة كل البعد من الموضوعية ومواصفات بينة.. فإذا كان الإمام صديقا للمفتش او بلدياته مثلا فإن

التقارير كلها تكون ممتازة.. ولن نذهب بعيداً.. ففي دمياط تأخر إمام المسجد عن موعد صلاة الجمعة وبعد أن أذن المؤذن جلس الناس ينتظرون.. وبعد عشرة دقائق صعد أحد أبناء البلدة وأدى خطبة الجمعة حتى لا يصلي الناس ظهراً، لكنه أتم خطبته بحضر الإمام ويبدو أنه تأخر مضطراً، وبعد دقائق من وصول الإمام حضر المفتش.. وظن المصلون والحاضرون في المسجد أن المفتش سيقلبها على رأس الإمام لتقصيره الشديد.. ولكن فوجيء الناس أن المفتش بعد نهاية الصلاة يعانق شيخ المسجد ويأخذه للحجرة الملحقة بالمسجد.. يتسامران.. وبيده كتب المفتش في دفتر المتابعة أنه حضر للمسجد ووجد الإمام يؤدي خطبة الجمعة وكان يتحدث في موضوع كذا.. ثم توقيع المفتش الكريم.

فلا ذكر لتقصير.. مادام المفتش صديقاً للإمام الذي من المؤكد أنه معجب بالأغنية الشهيرة.. وناسبنا الحكومة..!!

شيء آخر مهم وحساس يمثل ضغطاً على الأئمة.. تمارسه وزارة الأوقاف وكأنه حق سماوي من حقوقها، فهناك قيود مفروضة على نشاط الأئمة وخطباء المساجد في مجال الإعداد للدروس وخطبة الجمعة وهذه القيود تتمثل في تحديد موضوعات هذه الدروس والخطب والمحاور الأساسية التي ينبغي على الأئمة تناولها.

الوزارة تمارس هذا الحق بمنتهى الحدة والقسوة ولا تسامح من لا يلتزم به.. والأئمة بدورهم يعتبرون هذه التعليمات قيوداً تحد من نشاطهم وتضعف من مصداقيتهم لدى الناس، وقد يسبب معرفة الناس لهذه الحقيقة حرجاً بالغاً لهم.. فهم بذلك يتعرضون لسخرية الناس على هؤلاء الدعاة الذين يتلقون موضوعاتهم من فوق.. خاصة إذا كان هناك موضوع مهم يجب أن يتحدث عنه الامام ويكون ماساً بحياة الناس الذين يصلون مع الإمام.. وبعد نفسه للحديث في هذا الموضوع الحيوي.. تجد تعليمات الوزارة قد طلبت منه أن يتحدث عن الانتماء عند الشباب، أو المشاركة في الاستفتاء على الرئيس، أو التمسك بالاخلاق الحميدة وضرورة التمسك بقيم المجتمع الذي نعيش فيه.

وحسب ما جاء في الدراسة فقد يكون هناك جريمة قتل وقعت أمام المسجد أو حادث

اغتصاب أو سرقة في المنطقة أو نزاع بين بلدين والمفروض في الإمام أن يتفاعل مع هذه الأحداث، لكنه لا يستطيع بفعل الرقابة الصارمة المفروضة على الامام ليس فقط من قبل وزارة الأوقاف ولكن من قبل جهاز المباحث، وأدنى تجاوز أو خروج عما ورد من تعليمات على المنبر يعني توقيع الجزاءات التي قد تشمل الخصم من المرتب أو الحرمان من المكافآت المحدودة أصلاً، أو منعه من الخطابة نهائيا أو نقله من جامع كبير يؤمه الناس من كل صوب وحدب إلى مسجد صغير مهجور وهذا الأمر لا يقتصر فقط على الشيوخ الصغار الذين يمكن أن تقول أنهم لا حول لهم ولا قوة.. ولكنه حدث مع الشيوخ الكبار أمثال الشيخ عمر عبدالكافي الذي رأت الدولة أن أفكاره تمثل خطراً على مصالحها وحرم من الخطابة نهائيا وتحول مسجد أسد بن الفرات في شارع الدقي من ميدان يقصده المصلون من كل مكان إلى مسجد عادي للغاية. حدث ذلك أيضا للشيخ عبدالصبور شاهين الذي حرم من صعود منبر جامع عمرو بن العاص بقرار من وزارة الأوقاف والتبرير أنه ليس حاصلاً على ترخيص من الوزارة بالخطابة.

وتخيل أن الإمام إذا خرج عن الخط المرسوم له يمكن وبمنتهى البساطة أن يقوم المخبرون السريون بضربه ضربا مبرحاً وهو يسير في الطريق لا له ولا عليه وهذه المعلومة تحديداً ذكرها أحد خطباء المساجد.

تعالوا نقترب من الصورة أكثر..

فعندما سأل الباحث الشيوخ عن همومهم ومشكلاتهم.. توالت الاجابات.. فعلى المستوى الشخصي يشكو الأئمة من غلاء المعيشة وقلة الدخل، وعدم قدرة بعضهم على الزواج، وبعد المسجد عن محل إقامة بعضهم ومن ثم انشغالهم في تدبير قوت الحياة اليومية للأسرة التي هو في النهاية مسئول عنها، وعدم حفظ القرآن الكريم كاملاً، والخوف والرهبة الشديدة من الجمهور خلال خطبة الجمعة، وعدم الثقة بالنفس، والشعور بالعجز والقهر النفسي وضعف الحصيلة العلمية. وعندما تضع هذه الهموم أمام عينيك فإنها تمثل في الوقت نفسه سمات لقطاع كبير للغاية من شيوخ المساجد هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم وبدون مقدمات يقفون على المنابر وهم وجها لوجه مع جمهور

متحفز يجلس معظمه كي يتصيد الأخطاء لهذا الشيخ الإمام الذي يقف على المنبر يعمل فيها أبو العريف..!!

وعلى المستوى الوظيفي . وهم في ذلك مثل معظم موظفي الدولة - يعانون من الروتين والتعليمات القاسية الصارمة من الوزارة، والمعاملة السيئة من جانب الرؤساء ونظرة الاحتقار والتفاهة التي يوجهونها إلى بعض الأئمة، وعدم توافر الكتب أو اكتمالها، والصراع بين العاملين في مجال الدعوة، والتمييز بين الأئمة وعدم أخذ المستحقات من حوافز ومكافآت بسهولة والتأخير فيها وانحصار الدعوة في المساجد، عدم القدرة على شراء الجرائد والمجلات والكتب..

أما ما يعانيه الشيوخ من الناس والذين هم المصلون فهو كثير، خاصة من أعضاء مجالس إدارات المساجد.. فهم مثل العقبة الكئود لا يرحمون الأئمة من الشكاوى والقدح في حقهم. ثم أن أي شيخ مسجد في مصر حاليا يعاني من انعدام ثقة الناس فيه فهم يعتبرونه مجرد عميل للحكومة، وبالتالي فهو غير أمين عليهم.. فالناس من الأساس يفقدون الثقة في كل من يرتبط بالحكومة بصلة.

ثم نصل إلى نتائج هذه الدراسة المهمة التي أثبتت..

● تدهور المكانة الاجتماعية والأحوال الاقتصادية للأئمة، وأظهرت بيانات السن أن الجانب الأكبر من أئمة المساجد يتميز بصفة عامة بالحداثة وصغر السن وبالتالي محدودية الخبرة.

وكان ذلك بفعل انتقال الأئمة من كبار السن للعمل الإشرافي أو التوجيهي طبقا للتدرج الإداري أو الوظيفي بوزارة الأوقاف، وسياسة التوسع في التعيينات الجديدة بغية تغطية العدد الأكبر من المساجد بالأئمة التابعين للوزارة، وعدم ترك ساحات هذه المساجد للجماعة الدينية المناهضة للحكومة.

● عدم التأهيل الجيد للأئمة للعمل في مجال الدعوة فمعظمهم حاصلون على مؤهل دراسي ليسانس أصول الدين (عام) أي من غير قسم الدعوة المختص بإعداد وتأهيل الدعاة، ومنهم حاصلون على ليسانس دراسات إسلامية، وكان لذلك انعكاساته السلبية على الكفاءة الاتصالية أو القدرات التأثيرية للأئمة.

● أظهرت بيانات مهنة الأب أن غالبية آباء الأئمة يمتهن أو كان يمتهن أعمال الفلاحة (مزارع) ثم بعض الآباء يعمل في أعمال حرفية مثل الجزارة أو البناء ثم تأتي الوظائف الحكومية العادية (كاتب صحة - مدرس...) والوظائف الخدمية مثل الحراسة، خدمة المساجد، ولم يظهر من بين آباء الشيوخ من يحتل أو كان والده يحتل مركزا إداريا أو وظيفيا مرموقاً، أو حيازة زراعية أو عقارية أو مشروعات تجارية أو صناعية لافتة للنظر أو توحي بغنى اجتماعي أو اقتصادي فالأئمة ينحدرون في النهاية من أصول اجتماعية عادية أو متواضعة، وعلى خلاف العادة وحيث يؤدي تواضع المكانة الاجتماعية الاقتصادية إلى ضعف الهيئة أو النفوذ، فإن تواضع المكانة الاجتماعية للأئمة لا يسبب على ما يبدو في الواقع أية حساسيات أو مشاكل نفسية حيث يسود لدى الأئمة الاقتناع بأن مكانتهم لدى الآخرين مستمدة أساساً من مكانتهم الدينية ووقار مظهرهم العام وحملهم للقرآن قبل أي شيء آخر.

● نسبة كبيرة من الأئمة غير قادرة على الزواج، ويشكل لهم ذلك ضغطاً نفسياً شديداً لما يمثله من تناقض بين ما يؤمنون به من أهمية الزواج المبكر، والنظر إليه باعتباره نصف الدين وبين عجزهم التام أمام الآخرين عن تحقيق هذا الشرط، وينعكس ذلك فيما بعد على سلوك هؤلاء الأفراد.

● أظهرت بيانات الإعالة الارتفاع النسبي الكبير في حجم الإعالة للشيوخ سواء المتزوجين أو غير المتزوجين، وهو الأمر الذي يجعلهم من أكثر الناس شكوى أو إحساساً بالغبن، وضغوط الحياة المادية وخصوصا مع انخفاض المرتبات التي يتقاضونها.. ولذا فهم مضطرون في النهاية إلى ممارسة أنشطة أخرى بخلاف مهنة الإمامة لتحسين دخولهم ولمواجهة ضغوط الحياة.. ومع ذلك فهناك أعداد كبيرة من الدعاة لا تستطيع أن تنكر للمعيشة المتردية التي يلاقيها بعضهم، ويظهر ذلك واضحاً في انخفاض حيازتهم للعديد من الأجهزة والأدوات الكهربائية، باستثناء الراديو والغسالة الكهربائية العادية.

● العديد من الدعاة إما ليس لديه تصور ومعرفة بوجود مشاكل أو خلافات بين الأفراد (ما فيش خلافات والحمد لله) أو أن وعيه ودرجة إدراكه لهذه الخلافات تبدو

سطحية ومحدودة إلى حد كبير.. مشاكل بسيطة وخلافات عادية زى اللى بتحصل فى كل مكان، وحتى الذين يدركون خلافات الناس فهى لا تخرج عندهم من إطار الانحلال الخلقى والدينى والفراغ لدى الشباب والبطالة وعقوق الأبناء وأن الأطفال والنساء وراء كل المصاعب، وإن الحل يكفى لدى غالبية الأئمة فى العودة إلى المنبع الأصلى وهو الإسلام ومن خلال حفظ القرآن والأحاديث النبوية، وهى أحاديث وتصورات لا تفرق بين السبب والنتيجة أو بين الشكلى والجوهرى، وانحصار الاهتمام بالجانب الخلقى بحيث أصبح هو الأساس لديهم، وإن كان هذا المفهوم ليس كافياً لفهم وتفسير ما تعانيه البيئة من مشكلات جوهرية وبالذات مع تزايد الضغوط المادية وتعقد مشكلات الحياة اليومية التى يلاقيها الأفراد فى تدبير قوت يومهم.

● يرى البعض أن مكانة رجل الدين فى المجتمع أصبحت مكانة ضعيفة للغاية لأن الناس بالفعل فقدت الثقة برجل الدين حيث لا يلتزم فى كل أعماله بمنهج الله، فهو يلتزم أكثر بما يأتى إليه من الوزارة، وهى فى الغالب موضوعات لا تمت للدين بصلة. لأن الإمام أصبح مرتبطا بالمسجد ولا يعرف سوى حفظ القرآن والصلاة وبعض الأحاديث. ثم يأتى دور الإعلام الذى يشوه صورة رجل الدين.. وكلها أسباب تشير إلى تراجع مكانة رجل الدين فى المجتمع المصرى فى الوقت الراهن.

قدمت الدراسة بعض الجوانب النظرية التى لا استغناء عنها وهى موجودة بالفعل.. وحتى يتم ذلك فليس أمامنا سوى أن نتأمل واقع الشيوخ تأملاً موضوعياً، وليس كما رد أحد مديرى مديرية أوقاف ذات مرة لشيوخه عندما شكوا له سوء حالهم وأنهم فى حاجة ماسة لرفع مرتباتهم.. فرد عليهم الرجل بمنتهى البساطة.. يا جماعة احمدوا ربنا على الصحة.. زيادة مرتبات إيه.. احمدوا ربنا إن مفيش واحد فيكم معوق من غير رجل أو إيد.. صلوا على النبى فى قلوبكم.. صلوا..!!..

■■■

10

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

ثقافة السادة الدعـــاة



وهذا جانب آخر تمدنا هذه الدراسة القيمة بمعلومات دقيقة عنه.. نتحدث باسادة عن ثقافة الدعاة حيث لا يستطيع اى واعظ أو داعية أن يكتفى بما درسه فى الأزهر الشريف من معلومات فى القرآن والحديث والفقه والسيرة ليخرج بها على الناس بعظهم ويعالج مشاكل حياتهم لسبب بسيط أن ما يحصله الطلبة فى الأزهر هو شىء هزيل للغاية لا يمكن أى داعية أن يلم بقضايا الناس المعاصرة، من خلاله وهوه ما يجعل الدعاة فى حاجة لأن يقرأوا ويطلعوا ويلموا بمعارف شتى، وزارة الأوقاف لا تترك دعاتها فهى تصرف لهم بدل قراءة ـ يصل إلى ١٨ جنيهاً فقط!!، وتصرف لهم أحياناً أخرى بعض الكتب التى تساعدهم على أداء عملهم، بعد البحث والمتابعة تصدرنا ملاحظة مهمة للغاية وهى أن الدعاة عندنا لا يقرأون إلا فى التراث سواء كتبه القديمة أو الكتب التى تصدر على ضوئها ويكتبها بعض شيوخ الأزهر أيضاً مصممين على أن حلول كل مشكلتنا فى تراثنا الذى لن ننكر أهميته لكن بعد التطوير والتحديث والتعديل!! وكان السؤال.. هل يتابع الدعاة الصحف؟.. هل يشاهدون التليفزيون؟ هل قرأوا مثلاً الكتب التى ثارت بسببها معارك وخلافات وصلت للمحاكم مثل كتب نصر حامد أبوزيد وسيد القمنى وحسن حنفى وخليل عبدالكريم؟!

لن نتطوع ونجيب بشىء يظلم الدعاة أو يكون فى صفهم، الإجابة نحصل عليها من سطور الدراسة العملية الجادة السابقة.. أجرى الباحث مقابلات مع مائة وثمانية داعية وواعظ، وجه لهم الأسئلة وحصل منهم على الإجابات التى تعكس ثقافتهم وطرق حصولهم عليها.. المسألة إذن ليست ذماً أو حطاً من شأن الدعاة ولكنها محاولة لمعرفة

ماذا يقراون.. هذا إذا كان يقراون.. لن نهتم كثيراً بالأرقام والإحصائيات والجداول التى امتلأت بها الدراسة.. يهمنا فقط ما قاله الدعاة.. ويهمنا أكثر ما وراء الكلمات.

نبدأ بالكتب حيث وصل الباحث إلى أن الدعاة يقرأون الكتب وذلك ربما تحت ضغط الحاجة إلى ممارسة مهامهم فى مجال الدعوة، حيث تعد الكتب المصدر الوحيد الأساسى الذى يستعان به لتزويدهم بالمعلومات والمعارف عن الموضوعات التى يتناولونها سواء خلال الدروس اليومية أو خطب الجمعة أو حتى المناقشات مع الناس، ٨٠٪ من الدعاة يقراون الكتب دائماً وبانتظام كأحد أهم واجباتهم اليومية.

واللافت للنظر هو اقتصار قراءة الدعاة على الكتب الدينية فقط، ويندر قراءتهم للكتب الأخرى فى مجالات العلوم الإنسانية المختلفة، ربما بفعل عجزهم التام عن الحصول على هذه الكتب، أو بفعل - وهذا لم تقله الدراسة - عدم اقتناع بعض الأئمة بأهمية هذه الكتب وعدم اتصالها المباشر بالموضوعات التى يقدمونها للناس، ومن أهم الكتب التى تتوافر عند الدعاة وتعتبر دعامات مكتباتهم الفتاوى ومعجزة القرآن للشيخ الشعراوى، تفسير ابن كثير، كتاب فقه السنة والعقائد للسيد سابق، أدب الدين والدنيا لحسن البصرى، التيارات المعادية للإسلام ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى، قصص السنة لأحمد عمر هاشم، إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى، والروح لابن القيم، وأصول الفقه لمحمد الغزالى، وتربية الأولاد فى الإسلام ووصايا الرسول للشيخ سنه العتيقى، وورثة الفردوس للشيخ كشك، ونور اليقين لسنة سيد المرسلين، ونظام الحكم فى الإسلام والإعلام فى القرآن لعبد القادر حاتم.

وكما ترى سيادتك فاستعراض هذه الكتب يؤكد انحسار اطلاع الأئمة على الكتب العامة وشدة ارتباط التثقيف بالكتب والمؤلفات الدينية التى يستعان بها فى ممارسة مهام الدعوة.

●●●

ننتقل إلى الجرائد لنرى عجباً فقد أكدت الدراسة أن الجانب الأكبر من الدعاة يرون أن الجرائد إما وسيلة هدامة لا تخدم الدعوة أو غير صادقة وأمينة، الأخطر من ذلك أن

الدعاة يرون أن الجرائد فى مجملها تابعة للحكومة وللسياسيين والعلمانيين ولا تخدم بشخصية الداعية، قد يكون الأمر أكثر وقعاً إذا نقلنا لك ما قاله الدعاة من الجرائد نصاً فقد قالوا إنها مضللة وتزيف الحقائق ولا تعبر عن رأى الشعب وتروج لأخبار كاذبة تعمل على محو الدين وبث العلمانية، ثم هى فى النهاية مضيعة للوقت ولا تفيد.

وحتى من قالوا أن الصحف يمكن أن تكون ممتازة وضعوا لذلك شروطاً منها أن تكون الصحف صادقة وتخصص مساحة أكبر للصفحات الدينية مع انتظامها وأن النهج الإسلامى فى معالجة موضوعاتها وهى شروط تشير إلى أن الذين يقراون الصحف من الدعاة لا يرضون عن الممارسات الحالية لها!!

هذا الموقف العدائى من الصحف تعكس على درجة تعود الدعاة على قراءة الصحف والأرقام هنا مهمة، واقرأ ياسيدى ٦١٪ من الدعاة يقراون الصحف أحيانا وبالمصادفة، ١١٪ لا يقرأونها على الإطلاق، ٢٨٪ يقراون الصحف بانتظام.. مع احتفاظهم بكافة التحفظات التى يأخذونها على الصحف فهى غير صادقة وأمينة.

المؤسف أن بعض الدعاة اشتكوا من عدم قدرتهم على شراء الجرائد والمطبوعات عامة بسبب غلاء أسعارها ومحدودية دخولهم، ولعل ذلك بالإضافة لموقف الدعاة العدائى من الصحف هو ما يؤكد ضعف الارتباط الفعلى لجماعة الأئمة بالجرائد. ولذا فالصحف الدينية هى التى تتصدر اهتمامات الدعاة فهم يقراون اللواء الإسلامى والنور وعقيدتى ولواء الإسلام والتوحيد ومنبر الإسلام وهى على فكرة مجلة وزارة الأوقاف وحتى عندما يقرأ الدعاة الصحف العامة فهم يتجهون إلى مقالات بعينها فهم يقراون مقالات مصطفى محمود وأحمد بهجت وثروت أباظة وجمال بدوى.

●●●

رأى الدعاة فى الصحف كان قاسياً. والرأى فى التليفزيون كان أكثر قسوة و ٧٠٪ من الدعاة عينة الدراسة ينظرون الى جهاز التليفزيون باعتباره وسيلة هدم وفساد فى المجتمع ومرة ثانية هذه بعض تعليقات الدعاة على التليفزيون فقد قالوا.. هو جهاز فاشل ويقلد الثقافة الغربية ووسيلة لتدمير عقول الشباب، نحن نعطى الجرعة الطيبة

والتليفزيون يعرض الرقصات الخليعة، هو وسيلة لإفساد الأخلاق وإفشاء الرذيلة، القائمون عليه شيوعيون وعملاء، وهو كذلك رأس الفساد والبلاء بملء الفم. هو أيضاً غير الناس تغييراً جذرياً وأفسد أخلاقهم وطباعهم، ثم هو في النهاية وسيلة شيطانية.

حتى الآن أصدقاؤنا الدعاة حددوا موقفهم من التليفزيون كجهاز، موقفهم مما يقدمه التليفزيون كان أفظع، فهم يرون فيما يقدمه التليفزيون من أفلام ومسلسلات وإعلانات تليفزيونية مخالفة لتعاليم الإسلام الصحيح وإفساد لما يسمى الدعاة لإصلاحه. لا نستطيع بالطبع أن نغفل كراهية الدعاة للتليفزيون بسبب تشويه صورة رجل الدين في المجتمع وأنه كذلك أحد العوامل الرئيسية وراء تراجع مكانة الأئمة لدى الناس.. فالحكاية تار بايت إذن!!

هذا الرأي من الدعاة في التليفزيون فسر لنا ما يفعلونه في خطبهم حيث أن ممارسات التليفزيون كثيراً ما تكون مادة للتندر والسخرية والاستشهاد على تفشي الفساد، يتم ذلك فوق المنابر وخلال الدروس اليومية، وضع هذا الموقف العدائي للتليفزيون أيدينا على سر تشكك وتشكيك الدعاة في جميع الحملات التي يسعى التليفزيون إلى ترويجها وبالذات حملاته في مجال تنظيم الأسرة.

تعالوا نكون أكثر تحديداً ونرصد إيجابيات وسلبيات التليفزيون كوسيلة إعلامية من وجهة نظر الدعاة ـ وكما رصدت الدراسة ـ فهم يرون إيجابياته في برنامج الشيخ الشعراوي، ونشرة الأخبار وعالم الحيوان وبرنامج مصطفى محمود. أما المساوئ فعديدة وتتعلق بالأفلام الهابطة والبرامج السخيفة فالخلاعة في الإعلانات وشرب الخمر ومعانقة النساء. بعد ذلك من الطبيعي أن تعرف أن نسبة ٧، ٢٪ فقط من الدعاة يشاهدون التليفزيون باستمرار. الباقون أجابوا على سؤال الدراسة الذي يقول هل أنتم متعودون على مشاهدة التليفزيون؟ بأحياناً واختفت تماما الإجابة بدائماً!!

كشف الحوار مع الدعاة الذين قالوا أنهم يشاهدون التليفزيون عن برامجهم المفضلة زيادة الميل العام لإنكار مشاهدتهم للأفلام والمسلسلات والإعلانات وحديثهم عن مشاهدة البرامج الدينية والثقافية فقط وهو أمر غير منطقي على ضوء انتقاداتهم

بالمواضع الشديدة لهذه البرامج إذ كيف ينتقد الإنسان شيئاً لم يشاهده؟ والمؤكد أنهم يشاهدون هذه البرامج ولكنهم لا يعبرون عن ذلك على المستوى اللفظي، الأمر الذي يشير إلى ازدواجية واضحة عند الدعاة.

موقف الراديو يختلف قليلاً فوجهة نظر الدعاة فيه أفضل من وجهة نظرهم في التليفزيون فهم يرونه مهماً ومفيداً وطيباً ووسيلة حسنة ووسيلة ناجحة جداً لا بأس به، فهو وسيلة تربط بين الشعب والمجتمع، وكذلك وسيلة فيها برامج شيقة. لكن لم يمنع هذا أن ٢٠٪ من الدعاة محل الدراسة يؤكدون أن الراديو ليس به سوى محطة القرآن الكريم وما عداها من محطات أو برامج فجميعها عبث لا فائدة منه. هذا لا يمنع بالطبع أن نعرض لنسب استماع الدعاة للراديو ٧٠٪ منهم لا يسمعون سوى إذاعة القرآن الكريم فقط وإن كان الملاحظ أن الدعاة عجزوا عن تحديد أسماء برامج بعينها حتى في إذاعة القرآن الكريم، الـ ٣٠٪ الباقية أكدت ميلها بالإضافة إلى سماع البرامج الدينية استماعها لنشرات الأخبار والبرامج السياسية وهي كما وردت في إجابات الدعاة برامج «زيارة لمكتبة فلان وهمسة عتاب ولقاء الشيخ الشعراوي وشاهد على العصر وأقوال الصحف ولغتنا الجميلة وعلى الناصية وربات البيوت»، وهي كما ترى برامج تذاع إما في الصباح الباكر أو في ساعات متأخرة من الليل، وهي على ما يبدو الفترات التي تتزايد احتمالات تعرض الدعاة خلالها للراديو أما بقية الفترات فتكاد تكون معدومة بالنسبة للغالبية العظمى منهم.

لم تتعرض الدراسة طبعاً لموقف الدعاة من السينما والمسرح لأنهما في نظر الدعاة جميعا رجس من عمل الشيطان، ومن المستحيلات مثلا أن ترى شيخاً يرتدي الزي الأزهري يقف أمام شباك تذاكر سينما أو مسرح يقطع تذكرة ليشاهد فيلما سينمائياً. لكن لو حدث وتكرر فسيصبح الأمر عاديا للغاية، ليست هذه دعوة لأن يدخل الشيوخ السينما والمسرح فهم في النهاية أحرار فيما يفعلونه.

●●●

ولأنه لابد من نتيجة لهذا الجزء من الدراسة التي أعدها د. عبدالفتاح عبدالنبي فقد بحثنا عنها ولم نجدها من أثر عدم تعرض الدعاة لوسائل الإعلام المختلفة.. فهناك فجوة

ومساقة بين القضايا والموضوعات التى تعرضها هذه الوسائل وبين الدعاة وعليه فهم يفعلون ويقولون عكس ما تطالب به هذه الوسائل وخذ عندك تنظيم الأسرة التى بح فيها صوت التليفزيون ليل نهار، فالدعاة فى خطبهم يؤكدون على أن الأرزاق بيد الله وأن تنظيم الأسرة هو مخطط غربى هدام موجه لضرب المسلمين وحتى الذين لا يروجون لزيادة النسل يلتزمون الصمت والامتناع عن الحديث كموقف رافض للموضوع برمته!!

كما أن عدداً كبيراً من الدعاة يميلون إلى تبرير التطرف واختلاق الأعذار للمتطرفين وباستثناء الحديث عن سماحة الإسلام ومعارضته لترويع الآمنين والحاجة إلى الحوار مع المتطرفين بالحسنى فإن الاتجاه الغالب فى تفسير الدعاة للتطرف أنه يعود إلى أعداء الإسلام واستشراء الفساد وإلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم إن الكثيرين ممن يطلق عليهم متطرفين - و هذا كلام الدعاة بالمناسبة - مخلصون للدعوة وأنه لا يوجد فى الواقع تطرف وأن ذلك شائعات وافدة لأن الإسلام ليس فيه تطرف، ثم إن سلوك المجتمع المصرى كله فى الوقت الراهن سلوك متطرف بسبب عدم الالتزام بالقيم الإسلامية الأصيلة!!

وعن الفساد فى المجتمع فقد أرجعه الدعاة لبعد الناس عن الدين وعدم تمثل قيم الإسلام الصحيحة. كذلك يرجع الفساد لتدهور الأحوال المادية وغلاء المعيشة وانتشار البطالة. ولم ينس الدعاة أيضاً فساد المسئولين وسيطرة النزعة المادية وانعدام الضمير.. ولا ننس من وصم وسائل الإعلام بجزء من المسئولية عما يحدث فهى تشجع على الفساد..(!!)

آراء الدعاة ليست مطروحة للنقاش بالطبع لسبب بسيط أنها تكمن ضحالة مستواهم الثقافى وعدم متابعتهم لما يحدث فى المجتمع، فمجمل ما قالوه لا يخرج عما يمكن أن يقوله رجل الشارع العادى الذى ليس مطلوباً منه أن يكون صاحب رسالة أو بيده هداية الناس وتنوير الطريق لهم. هذه الدراسة التى نشرت فى أواخر التسعينيات وشملت دعاة من محافظات بحرى ومحافظات الصعيد تضع الحقائق كاملة أمام وزارة الأوقاف التى تمسك الدعاة فى يديها، فهم لا يقرأون وحتى وسائل الإعلام التى يمكن أن

يتابعوها بمجهود أقل ينفرون منها ولا ندرى السبب فى ذلك فربما - وهذا أرجح - أن مناهج الدراسة فى الأزهر تتعامل مع وسائل الإعلام تعاملاً عنيفاً فتحرم ما ينشر فيها ولذا يكون رأى الدعاة عنها رأيها سلبياً، وربما يكون تكاسلاً عن المتابعة ويكتفون ببعض ما درسوه فى الأزهر فيحشون به أدمغة الناس، وربما وهذا وارد كما قال بعض الدعاة فهم لا يشترون الكتب والصحف والمجلات لضيق ذات اليد، لن نتعرض بالطبع للأخطاء الفادحة التى يقع فيها الدعاة أو الموضوعات التى يركزون عليها ومعظمها يدور حول الجنة والنار وعذاب القبر واليوم الآخر والطهارة وعقوبة تارك الصلاة فهذا موضوع آخر، نحن فقط نريد أن يرد علينا أحد من وزارة الأوقاف ويقول لنا.. لماذا لا يقرأ الدعاة ولا يهتمون بما ينشر فى الصحف..؟!

فالجالسون فى الوزارة من المؤكد أنهم يعلمون..!!

■■■

11

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

ويسألونك عن الدش !!



فى زحام ميدان الجيزة الذى لا يكف عن ابتلاع البشر والغبار.. أمسك رجل أربعينى العمر بيد ابنته.. كان يجرها خلفه فتسرع الخطى.. وفجأة تمهل الرجل فى سيره لتنساب كلمات قليلة من فمه إلى آذان ابنته ومن حولهما من المارة قال الرجل.. «أنا قلت ألف مرة لبس البنطلون حرام.. ولم يثبت أن واحدة من نساء النبى لبست بنطلونا» تابع الرجل خطواته.. وواصلت البنت تتدحرج خلفه.. لم ترد على تعليقه الذى جاء على ما يبدو رداً على رغبتها فى لبس بنطلون.. اكتفت فقط بأن ابتلعت ريقها وشردت بنظرتها بعيداً عن كلماته التى يبدو أنه كان مقتنعاً بها للغاية..

أما لماذا ميدان الجيزة.. بالذات؟

فلأن الواقعة حقيقية.. وحدثت كما وصفتها وكتبتها..!

وأما لماذا هذا الموقف.. بالذات..؟

فلأنه ينطبق تماما على خطبة منبرية طويلة عريضة وقف خطيب مسجد قريتنا الناشئة فى عبادته عميق على نيل مصر.. اسم القرية لا يهمنا فى قليل ولا كثير.. فلو عرفت أن القرية اسمها الزعاترة هل سيغير ذلك عندك شيئا.. بالطبع لا.. فهى قرية من آلاف القرى المصرية التى يتشابه فيها كل شيء الناس والشوارع وأيضا الشيوخ.. اسم الشيخ أيضا لن يهمنا فى كثير أو قليل.. فلا فرق لو كان اسمه إبراهيم أو فريد أو عوض أو عز أو الشحات.. على كل وحتى نكون محددين كان الشيخ اسمه سمير. الاسم بالطبع لا يعنى شيئاً..

وقف الشيخ سمير فى تحفز وحماس يحسد عليهما.. فقد كان فى كثير من خطبه بارداً فاترا ينصرف عنه المصلون ويتمنون أن ينهى موعظته الساذجة التى يخطىء كثيراً فى آياتها وأحاديثها وإعراب كلماتها وهو فى ذلك مثل أغلبية شيوخ المنابر الذين وجدوا انفسهم فجأة وبدون ترتيب يحملون على عاتقهم وظيفة خطيب مسجد دون معرفة أو إدراك أو وعى بأهمية وخطورة هذه الوظيفة، فهى بالنسبة لهم وظيفة مصدر أكل عيش.. لا يفترقون إذن عن المدرسين أو موظفى الوحدات المحلية او التموين أو الصحة او الزراعة.. توقيعات بحضور وانصراف وأيام أجازة إلى الآن لا أعرف كيف لا يحضر إمام مسجد مع قرب بيته من المسجد لأداء صلاة معينة بحجة أنه فى يوم أجازته.. وعدم الفهم أرميه بالطبع على أعتاب وزارة الأوقاف التى ينتمى إليها هؤلاء الموظفون.

المهم.. وقف شيخنا فى يوم شديد الحرارة لا يطيق الناس رطوبته ولا غزارة عرقه ليطرح سؤالاً من نبرات حماسه وضح أنه مهم وخطير وقد يكون مصيريا أيضا..

كان السؤال.. هل لو كان عند النبى صلى الله عليه وسلم مثل جبل أحد ذهبا هل كان سيشترى دشاً..؟ وأجاب بسرعة خاطفة.. بالطبع لا، وحتى لا تتعجب من منطق السؤال وتربط فيه بين النبى وبين الدش.. كانت مناسبة السؤال..

إن القرية المصرية الصغيرة التى لا تختلف فى شىء عن مثيلاتها من القرى قد استقر على سطوح بيوتها أكثر من ١٦ دشاً مرة واحدة.. منها اثنان ينقلان مشاهد الجنس الصريح الواضح إلى مرتادى مقهيين فى البلد، بما كان له أثر كبير فى إقبال الناس على هذه المقاهى.. شيوخ وشباب وأطفال.. وتخيل لهفة رجل ريفى بسيط لا يعرف من فنون الجنس سوى أن تستلقى زوجته على ظهرها.. ويأتيها لا يسكن فى رأسه سوى أن ينفض عن كاهله عبء تعبه وقهره.. لا متعة ولا تذوق ولا حب ولا قرب.. لكنه يرى بأم عينيه كيف يمارس خلق الله الجنس.. وكيف يعيشون فيه.. (نتوقف لنقول أن ذلك حرام طبعا.. لكننا يا سيدى نقرر واقعاً فقط).. جذبت هذه الوقائع الشيخ على وجهه ليحذر وينذر ويصب جام غضبه على رؤوس أبناء القرية التى فسقت وخرجت عن كل حدود وضعها الله لعباده، من حقه - والأدق - من وظيفته أن يقول ذلك دون نقاش أو اعتراض لكن

الخطأ - حيث لابد أن يوجد خطأ دائما.. كان فى الطريقة التى صب بها الشيخ سخطه على مرتادى مقاهى الدش وعلى هؤلاء المحترمين الذين أسكنوا على سطوح منازلهم وهم فى كامل قواهم العقلية جهاز دش يعرض كل ما يغضب الله ويجلب سخطه ولعنته وفى الآخرة ناره التى لا تبقى ولا تذر. صرخاته أدخلت أهل القرية جميعا وبلا استثناء فى زمرة الفاسقين المفسدين.. فهم أهل فسق وفجور.. لا يرعون لله حرمة.. ولا يعرفون له حدوداً.. ولا يعملون لآخرتهم.. فكل ما يهمهم متعة دنيوية.. هى فى الواقع زائلة..

ولا أعترف - وأنا أردد هذا السؤال - لماذا يعتبر شيوخ المساجد وخاصة فى الريف أن الناس دائما على خطأ.. وأن الموعظة يجب أن تكون دائما عن المعاصى والذنوب.. وبالطبع - على أمثال قاعدة شيء لزوم الشيء - حديثا طويلا عن النار التى تحاصر داخلها من كل مكان حتى يحسب أن الموت يأتيه من كل حدب وصوب.. لكنه أبداً لا يموت..!!

لا يتقدم شيخ ويناقش مع الناس لماذا يقبلون على مشاهدة الأفلام الجنسية سواء كانت من خلال الفيديو - وهى ظاهرة منتشرة حاليا فى كل قرى مصر ومدنها يتبادلها الشباب والبنات.. وكله من باب المعرفة بالشىء ليس إلا - أو من خلال قنوات الدش؟ لا يتقدم شيخ ليعرف هل هذا الجهاز الشيطانى كما يطلقون عليه فيه خير أم أن كل ما فيه شر وفساد وفسق واضمحلال ثم جهنم وبئس المصير.. هل يمكن أن يؤدى وظيفة ودوراً فى بناء المجتمع.. أم أنه فقط معول هدم يقضى على همم الناس..؟!

سيقول أى شيخ وبدون أدنى تفكير أن هذا الكلام فارغ معنى ومبنى.. فالناس لا تشاهد سوى المشاهد الجنسية الماجنة.. بل إنهم يبحثون عنها عمداً ويترصدونها ويتعهدون مواعيدها.. ثم يدللون - الشيوخ - على ذلك بأن ابن آدم بطبعه يميل إلى اللعب والمرح والفرح، فلا يعقل أن ينصرف الناس عن الأفلام الجنسية إلى الأفلام الجادة والبرامج الهادفة وهى كثيرة أيضا فى قنوات الدش الكثيرة للغاية..

نحن لا نعيب على الشيوخ حماسهم فى محاربة دش القرى والمقاهى.. نعتب فقط على الطريقة التى ينظرون من خلالها لكل الأجهزة الاليكترونية ووسائل الاتصال الحديثة على أنها آلات متعطلة ولهدف عباد الله عن خالقهم.. وتنبت فى قلوبهم بذور الفسق،

ومازلت أذكر كلمة الشيخ كشك التي توارثها كثيرون من خطباء شرائط الكاسيت وخطباء المنابر عندما قال - ووسائل الاعلام التي لا يعلم بنواياها إلا الله تعمل ليل نهار على محاربة دين الله . هذه العقدة مازالت متمكنة من فكر الشيوخ لدينا.. فكل ما يقدمه التليفزيون والسينما والمسرح حرام.. ولا نقاش بعد ذلك في هذا الحكم الإلهي..

لكننا نستأنف الحكم أولا لأنه ليس حكما إلهيا.. فهو حكم بشر خاضع لتوجهات معينة.. فوسائل الاعلام بما تقدمه ليست شراً كلها - ففيها خير كثير لكن الشيوخ لا يرون سوى المثالب.. لأن السلبيات هي التي سيبنون عليها مواعظهم وسيدفعون من خلالها في وجوه الناس بعذاب الله وعقابه.

مع أن الشيوخ يمكن أن يختصروا حيرتهم وتعذيبهم للناس ويخرجوا برأي يقوله الكثيرون من علماء الدين المستنيرين ويعزز ذلك العقل.. الذي القاه كثيرون من الشيوخ في أقرب صندوق قابلهم بعد أن صعدوا المنابر.. فالتليفزيون أو الدش أو السينما أو المسرح كلها أدوات تقدم ما يرضى الله وتقدم أيضا ما يغضبه.. والإنسان العاقل يمكن أن يختار.. وتنتهي المسألة ببساطة.. لأنها بسيطة بالفعل ولا تحتاج إلى تعقيد.. ويمكن أن تنتهي القضية بدون فلسفة أو تهويمات على هوامشها، وبدون الدخول إلى معترك التخطيط للقضاء على الإسلام وطعنه في مقتل، وكأن الدنيا كلها لا هم لها ليل نهار إلا مهمة الإجهاز على الاسلام وقصمه من جذوره والقاؤه في أعماق المحيط حتى يغرق تماما ولا يبقى له أي أثر. ولا هم لشيوخ المساجد سوى تأكيد ذلك والتدليل عليه والبكاء على أبوابه.. وعليه لا بخوف عن استنهاض المسلمين من أجل المواجهة الكبرى التي ولابد أنها ستأتي..

ولا أدري من أين يقتحمني هذا الإحساس القوي بأن هؤلاء الشيوخ بمنطقهم ومعالجتهم للأمور من أخطر الكوارث التي منيت بها الدعوة الإسلامية وحتى تخفف من حدة تشاؤمنا من واقع الدعاة.. نعرض رأي الشيخ محمد الغزالي في المستوى والشكل المطلوب للداعية.

قال الرجل..

لا يستطيع أن يدعو إلى الاسلام رجل ضيق الأفق أوضحل الثقافة.. لأن طبيعة

الاسلام أنه كتاب.. القرآن الكريم الوثيقة البلاغية الأولى في التراث العربي كله.. ومعرفة هذا الكتاب تحتاج إلى أديب ذواقة للفن وتحتاج إلى فقيه له قدرة في فهم القانون وإدراك التشريع وأسراره وحكمه.. لابد أن يكون محيطاً بالعلوم الإنسانية من علم النفس.. علم الاجتماع.. علم الأخلاق.. علم الاقتصاد.. علم التاريخ والجغرافيا.. بل لابد أن يكون محيطاً بعلوم الفيزياء والنبات والحيوان والفلك.. القرآن وهو أساس الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية كتاب كون متكامل فلا يصلح أبداً في ميدان الدعوة رجل مستواه هابط في المجال الأدبي أو في المجال العلمي أو في المجال الإنساني، وأنا أرى لاختيار الدعاة أنه يجب أولاً أن يكونوا من معادن إنسانية نفيسة، كما أرى أن يزودوا بأشتات من المعرفة لا حصر لها حتى يستطيعوا أن يعرفوا كيف يخدمون دينهم وكيف يبلغون رسالتهم خصوصاً في عصر وصفته أنا بأنه تبرجت فيه المبادىء والفلسفات، وعرضت نفسها بطريقة فتانة ومغرية، فإذا كان من يعرض الحق عاجزاً أو قاصراً بينما من يعرض الباطل فيه قوة وزلاقة لسان ولباقة فإن الباطل سينتصر.. وقد قلت مرة أن الإسلام قضية عادلة وقعت بين أيدي محامين فاشلين، فلذلك ضاعت بسبب هذا التفاوت بين طبيعة الرسالة ووزنها وبين الذين تصدوا لحملها.

صدق الرجل في كلماته.. وفي توصيفه الدقيق للدعاة كما يجب أن يكونوا..!! لكن وللحسرة لو مر شيخنا الغزالي على مساجد مصر الآن واستمع لخطبة واحدة من خطب الشيخ متميز (وهو هنا مثال فقط) لفر هاربا من سذاجة الموعظة وسطحية الواعظ. فليس من هذه الصفات شيء يتوفر في شيوخ المنابر.. فهم يفكون الخط بصعوبة بالغة.. ولم يتخلصوا من أغلال قصص كتب التراث بما فيها من ابتعاد عن روح الاسلام..

الأكثر أسفا أن شيوخنا الأفاضل يحتكرون كل الشعور بالخوف على الدعوة الإسلامية ويتبعون في ذلك كل الأساليب التي يحسبون أنها تمكنهم من الحفاظ عليها.. وإن كانوا في الوقت نفسه لا يشعرون بجسامة ما يفعلونه بالناس والاثر نتتبعه من هذا الموقف الذي تعرض له الكاتب والمفكر الكبير محمد عودة.. فقد اعتاد الرجل على أداء صلاة الجمعة في مسجد جمال عبدالناصر الكائن بحدائق القبة.. لكنه أصيب بالدهشة من

إصرار خطيب المسجد على اتحاف الناس بقصص عذاب القبر وهول النار.. زبانية جهنم الذين لا يكفون ليل نهار عن تحطيم عظام عباد الله.. الجلود التي تذوب وكلما ذابت تضجت غيرها لتذوب مرة أخرى.. ويقول الخطيب هذه الكلمات بحماس يشعر الحضور بصهد جهنم ولهيبها.. أصر الخطيب على مواعظه الجهنمية نسبة إلى جهنم وأصر محمد عودة على الانسحاب بأمان الله.. يجلس كل جمعة يستمع إلى خطبة الجمعة من التليفزيون.. يصبر على مللها خيراً عنده من التعذيب الذى يمارسه عليه خطيب مسجد جمال عبدالناصر كل جمعة.

هذا الموقف ليس خاصا.. ولكنه يتكرر لأن أسلوب الدعوة خاطىء فحماس الشيخ سمير ودفاعه المستميت عن قلعة الإسلام التى يهاجمها المواطنون الدشيون.. وإنذاره وتحذيره من عاقبة مشاهدة الأفلام الجنسية لم تمنع الناس من مواصلة مشاهدة الدش على الفاضى والمليان.. فالرجل كانت كلماته فارغة.. لذا لم يلتفت إليها احد ولم يهتم به فلاح بسيط جلس ليشاهد بحسن نية يؤرقه إحساس بالذنب.. لكن هذا الإحساس لا يقوده مطلقا إلى أبواب جهنم التى يأكل بعضها بعضا وترفع صوتها لخالقها فى استمتاع غريب.. هل من مزيد؟!

قرأت قصة لمحمد عبدالقدوس بعنوان سيدنا الشيخ فى المقهى.. فكرتها أن شيخ المسجد عندما وجد انصراف الناس عنه وعن موعظته وعن المسجد كله.. ذهب إليهم فى المقهى وحدثهم فى مشاكلهم وهمومهم.. تقاسمها معهم، استمع إليهم فى إنصات.. وجعل نفسه واحداً منهم.. لم يتعال عليهم.. فاستمعوا إليه فى إخلاص.. وما هى إلا أيام حتى انتقلت جلسة المقهى إلى المسجد الذى جاءوه راغبين وليسوا مرغمين بسياط كلمات الشيخ وسهام زبانية جهنم.

بمثل هذا الأسلوب يمكن أن ينصلح الحال بعض الشيء.. لكن أن يدعى بعض الدعاة أنهم حريصون على الدعوة وحدهم.. فهذا ليس مقبولاً.. وعفوا يا شيخ سمير فلست وحدك حبيبها.

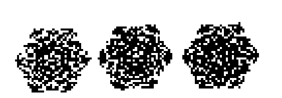
■■■

12

شيوخ مصر
من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

وجــــوه

ملامح من حياة شيوخ مصر فى التسعينيات



كاس د. عبدالصبور

كان المشهد داميا للغاية، باحث جامعي جاد تحكم المحكمة بتفريقه عن زوجته يهدر دمه ويباح ويضطر في النهاية أن يترك البلد كلها .. يحمل همومه وأحلامه ويرحل ولا ينسى كتبه وأبحاثه.. بل يحمل فيضا ضخما من الغضب والحزن على حال هذا الوطن الذي يصمت وصغاره الطيبون يرجمون بالحجارة، خرج نصر أبوزيد وبقي د. عبدالصبور شاهين ضخما وشامخاً بكلمات جوفاء وشعارات لا تكلفه سوى ثمن الحبر الذي يكتبها به، رفض الموافقة على ترقية د. نصر أبوزيد إلى درجة أستاذ، وجرجره إلى الطرقات خارج الجامعة ينصب له المشانق على صفحات الصحف التي لا يعرف قراؤها شيئا عن الخلاف الضارب بجذوره بين شاهين ونصر، كل ما عرفوه أن نصر كافر وزنديق وخارج عن الملة والدين، سب القرآن وسب الرسول واعتدى على الصحابة ولذا عندما عرف الناس أن نصر هجر البلد بعد حكم التفريق بينه وبين زوجته لم يغضب أحد ولم يعترض ولم يقل أحد .. والله حرام يا جماعة .. فالأمور لا تعالج هكذا .

وبعد أن اختفى كل أثر لنصر أبوزيد وانقطعت أخباره الا عن بعض أصدقائه، جاء د. عبدالصبور ليحتل نفس المكان الذي كان يقف فيه نصر أبوزيد منذ أقل من أربع سنوات .. المكان الذي تصوب نحوه كل الاتهامات بالتكفير والخروج عن الملة وأخيراً المطالبة بالتفريق بينه وبين زوجته، الاتهامات هذه المرة صوبها شيخ مشايخ الحسبة وحامل راية التكفير والمفكرين في مصر الشيخ يوسف البدري الذي خاض معركة طاحنة إلى جوار د. عبدالصبور لإخراج نصر ابوزيد من مصر.

قائمة الاتهامات التي حملها البدري في يده كانت كالتالي.. الكفر والارتداد عن الدين وادعاء النبوة.. يا قوة الله كل هذه الاتهامات ضد شيخ وعالم أزهري ينظر له العامة في مصر بكل إعزاز وإكبار، وكان مقصد الكثيرين من الشباب الذين كانوا يستمعون له باستسلام عندما كان خطيبا لمسجد عمرو بن العاص.

نعم والسبب كان كتابه «أبي آدم» أحدث كتب الشيخ الدكتور الذي لا يكف عن التأليف والكلام، الكتاب يناقش قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ويمكننا أن نرصد أهم أفكار الكتاب التي زلزلت الأرض تحت أقدام الرجل.. بدون ثرثرة أو استعراض..

● يؤكد الشيخ عبدالصبور أن آدم لم يكن أول المخلوقات على الأرض ولكن كان هناك مخلوقات قبله.

● ليس صحيحا أن البشر هم بنو آدم.. فقد حدث خلط بينهم في حين أن الواقع يقول أن الانسان بني آدم مخلوق جاء بعد البشر.

هناك عملية تسوية تمت لهذا الجنس وهو البشر حولته إلى إنسان وهذه العملية هي نفخة الروح التي تحول بها البشر إلى إنسان وتم تكليفه بالاستخلاف في الأرض والتكاليف المختلفة.

● لا أصل لما قيل عن العورة التي ظهرت لآدم وحواء بعد استجابتهما لغواية الشيطان ولكن المقصود بالسوءة في الآية الكريمة شيء آخر غير العورة.

● الجنة التي كان موجوداً بها آدم مع زوجه حواء ليست في السماء وإنما في الأرض، فجنة السماء هي جنة الخلد ومن يدخلها لا يخرج منها أبداً.

هذه الأفكار ليست جديدة، ولكنها متناثرة في كتب التراث وكانت في أوقات كثيرة محل جدل وخلاف بين الفقهاء، وكل يقدم على ما يرى دليله. هذه المرة اختار د. عبدالصبور أن يصدر آراءه ويرفض بعد ذلك أي حديث عنها، فهو السلطان المطلق وقد قال أن كل الأفكار التي وردت في كتابه صحيحة وأنه مقتنع بها تماما، ولن يتراجع عن أي كلمة منها، فما يكتبه ليس شيئا تافهاً ولا سطحياً، خاصة وهو يعزز كل رأي يقوله بعشرات الآيات القرآنية التي تؤكد صحة ما ذهب إليه.

لم يكتف د. عبدالصبور بذلك ولكنه فتح النافذة على آخرها ليواجه من خلالها منتقديه وعلى رأسهم الشيخ البدري فهو يؤكد أنه لا يعرفه ولم يقابله مرة واحدة في حياته، ولم يكونا زميلي دراسة ولا حتى زميلي عمل، وكل ما يعرفه د. شاهين أن المدعو يوسف البدري ما هو إلا شيخ يسعى وراء الشهرة والاعلام ولذا حشر نفسه في قضية نصر أبوزيد بهدف التواجد إعلاميا وفسر د. شاهين ذلك معلقا «ماذا تريدون من رجل ينعتونه بأنه مخشب مصر سخرية وتقليلاً من شأنه واستهانة بكلامه».

كعادته دائما يقف صلبا لا يرى سوى نفسه، ولا يؤمن إلا بها، يستهين بكل الاتهامات التي توجه إليه، ويقلل من وصول الأمر إلى القضاء الذي يمكن جدان يقتنع بوجهة نظر يوسف البدري ويحكم بالتفريق بين د. عبدالصبور وزوجته ويؤكد أنه لا يهتم بكل ما يقال عنه، فكل ما يشغله كتبه وأبحاثه.. لكن هل شعر د. عبدالصبور الآن بالمأساة التي سببها لنصر أبوزيد هل عرف معنى أن يحبس أحد انفاسه وإذا خرجت فهو يعدها عليه، هل علم خطورة هذه اللعبة التي كان لا يكف عنها بصبيانية شديدة وهي تكفير المثقفين آناء الليل ولعنهم أطراف النار.. نظن أن الكأس وصلت إلى فم الرجل متأخرة.. لكنها وصلت.. وعليه أن يتجرعها وحده.. وكاملة.

ولأنه من قلة الأدب أن نختم كلاماً عن د. عبدالصبور بسيرة الكأس، فإننا نثبت تقرير الأزهر الذي حسم الخلاف والمعركة لصالح د. عبدالصبور.. وهو على فكرة نصر الأزهر بشيخه ومجمع بحوثه الذين أهالوا التراب على نصر أبوزيد والذين معه.. وهذه سطور التقرير..

«الكتاب في الحقيقة صورة من صور التأويل لبعض آيات القرآن والأحاديث، صحيح أنه أبعد في التأويل واستخدمه استخداماً واسعا لكنه للحقيقة لم ينكر عقيدة إسلامية ولم يخالف القرآن الكريم والسنة، والذين هاجموا الكتاب لم يتعمقوا في أغوار التأويل التي خاضها المؤلف، وفي بعض الكتاب بعض السلبيات التي تؤخذ على د. عبدالصبور.. لكنها لا تصل إلى حد التكفير والمصادرة ولكنها تحتاج إلى الردود والمناقشة».

وصلنا إلى «الرد والمناقشة» هكذا بمنتهى البساطة يرفض الأزهر المناقشة والحوار

على د. عبدالصبور - ويرفضها بالنسبة للآخرين.. وعندما تسأل عن ذلك تجد دائما ما يبررون به تصرفاتهم.. أليسوا الأوصياء على الدين.. أصحابه والقائمين على شئونه.. يدخلون من يشاءون الجنة.. ويقذفون بمن يريدون النار.. وحسبين الله ونعم الوكيل.

●●●

صراخ مولانا المفتى

سطر واحد.. مجرد سطر واحد بسيط فى صحيفة يومية لخص رأى دار الإفتاء التى يقف على رأسها د. نصر فريد واصل حيث يقول «وقد قالت دار الافتاء بأن مسابقات ملكة الجمال حرام» وطبعا ستقابل هذه المعلومة بابتسامة ساخرة تعبر عن المرارة التى تحتبس فى داخلك فمسابقات ملكة الجمال والشكل الذى تتم به، كم العرى الذى تتميز به، ذلك كله ليس فى حاجة لأن تهز دار الإفتاء نفسها وتقلق راحتها وتصرح فى غضب بأنها حرام.. لأن أبسط رجل حتى لو كان لا يمتلك أى نوع من الثقافة سيعرف أنها حرام وبالثلاثة.

هذا مثال فقط لمسلك المفتى د. نصر فريد واصل فى كل القضايا التى يتناولها.. كثير من الصراخ.. قليل من العقل، وفى النهاية لا يتعدى الأمر كونه بالونة هواء يضيع هواؤها هباء منثوراً..!! لدرجة أننا وبمنتهى الاطمئنان يمكن أن نقول أن الرجل فى - حلاله وحرامه - لا يتحدث إلا بمنطق مغلوط.. فالوقت الذى حرم فيه مسابقات ملكات الجمال - مع أنها تمت واستقرت كمسابقة سنوية فى مصر - فإنه رفض وبقوة وعنف مشروع قانون ضريبة الملاهى أثناء مناقشته فى لجنة الثقافة بمجلس الشعب، رفض المفتى جاء فى رسالة أرسل بها إلى اللجنة.. قال فى رسالته: «إن الملاهى الليلية حرام وعليه ففرض رسوم على سباق السيارات والقوارب وأماكن صيد الحمام وأماكن القمار وحفلات الديسكو والرقص حرام أيضا.. وهذا على أساس قاعدة أن كل ما يلهى الإنسان عن عبادة الله حرام».

حتى محاولات وزير المالية بإقناع مستشار دار الإفتاء بأن إلغاء هذه الرسوم خسارة فادحة حيث أن الحكومة كانت ستستخدمها فى إقامة مشروعات المياه والصرف الصحى ورصف الطرق فى المناطق المحرومة، وحتى اعتراضات بعض أعضاء اللجنة الذين رأوا أنه من الممكن فرض هذه الرسوم على أساس قاعدة أن الضرورات تبيح المحظورات لكن لكن دار الإفتاء تمسكت برأيها، وصدرت فى وجه أعضاء اللجنة وكل من له رأى مخالف القاعدة الشرعية التى تقول «ما جاء من حرام فهو حرام» وعلى ذلك يجب أن يلتزم الجميع الصمت، فالمسألة دخلت فى الحرام.. والحرام لا يختلف أحد عليه.

من هذا العرض للنموذجين يبدو أن المفتى على حق تماما فيما ذهب إليه، وهو يؤدى دوره تماما يحلل ويحرم على أساس دينى لا يقبل الشك، ولا مجال لمجادلة المفتى أو حتى فتح حوار طويل أو قصير معه، لكن هذا فى الظاهر فقط، ما قاله المفتى يدفعنا إلى سؤال المفتى سؤالاً واحداً.. هل عندما يعترض المفتى على تحصيل ضريبة الملاهى هل ستغلق الملاهى أبوابها.. وهل ستتوقف مسابقات السيارات والقوارب وأماكن صيد الحمام وأماكن القمار وحفلات الديسكو والرقص؟!

هل سيستجيب أصحاب هذه الأماكن فوراً ويغلقون أعمالهم لأنها حرام ويذهبون لدار الإفتاء ليعلنوا توبتهم أمامه وبين يديه؟!

شيء من هذا لن يحدث على الإطلاق فأصحاب هذه الأماكن لا يهمهم حلال أو حرام، لا يفكرون أصلاً فى شرعية ما يفعلون، فما دام هناك مكسب وفلوس فكل شيء يهون، وإذا جاء من يحمل على رأسه عمامة وفتح لهم محاضرة دينية فسيجد عندهم إجابة وافية ودليلا كافيا على أنهم بتوع ربنا، فهم يخرجون زكاة أموالهم ويتصدقون بمبالغ طائلة ويدفعون الضرائب المفروضة عليهم ولا يتهربون إطلاقا، ولا مانع أن يقولوا أنهم يقيمون موائد رحمن فى رمضان.. وعليه فهم أهل خير وبر ولابد أن الله يرضى عنهم.

فهم يراعونه وإن كان على أعمالهم التى يرى المفتى أنها حرام.. فيا سيدى ربك رب قلوب.. وما دامت القلوب بيضاء.. فمفيش خوف!!

المفتى عليه إذن أن يتحدث بواقعية.. أن يتصدى لوجوه الخطأ بشكل إيجابى وفعال ونظن أن لديه القوة والنفوذ الذى يمكنه من الاستعانة بأجهزة الدولة.. فهى فى النهاية دولة واحدة.. أن يحقق ما يريد، فليس كافيا أن يقول المفتى مثلا أن مسابقة ملكة الجمال حرام، إحنا عارفين يا فضيلة الشيخ، لكن كان من المفروض والمفتى يعرف بموعد المسابقة قبلها بأيام لأنه بالتأكيد قرأ الصحف التى شنت حملة هائلة على إجراء هذه المسابقة فى مصر أن يتدخل وكان سيقف الجميع بجواره.. لكنه اكتفى فقط بالكلمات.. بدلاً من أن يعمل وبذلك تصبح فتاواه ذات فعالية وتأثير، لكن حرام أن يظل المفتى يتحدث ويفتى ويظهر فى التليفزيون ويضيع كلامه فى الهواء بلا أذن فاهمة.. وكأنك يا أبوزيد ما غزيت ولا انتصرت ولا افتيت.

لا نتدخل نهائيا فى عمل المفتى، ولا نفرض وصاية عليه لأننا نرفض الوصاية من الأساس لكن طريقة عمل الرجل لا تسر أحداً، فهو ومنذ هبط على دار الإفتاء من حيث لا يدرى أحد وهو يدير أمر الإفتاء فى مصر بشكل عصبى ومستفز، ولا أحد ينسى فتواه بإعدام الأولاد الصغار الذين اتهموهم بعبادة الشيطان وفتواه بأن المرأة لا تصلح للمناصب القيادية التى بسببها جرجرته النساء فى الندوات والتحقيقات الصحفية ورفعوا فى وجهه فتوى شيخ الأزهر التى تؤكد أن المرأة تصلح للمناصب القيادية، وظهر الأمر وكأن شيخ الأزهر يريد أن يقول للناس هذا حجم المفتى الذى جاء بعدى، فالكرسى كبير عليه، وسيظل ولفترة طويلة جدا يتعثر فى خطواته وهو ما حدث فعلا.

هل يعيد المفتى إذن حساباته، هل يصبح أكثر هدوءاً ورزانة، لماذا لا يقتنع بأن هناك آراء أخرى يمكن أن نأخذ بها - ليس ذلك فى معركته مع ضريبة الملاهى ومسابقة ملكات الجمال فهذا مثال فقط - ولكن فى كل معاركه..

ففى معركته مع جمال البنا الذى يطالب بفقه جديد قال المفتى وبمنتهى راحة الضمير «إن ما يقوله هذا الرجل كلام فارغ» ولاحظ أنه يتحدث عن كلام عالم مجتهد وحتى لو أخطأ فله عند الله أجر.. وفى مسألة ضريبة الملاهى لماذا لم يسمع المفتى.. فهذه الأموال الطائلة التى ستأخذها الدولة ستنفقها على الفقراء والمساكين، وستقيم بها مشروعات الناس تحتاجها بالفعل، المفتى محا كل ذلك من عقله وضميره وتحدث إلى لجنة مجلس الشعب من فوق وكأنه يملى عليهم أوامره التى يجب أن ينفذوها، وعندما يقولون له إن «الضرورات تبيح المحظورات» يقول لهم عندكم «ماجاء من حرام فهو حرام» ويمضى المفتى يكمل حياته بشكل طبيعى، لا يلوى على شيء ولا يهتم بأحد، وهذا عيب خطير من عيوب فضيلة المفتى التى نتمنى أن يخلعها عن كاهله، لأننا نريد مفتيا يفكر فى الناس وما يحتاجون قبل أن يغلق عليهم الفتاوى القاسية التى تقلب حياتهم إلى جحيم.. ما قاله المفتى صحيح ولا تستطيع أن تحلل ما حرم الله.. ولا نطالبه أن يفعل ذلك.. لكن تحرك يا فضيلة المفتى قبل أن تنصرف عنك الناس وتصبح مفتيا لديار مصرية لا يسكنها أحد.

●●●

صلاة وزير الأوقاف

بعد أن خرج الشيخ الدكتور عبد الصبور شاهين من جامع عمرو بن العاص بقرار من وزير الأوقاف د.حمدي زقزوق، وأصبح الرجل بعيداً عن منبره الذي كان من خلاله يصول ويجول،يكفر من يشاء،ويهب البركة من يشاء،أصبح كالأسد الجريح،وبدلاً من محاولته العودة،بدأ في تشويه صورة خطباء المساجد المشوهة أصلاً،فقال في حوار معه :أنه يهدي حادثة مهمة لضمير وزير الأوقاف فقد ذهب لصلاة الجمعة في أحد المساجد القريبة من بيته،وفوجئ أن شيخ المسجد وهو يقرأ الفاتحة في الصلاة أخطأ في قراءتها مرتين!! وزير الأوقاف بدوره لم يصمت.. ولكنه قال مخاطباً أيضاً ضمير د.عبد الصبور شاهين.. - فقد كان حديث ضمائر على ما يبدو - يا د.من الصواب أن تذكر لنا عنوان هذا المسجد واسم هذا الخطيب حتى نصل إليه ونصوبه الخطأ إذا كان هناك خطأ .

د. عبد الصبور لم يخطىء كثيراً.. ود.زقزوق لم يكن على صواب بدرجة كافية، ومن هذا الموقف نبدأ في تقرير الواقع وطرح الأسئلة،فما ذهب إليه د.عبد الصبور قليل من كثير،فأوضاع خطباء مصر لاتسر عدواً ولاحبيبا وأي تلميذ في إعدادي يستطيع أن يضع يده وبمنتهى السهولة على عيوب وأخطاء أئمة المساجد،فهم لايجيدون حفظ القرآن جيداً،بعضهم لايحفظ سوى مجموعة صغيرة من السور التي يصلي بها في الصلاة الجهرية،بدليل أن أي إمام في أي مسجد في القاهرة أوالاسكندرية أوأسوان وقل مما شئت من بلاد الله يقرأ سوراً بعينها ولايتعداها وعندما يسألون عن ذلك يقولون إنهم يحفظون هذه السور جيداً وهم يكررونها دون غيرها حتى لاتكثر أخطاؤهم .

لن نتحدث بالطبع عن إجادة اللغة العربية، حيث أننا نفضل أن يتحدثوا مع الناس بلغتهم بدون تقعر أو إصرار على الخطابة بلغة عربية مشكلة، لسبب بسيط أننا لم نجد أحداً يجيد اللغة العربية فلا مرفوع ولا منصوب ولامكسور، لكن نتحدث عن الموضوعات التي يتعاطاها الخطباء، فهي لاتخرج عن كونها موضوعات تراثية خرجت من كتب ميتة ترتكن إلى حكايات وقصص لايصدقها عقل،ولو أراد وزيرالأوقاف لسردنا مئات من القصص التي تخلو من العقل أوالمنطق والتي تلقي بالرعب في قلوب المسلمين الضعفاء

الذين ذهبوا للصلاة طلبا لرضا الله وطمعاً في جنته، لكنهم يجدون خطيبا يحكي لهم أساطير عن أهوال وعذابات الكافر التي تكون ضروسه الضرس الواحد منها يكون مثل جبل أحد، ويده تبلغ كذا ذراع،وقدمه تصل إلى كذا ذراع،الخطباء يتحدثون أيضا عن الجنة، لكنها جنة على هواهم،كما يتخيلونها هم - أكل وشرب وجنس ونساء، ثم هم في النهاية،لايتحدثون مطلقا عن قضايا الناس ومشاكلهم، يتحدثون وهم في معزل تام عن هموم الناس، بما يشعر المسلمون أنهم محاصرون بكلام ناس عاشوا قبلهم بالآف السنين.

وهنا نعيد ما طرح قبل ذلك الاف المرات حيث ما حقيقة سيطرة وزارة الأوقاف على الموضوعات التي يعالجها خطباء المساجد؟ فإذا كانت الوزارة تفرض موضوعات بعينها على خطباء المساجد، ويكون هذا حال الخطب فإن المصيبة تكون كبيرة، وإذا كانت الوزارة بعيدة عن خطب الجمعة فإن المصيبة تكون اكبر، فالمفروض أن تكون خطب الجمعة بالذات معبرة عن منظومة واحدة، تعبر عن اهتمامات الناس في الشوارع والبيوت، فليس معقولاً أن الناس يتعرضون لغزو قنوات فضائية وصحف صفراء من عينة النبأ والمواجهة ووزير الأوقاف ذاق نار هذه الصحف، ويتعرضون كذلك لنظام عالمي قادم بسطوته وجبروته، ومع كل ذلك يظل خطباء المساجد يرددون قصصاً وحكايات عن الرزق الذي يأتي بلا عمل والجنة التي يدخلها الناس لمجرد نطقهم بالشهادة وحتى التاريخ الذي يسردونه من أجل العظة والعبرة لكنهم يسردونه بشكل بارد وفاتر وجالب للنعاس.

أين إذن وزير الأوقاف؟ الناس في بر مصر لا يعرفون من مهام وزير الأوقاف سوى أنه مسئول عن خطباء المساجد.. نحن لاننكر مهامه الأخرى وإن كنا مثل الناس نرى أن هذه المهمة هي الأسمى والأهم والأبقى أيضا،ولذا سنقترح على وزير الأوقاف اقتراحاً قد يكون مجنونا بعض الشئ،ليس مجنونا بالنسبة لنا بالطبع،ولكنه سيكون مجنونا بالنسبة لوزير الأوقاف والذين حوله، فلماذا لايخرج وزير الأوقاف في جولة يطوف فيها كل مساجد مصر، يستمع خطبة الجمعة في كل منها،ويحكم بنفسه على ما يحدث؟! يحضر بدون حاشيته ولااستعدادات خاصة ولاتمهيدات وبعدها يقرر وبنفسه أيضا ما الذي يجب أن يفعله مع أئمة وشيوخ مساجدنا الطيبين.

قد يرفض وزير الأوقاف هذا الاقتراح على اساس أن هناك جيشا من المفتشين التابعين لوزير الأوقاف يقومون بنفس المهمة.فهم يتابعون شيوخ المساجد ويسمعون خطبهم ويقدمون عنها تقارير توضح وتشرح واقع الخطب المنبرية.لكننا نرفض هذا التعليل.لأن مفتش وزارة الأوقاف بعملهم هذا.كما يفعل خطباء المساجد ايضا - بعقلية الموظفين الذين لا يشغلهم فى النهاية سوى الحصول على راتبهم مشفوعاً بالحوافز والبدلات وكل مفتش ينظر الى خطيب المسجد فى النهاية على انه صاحب بيت وعيال ولو وجده مقصراً يكتفى بان يلفت نظره فقط دون توقيع عقاب يردعه.. وحتى لو عاقبه.. فما العقاب سوى خصم بعض الأيام من راتبه .

لا نطالب بإغفال عين الرحمة.. لكن لابد من وقفة ـ ولابد أن يعرف خطباء المساجد ومفتشو الأوقاف أن الخطابة ليست عملاً وظيفياً ولكنها رسالة.وربما يسخر وزير الأوقاف من هذا الاقتراح، ويمكن أن يراه ساذجاً حيث لديه مهام واشغال اخرى والتزمات وزارية كثيرة. لكن ما رأى وزير الأوقاف لو يفعل ذلك على سبيل التجربة والتجديد.فلن يخسر شيئا إذا صلى الجمعة كل أسبوع فى مسجد مختلف ـ على الأقل يشعر به الناس ولا يقتصر شعورهم به على ظهوره فى الصلوات الرسمية إلى جانب الرئيس وزملائه من الوزراء.. فعقيدة الناس مسئوليته.. ونعتقد انه بذكائه ورجاحة عقله يدرك معنى ذلك جيداً..

ملاحظة مهمة جدا .. هذا الاقتراح لوزير الأوقاف د.حمدى زقزوق.ولكل وزراء الأوقاف الذين سيأتون من بعده.

●●●

الغزالى.. وكل هذا الحب

من أروع الصور وأهمها على ما أظن فى صفحات صحفنا المصرية والعربية.. تلك الصورة التى نشرتها مجلة عربية ضمن حوار طويل لها مع الشيخ محمد الغزالى كانت الصورة ببساطة هكذا.. الشيخ يجلس مسترخياً على كرسى فى حجرة الصالون.. وبالقرب منه يجلس ابنه الأكبر إلى بيانو يعزف بعض المقطوعات الموسيقية.. ارتسمت على وجه الابن ملامح الاندماج الكامل فى غرفة الموسيقى.. وعلى قسمات وجه الأب الشيخ علامات رضا وتفاعل كامل مع النغمات المنسابة.. اترك لك الصورة جانبا كى تتأملها على مهل وتستخرج منها كل المعانى والدلالات التى تريدها..

وأدخل إلى الشيخ محمد الغزالى من الباب الصحيح وافتح ذلك الباب ايضا بالمفتاح الصحيح، فالشيخ محمد الغزالى فى حياته.. مؤلفاته.. خطبه.. أسفاره حواراته الصحفية.. آرائه.. أفكاره.. لقاءاته التليفزيونية.. ندواته مؤتمراته.. فتاويه.. مناقشاته.. فى كل ذلك ينطبق توصيف واحد على الشيخ وهو المحب الأعظم للحياة.. يسخر كل ما يعرف من أجل ان تكون حياة الإنسان أكثر راحة فى ظل الإله الكبير.. لا تشدد.. لا تعنت.. لا جمود.. وعندما يدخل فى معركة تجده منحازاً دائما للحياة.. ينتصر لها ويقذف خصومها بكلمات حادة لا يراعى معهم صحبة ولا قرابة.. والآراء والمواقف وحدها تحكم..

يقول الشيخ.. نحن نخطىء لأننا بشر.. وقصة البشرية خطأ وتوبة.. فأنا لا أستبعد الخطأ على الفطرة البشرية.. ولا أستغرب أن يخطىء الناس ولذلك إذا عالجت الخطأ فيجب ان أعالجه كطبيب يعالج أمراضاً متوطنة والقسوة فى معالجة الخطأ خطيئة.

ويقول.. أرفض أن تكون الفتوى قاصرة او مأخوذة من بعض الذين لا يعرفون من الإسلام إلا مذهبا واحداً أو رأيا محدداً، فإن فقه الإسلام بحر متلاطم الأمواج وتستطيع أن نأخذ منه ما يناسب عصرنا الآن وما يكون فعلا أرحم بالناس.

ويقول.. عندما يغنى محمد عبدالوهاب «أخى جاوز الظالمون المدى» أهلا به وسهلاً.. إنما أرفض ان يغنى «ليلنا خمر» وأم كلثوم عندما تغنى «إذا زرت بعد البيت قبر محمد

وقبلت مثوى الأعظم العطرات» هذا غناء حسن.. ولكني أرفض أغنية «القبلة القبلة القبلة».

ويقول.. «الخلاف لا عيب فيه.. إنما العيب في أن أكون متعصباً لوجهة نظري بحماس وأهاجم الآخرين لأن وجهة نظرهم تخالف وجهة نظري».

ويقول.. «أقاوم الحق بالباطل.. بالدليل.. وهذا هو ديني، ديني يقول هاتوا برهانكم.. والإسلام دين لا يعرف الإكراه ولا الجبروت، الإسلام يقول لا إكراه في الدين».

ويقول.. «الاسلام وأنا أحد المتحدثين عنه دين مظلوم لأن عرضه اتخذ وسائل منفرة خسر منه بسببها عدداً من العقلاء وأصحاب الأمزجة المعتدلة وأصحاب الفكر الذي يرجى خيره، وأنا أكره أن يعرض الاسلام بطريقة منفرة، فإن نبي الاسلام كان قمة في شمائله، وقد عرف العصر الحديث أن المعجزة الأولى له هي قدرته على التعبير وأن الأداة التي استعملها في هذا التعبير كانت تفجير الطاقة الإنسانية في الإنسان أو إثارة الإنسان من داخله واستكشاف الخصائص والمواهب التي زوده الله بها كي تؤدي عملها في هذا الكون».

ويقول...

ويقول...

ويقول...

ويمكن أن نحصر أقوالاً كثيرة للشيخ الغزالي عن المرأة ودورها في المجتمع.. والفن وأهميته في حياة الناس.. أحاديث الرسول التي يتعامل معها بمنتهى الجراة وهو يرفض بعضها لأنها لا تتفق لا مع القرآن ولا مع العقل.. ويعلن ذلك في صراحة. لا يبالي بغضب الغاضبين إذا أنكروا عليه ما قاله.. فهو يقول كلمته ويمضي.. واضعاً أمام عينيه هدفاً واحداً وهو خدمة الإسلام والإعلاء من شأنه وعندما اتهمته بعض الجماعات الإسلامية بالكفر والخروج عن الدين لم يلتفت إليهم كثيراً، ولم يعلق على كلامهم بأكثر من ابتسامة ساخرة تهيل أكوام التراب على أفكارهم وآرائهم وكلماتهم.. التي كبرت تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً..

وزعم أننا - وباستحوان - نحتاج لأمثال الشيخ الغزالي العالم والخطيب، الكاتب والفقيه، العالم المحب للحياة الذي يبحث عن وسائل لراحة المسلمين ويحاول أن يقدمها لهم، لكننا أهدرنا قيمته.. وعندما مات الشيخ الغزالي بدأت دور النشر تعيد طبع كتبه في طبعات فاخرة، وتنوه عنها بإعلانات من قبيل «آخر ما كتب الشيخ الغزالي» أو جمع أشعاره وإصدارها في كتاب لتخرج بعد ذلك عن هذا الشعر الدراسات والكتابات النقدية.. فالرجل - وإن لم يكن ذلك بشكل مفزع - تحول هو الآخر إلى سبوبة يتكسب منها البعض رزقه».

أولاد الشيخ الغزالي مسئولون عن ذلك بشكل أو بآخر، لكن المسئول الأكبر عن ذلك هو صهر الشيخ الغزالي ونسيبه الصحفي والكاتب الاسلامي محمد عبدالقدوس ابن الكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس الذي يعيش وبشكل كامل في معظم ما يكتبه على تراث الشيخ الغزالي، فهو يستند إلى آرائه وأفكاره، ويؤكد على قوة علاقته به مع أن هذا أمر طبيعي للغاية فهو في النهاية زوج ابنته، لكن المشكلة عند محمد عبدالقدوس أنه كاتب لا يتمتع بخصوبة الأفكار، فهو غير منتج إلا لمجموعة بسيطة من الأفكار يكتبها في كل مكان يعمل فيه.. يعيدها ويزيدها والمصيبة أنه يعتقد أنه يأتي بجديد.. هذه الندرة في الأفكار تجبره أحيانا أن يكتب أشياء غريبة.

وإليك نموذج واحد.

كتب محمد عبدالقدوس:

قلت لصاحبي عندي لك دعوتان دعوة في صالون إحسان عبدالقدوس بمؤسسة روزاليوسف لحضور الاحتفال بذكراه مساء اليوم الأثنين. وغدا الثلاثاء أنت مدعو إلى الأوبرا لحضور ندوة عن فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله رد قائلاً: أشكرك على هذا الكرم ندوة عن أستاذ الحب وأخرى عن معلم الدين، واحدة للعواطف وأخرى للروح قلت له في هدوء: تتحدث وكأن هناك تناقضاً بينهما ندوة في الشرق وأخرى في الغرب.

فاجأني قائلاً: هل تريد الحق أم ابن عمه.. أخشى أن تغضب مني.. كانت إجابتي.. قل ما في قلبك أعرف أنك رجل صادق، قال صاحبي: والدك رحمه الله كان كاتب المرأة

أحسن من وصفها وكتب عن مشاعرها، والشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله داعية إسلامي فريد من نوعه، كل منهما عملاق في مجاله لكني أرى بينهما تناقضا شديداً، إحسان عبدالقدوس يدعو إلى تحرير المرأة والشيخ الغزالي يريدها إنسانة محافظة.

لم أغضب من حديثه فهو يتكلم بأدب وله وجهة نظر معقولة، لكنني قلت له ما لا يتوقعه. هناك العديد من نقاط الاتفاق التي تجمع بين أبي والشيخ الغزالي، أخذته الدهشة وهو يقول. مش ممكن.. مستحيل، كيف يجتمع كاتب العواطف مع رجل الدين. هذا كلام عاطفي، لأنني أعلم أنك تحب والدك وتدافع عنه باستمرار، وتحب الشيخ الغزالي لأنه والد زوجتك، فأنت متعصب لهما وتريد أن تجمع بينهما بأي ثمن.

قلت وأنا أحاول أن أضبط أعصابي بصعوبة: المناقشة بهذه الطريقة تحولت إلى محاكمة واستجواب من جانبك، لكني لن أهرب، بل سأجيب عن كل أسئلتك لكن أرجوك كن لطيفا وخف عني شوية.

أجاب ضاحكا.. كنت متأكداً أنك ستغضب مني، لقد قلت لك من البداية هل تريد الحق أم ابن عمه!!

قلت له مبتسماً بعد مداعبته لي: أريد أن نتكلم بصراحة بشرط أن تعرض وجهة نظرك بطريقة لطيفة ومناسبة، يا أخي ما يجمع بينهما في مجال المرأة واسع جدا، إحسان عبد القدوس عندما كان يدعو إلى تحرير المرأة لم يقصد أبداً أن تمشي على حل شعرها أو أن تفسد فتكون بلا ضابط ولا رابط، وكذلك الشيخ الغزالي عندما أرادها محافظة لم يقصد أن تكون خادمة عند زوجها مهمتها الطبخ والكنس وإنجاب الذرية من البنين والبنات.

يشترك أبي والشيخ الغزالي في أن المرأة قد خلقت على قدم المساواة مع الرجل، لها ذات الحقوق والواجبات، ووظيفتها الأولى رعاية منزلها كمسئولة عن شئونه وليست أجيرة عند زوجها، وأبي وشيخي الجليل كانا مقتنعين تماما بحرية المرأة، يعني تختار بنفسها حياتها وطريقها في الحياة دون ضغط عليها من أهلها، ومن حقها أن تعمل ولها دور مهم جداً في المجتمع وقلت لصاحبي سأذكر لك مفاجأة لا تتوقعها.. هل تعلم أن هناك الكثير من الصفات المشتركة التي تجمع بين أمي وزوجة شيخنا الغزالي يرحم الله الجميع.

رد وقد استولت عليه الدهشة من جديد، إنها بالفعل مفاجأة مذهلة ما الذي يجمع بين زوجة إحسان عبدالقدوس وزوجة الشيخ الغزالي؟ هذا موضوع مشوق أحب أن أستمع إليه:

أطلت عليكم بعض الشيء لكن هذه كلمات محمد عن أبيه وصهره. وتظن . والظن هنا كله حق: أن هذا النوع من الكتابة عن الشيخ الغزالي يسطح قيمته، بل ويصرف الناس عنه، فمع احترامنا الشديد لرأي محمد عبدالقدوس في أبيه لكن ذوق الناس في مصر، لن يقبل بأي حال من الأحوال أن يوضع الشيخ الغزالي وإحسان عبدالقدوس في قفة واحدة.. والأسباب معروفة.

لست متحيزاً للشيخ الغزالي - مع عدم إنكاري لإعجابي الشديد به . ولكني أقترح فقط أن تتم الكتابة عن الرجل كفقيه وعالم دين قدم مشروعاً متكاملا في الدعوة إلى الله.. ومع وضوح المشروع الذي تأسس على أن الاسلام دين يستطيع أن يستوعب مستجدات العصر إذا ما واصل المسلمون الاجتهاد ولم يتوقفوا عندما انتجه السابقون، لكن هذا المشروع ذاته يحتاج إلى مجموعة باحثين يطيلون التأمل والبحث في إنتاج الشيخ، عسى أن تمثل هذه الإجابات إضافات إلى مشروعه يستفيد المسلمون منها.. لكن الكتابة عن الشيخ بهذا الشكل.. شيء سخيف.. وهذا رأيي على الأقل.

●●●

عمة مصطفى محمود

يعرفه الناس على انه الشيخ مصطفى محمود، رغم إنه لم يقف على منبر في حياته، ولم يرتد الزى الأزهرى مطلقا، ولم يتقن فى شكل العمة التى يضعها على رأسه.. لكن الناس صنعوا له عمة من افكارهم وآرائهم فيه ووضعوها على رأسه وأشاروا إليه بمنتهى الثقة على انه واحد من شيوخ مصر الكبار ليس عامة الناس وحدهم من يفعلون ذلك.. لكن المثقفين والكتاب ايضا فبعد موت الشيخ الشعراوى فى ١٧ يونيو ١٩٩٨ ذهب الصحفيون والكتاب إلى كل حدب وصوب يبحثون عن الخليفة.. فمن يا ترى من بين شيوخنا الكبار يستطيع أن يملأ هذا الفراغ الذى خلفه وراءه الشيخ الكبير.. وطرحت الأسماء على طاولات البحث.. د. سيد طنطاوى د. فريد واصل، د. عمر هاشم، د. عبدالله شحاتة.. الشيخ ياسين رشدى، لكن المفاجأة الحقيقية كانت فى ظهور اسم د. مصطفى محمود ضمن القائمة.. وكشف هذا الطرح عن الخلط الشديد فى عقول الناس بين الشيوخ وعلماء الدين وبين المهتمين بالدين يكتبون فيه وعنه ولدينا منهم كثيرون، وليس شرطا بالمرة أن تكون كتاباتهم عن الاسلام دليلاً على تعمقهم وعلمهم وقدرتهم على الفتوى.. وهذا الخلط فى اعتقادى تم لعدة أسباب.

أولها: هذا البرنامج الأشهر الذى يقدمه د. مصطفى محمود منذ سنوات طويلة فى التليفزيون المصرى، حلقاته الآن ومنذ فترة على شرائط كاسيت تستطيع أن تحصل عليها فى أى وقت. ومع أن البرنامج بالأساس برنامج علمى يعرض لآخر التجارب العلمية تحديدا آخر تجارب علماء الغرب فى مختلف نواحى العلم، لكن د. مصطفى يحاول جاهدا أن يصبغ برنامجه بصبغة دينية، لا يكف عن تطعيم كلامه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. يقول هذه الآيات فى إطار من النقد الشديد لمنجزات العلم الحديث وكأنه يقول لعلماء الغرب أن كل هذا المجهود العلمى لا يساوى شيئا.. فنحن لدينا العلم الإلهى الذى يؤكد لنا أن الدنيا فانية ولا حاجة لنا إذن لكل وجع الدماغ هذا. فالحكمة دائما إلهية.. والعبارة دائما ناطقة بلسان الله ورسوله.

ثانيها: كتب الرجل والتى يظل فيها باكيا على حال المسلمين الذين هم فى خندق يحاصرهم الأعداء من كل مكان. هذه الكتب رغم أنها عبارة عن مجرد آراء سطحية فيما يحيط بالمسلمين من أحداث، مجرد وجهات نظر فقط، لكن يروج لها على انها كتب لمفكر إسلامى كبير. لا يتورع هو نفسه أن يضع صورته وهو يرتدى العباءة وبيده مسبحة وعلى وجهه تظهر علامات الورع والتقوى.

هذه الصورة يسعى لتثبيتها ناشروه من أجل الحصول على تذكرة دخول لقلوب وعقول الناس باسم الدين والرجل فى كل الحالات لا يرفض ذلك مطلقا.

ثالثها.. رغبة د. مصطفى فى أن يزج بنفسه فى مناقشات علماء الدين. يدلى بدلوه، ويعرض آراءه وبضاعته فى زاويته بأهرام السبت، وإن لم يلتفت له أحد.. فيقوم بمنتهى راحة الضمير بأن يجر الشيوخ وعلماء الدين إلى ساحته. يلقى فى ساحتهم بكرة النار ثم ينتظر ردود الأفعال، وكانت آخر شرارة أججها هى إنكاره لشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم، استنكر الجميع قوله، البعض عاب عليه والبعض كفره.. واستفاد هو فى كل الحالات فقد ظلت الأضواء مسلطة عليه وحده..

حقيقة الأمر بالنسبة لهذا الرجل أسجلها بكلمات د. الطاهر أحمد مكى الذى كتب عن د. مصطفى فى عدد الهلال أغسطس ١٩٩٦.

كتب: «دخل د. مصطفى محمود عالم الأدب مبكراً مع مجموعة من نوابغ كلية الطب فى الأربعينات يوسف إدريس وصلاح حافظ وآخرين، ومنذ تخرجه عام ١٩٥٢ لم يمارس الطب عملاً ولم يتوقف عن الكتابة حرفة.

أعرفه على غير لقاء منذ ذلك الزمن الباكر، فقد تميزت قصصه يومها بمذاق خاص وكنا فى ميعة صبانا نبحث عن الجديد فى التعبير وفى السياسة، ويشدنا إلى جانب تظاهرات المطالبة بالجلاء والاستقلال والدستور والسودان، مشكلة الوطن يكون للجميع، ويتساوى فيه الناس حقوقاً وواجبات..

ومن غير معرفة وبإدراك عفوى بأسلوب كتاب اليسار فى تلك الفترة وبعدها، لكثرة ما قرأت لهم وأعجبت بهم حسبته واحداً منهم ولم يبعد بى ظنى عن الحقيقة، لم أشهد

الفترة المتألقة من كتاباته روائيا وقصاصاً. فقد كنت بعيداً من أيمن الوطن قليلا. عندي عام ١٩٧٤ أحسست أن شيئا ما تغير في فكره، وفي حياته. فقد بدأ يتحرف عن الواقعية ويميل إلى الرمزية وأخذ يشغل نفسه بالكتابة في روز اليوسف وصباح الخير بما أراه لونا من إثبات الذات وإبراء الذمة، مقابل راتب هو في حاجة إليه، إذ كان يضطلع بحل مشكلات القراء الغرامية، وهي في معظمها توهمات مرضى استبد بهم هوس الحرمان، وأطلق الكبت الجنسي العنان لأخيلتهم، فهم يصطنعون المشكلات ويتخيلونها ويطلبون لها حلا.

كان تفسير هذا الاتجاه عندي أن وراءه الرقابة الخانقة وغيبة حرية الفكر وتعتيم قدرة الكاتب على أن يقول رأيه في الجاد من مشكلات الحياة حوله دون ضغط أو إكراه، فلم يبق أمامه إلا أن يفتي في قضايا العاشقين وجاءت مرحلة الإنتقال إلى الكتابة الدينية، وكان في هذه نمطا فريداً أضاف إليها فيما أذاع منها مصبوراً ذخيرته العلمية ومعرفته الطبية بدقائق الجهاز الإنساني وأسرار علم الأحياء، موضحا بالصور فأبهر عامة المسلمين الطيبين. وإن كان للمثقفين منهم موقف آخر، فهم يرون أن المفكر الكبير يستعين على إبراز قدرة الله - مثلا - في مفهومها الإسلامي بمواد علمية كلها من صنع واكتشاف علماء غير مسلمين، لم يدر بخاطرهم للحظة وهم يصنعونها أو يصورونها أو يخترعونها بعض ما دار في فكر الكاتب المصري.

ويحمد له في هذه الفترة من اتجاهه الديني سلامة موقفه السياسي فقد اختار أن يبصر بالمخاطر في غير خوف، وأن ينبه إلى المحاذر في فطنة وأن يدعو إلى اليقظة لأن العدو غدار، وأن يكون صوتا عاليا يذكرنا بالأخطار التي تهدد مستقبلنا القريب والبعيد».

معكم تماما أن المقال طال واستطال لكن استعراضه كان مهما للغاية ليعرف القارئ مراحل هذا الرجل.. الذي بعد أن وصل إلى الكتابات الدينية استهواها ليتحول من مجرد كاتب إسلامي إلى شيخ وصاحب طريقة له مريدون وأتباع يقرأون له ويسمعون لكلامه بلهفة. لن نتهم الرجل ونردد رأي بعض أبناء جيله فيه إنه ظل يمشي منذ البداية خلف الأضواء يذهب إليها أينما كانت.. فإذا كانت الأضواء مع اليسار أسرع

إليهم، وإذا انتقلت الأضواء إلى اليمين هرع إلى زمرتهم، يرتدي زي الشيوخ يتحدث بلسانهم ويردد أفكارهم.. وعندما يجد نفسه منزويا في ركن قصي يشق عباءة الشيوخ ويخرج عليهم بكتابات.. مثل زيارة إلى الجنة والنار.. وآراء مثل إنكاره شفاعة النبي، فيصب عليه الشيوخ جام غضبهم ويخرجونه من صفوفهم لاعنين إياه.

لن نقول ذلك انطلاقا من رغبتنا في إهالة التراب على رأس الرجل فهذا ليس هدفنا على الإطلاق، نهدف فقط إلى الوصول إلى الحقيقة.. فمصطفى محمود ليس من الشيوخ ولا يمت لهم بصلة، وإن كان صديقا لمعظمهم.. يجلسون يتناقشون.. يتبادلون المجاملات.. يقضون السهرات الطويلة في حوارات ومناقشات.. لكنه في النهاية ليس شيخا لا شكلا ولا مضمونا حتى لو اعتقد هو في نفسه ذلك.. وإن كنا على ثقة أنه لا يعتقد ذلك مطلقا لأنه أعقل من كل أتباعه وهؤلاء الذين ينتظرون مجرد البركة من ذكر اسمه.

الوجه والقناع

في تفاصيل طفولة كل منا مفاتيح كثيرة قادرة على فك مغاليق النفس الإنسانية المعقدة وفتح الطرق أمام بداية الإجابة عن سؤال حائر ومهم في الوقت نفسه لماذا نتغير؟ لماذا نؤمن بفكرة معينة ثم نكفر بها؟ لماذا نبني أصناما نعبدها ونقدسها ونطوف حولها ثم نجترئ على تحطيمها وتحويلها لرماد تذروه الرياح.

ومن تفاصيل طفولة د. مصطفى محمود الذي ملأ الدنيا وشغل الناس منذ عام ١٩٥٤ عندما نشر كتابه «الله والإنسان» لأول مرة وحتى الآن برأيه الذي أعلنه بدون مواربة وبلا تردد عن «الشفاعة»، وهو الرأي الذي جعل الاتهامات التي قذف به الرجل بعد «الله والإنسان» تعود لتحتل الأحاديث والمقالات والتعليقات التي تتعرض له ولما يكتبه ولما يقوله.. وقد تضحك حتى تستلقي على قفاك عندما تسمع من يصف د. مصطفى بأنه شيوعي وعلماني لأنه أنكر الشفاعة!! تفاصيل طفولته يمكن أن تفسر لنا كثيرا من تقلباته الفكرية وعناده وشراسته في التعامل مع خصومه، وتوجيه أعنف الشتائم والسباب لهم لمجرد أنهم اختلفوا معه أو فكروا مجرد تفكير في مناقشته في رأي قاله!!

البداية كانت هنالك..

في محافظة المنوفية.. تحديداً في شبين الكوم.. وفي ٢٠ ديسمبر عام ١٩٢١ ولد الطفل مصطفى محمود، وكان القدر قد ربط إلى جواره توأماً آخر أسموه سعداً.. لكنه توفي بعد أيام قليلة من مولدهما.. الأسرة كانت متوسطة الحال الأب يعمل محضراً بمديرية الغربية بمرتب لا يتجاوز ٨٠ قرشاً ارتفع إلى ٢٠ جنيهاً مع نهاية خدمته حيث رقي إلى سكرتير في مديرية الغربية، والأم كانت سيدة منزل مدبرة ولابد أن تكون كذلك فقد كان مطلوباً منها أن تنفق على عائلة كبيرة للغاية من ميزانية ضئيلة للغاية، مهم أن تعرف أن أم د. مصطفى كانت الزوجة الثالثة لأبيه كما كان أبوه الزوج الثالث لها بما يعني أن البيت كان مزدحماً بأبناء الزوجين من زيجات سابقة.

ورغم رقة الحال التي كانت تعيشها أسرة صاحبنا، لكن د. مصطفى يخبرنا عن والده الحنون الذي كان يحتضنه ويحمله على كتفه فور عودته من عمله، ولأنه كان آخر العنقود ومريضاً في نفس الوقت فقد كان مدللاً بمعنى الكلمة فلو قال لوالده أحضر لي لبن العصفور لفعل!! فإذا قال لهم «هاتوا لي ملوخية كما كان يفعل دائماً أسرعوا إلى كل الجيران يبحثون عن الملوخية إذا لم تكن في قائمة طعامهم يومها».

تدليل الطفل مصطفى - أو كما تقول دلعه - لم يكن هو الملمح الرئيسي في طفولته منذ كانت طفولة ضاجة بالأحداث اسمعه يقول «حين تفتحت عيناي على الحياة تفتح وعيي على ملاحظة هامة وهي أن كل زملائي يلعبون ويمرحون، يلعبون الكرة ويجرون ويتزعون بينما كنت عاجزاً على أن أفعل مثلهم.. كنت طفلاً مريضاً ضعيفاً، نزلة برد خفيفة يمكن أن تقعدني في الفراش لمدة خمسة عشر يوماً، ولهذا لم يكن غريباً أن يكون لي عالمي الخاص.. عالم الأفكار والأحلام والكتب، كنت أحلم دائماً بالبطولات والانتصارات.. بطولات السندباد ورحلاته والمكتشفين والعلماء. كانت أحلامي كلها بطولات سواء أكانت بطولات عسكرية مثل خالد بن الوليد والإسكندر الأكبر أم بطولات علمية مثل ماركوني واديون».

هذه العزلة التي فرضها العجز دفعت مصطفى محمود لأن يكون مختلفاً عن أقرانه. وكان يحاول أن يلفت النظر إليه بكل الوسائل مهما كلفه ذلك من مشقة وربما خطر، فحين أحب ابنة الجيران «عدلية» التي كانت باهرة الجمال، وكانت عدلية تجلس مع مصطفى وأصدقائه عندما يتجمعون في بير السلم أطفال أعمارهم ما بين الثامنة والتاسعة لا يزيدون.. وحتى يلفت مصطفى نظر واهتمام الصغيرة كان يغني وبعد أن يغني يقرأ بعض آيات من القرآن مقلداً لصوت الشيخ رفعت.. ولا يكتفي بذلك بل يبدأ في حكاية من وحي الخيال والخاطر حيث كان مطلوباً من كل طفل أن يحكي قصة من بنات أفكاره وكانت حكاية الطفل مصطفى هي التي تفوز دائماً.. ولحظتها كانت ترمي عدلية بنظرة إعجاب وحب لمصطفى يظل على أثرها ساهراً الليل بطوله.

وعندما اكتشف زملاء شلته خطته في خطف إعجاب عدلية لم يجدوا طريقة لكي يتخلصوا منه سوى أن يضربوه علقة ساخنة، ولم يتوقف الأمر على الضرب فقط أصدروا فرماناً بعدم دخوله شارعهم ولأنه كان ضعيفاً لا حول له ولا قوة فقد آثر السلامة!!

●●●

وعندما أصبح مصطفى محمود شاباً ظل الطفل العاجز المنزوي على نفسه يرقد داخله، فلم تكن له مغامرات ولا نزوات، كان ملتزماً في دراسته للغاية حتى التحق بكلية الطب.. وهي الدراسة التي سطت على كل وقته ورسخت عنده الفكر المادي وأكدت لديه صحة ما فعله قبل دخوله كلية الطب فقد كون جمعية للكفار وعمره اثنا عشر عاماً.. وقد رسم د. مصطفى ملامح صورة تحوله.. كان طفلاً يصلي ويحفظ القرآن.. ثم فجأة وبرفقة صديقه جرجس سعد يدعو للكفر.. والقصة تبدأ من شيخ مسجد وضريح سيدي عز يقول الدكتور «كنت أصلي وأستمع إلى وعظ شيخ الجامع وأدون ما يقول وأحضر المولد وحلقات الذكر إلى أن جاء يوم قال لنا فيه شيخ الجامع «شوفوا ياولاد أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير والحشرات في البيت طريقة دينية عظيمة جداً كل واحد يفتح الكراسة وسوف أملي عليكم هذه الطريقة العظيمة، وأخذ يملي علينا كلاماً غامضاً ورقة عبارة عن مزيج من الآيات والطلاسم، ثم قال الصقوا هذه الورقة

على الحائط وسوف تكتشفون بأن الصراصير سوف تموت صرعى على هذه الطريقة الدينية العظيمة، وبالطبع فرحت وكتبت كل ما قاله بالحروف الواضحة وألصقته باهتمام شديد على الحائط منتظراً النتيجة الناجحة لكن خاب ظني وأصبت بإحباط شديد فقد تزايدت الصراصير وأصبحت أضعاف ما كانت قبل طريقة الشيخ بل الأدهى من هذا أن الصراصير اتخذت من الورقة التي أمر بها الشيخ ملجأ لها.

كانت هذه نقطة بداية الشك كما يقول د. مصطفى.. وإن كنا نشك في حقيقة أثر هذا الموقف في طفل لم يتجاوز الثانية عشر من عمره.

دخل الدكتور كلية الطب وبداخله تلك البذرة التي ألقاها الشيخ في صدره وقد نمت وترعرعت - لكنه يعود مرة أخرى لحظيرة الإيمان - فالوقفة أمام الموت في مشرحة كلية الطب أعادته للإيمان، د. مصطفى علل ذلك بأن المفكر بطبيعته يعيد النظر دائماً في الأشياء وهو يختلف بالطبع عن الذين ينظرون إلى الأشياء بنظرة قلبية بلا أي شك، وكلامه مقبول رغم أنه حتى هذه الفترة لم يكن قد أصبح مفكراً بعد. بل ضعيف صديقنا الشاب عن إكمال أي نزوة أو مغامرة فلم يدخن ولم يصادق امرأة بل كان يرفض حتى العلاقات الجنسية العابرة وكان يبرر ذلك بقوله أن الجنس لا يكفي أبداً لأن يقوي علاقة بين رجل وامرأة وأن يضمن لها الاستمرار.

●●●

أنهى الدكتور إذن وهو على شاطيء اليقين والإيمان دراسته في كلية الطب.. وبدلاً من علاج المرضى اختار الرجل كتابة الأدب ودخل عالم الأدب مبكراً مع مجموعة من نوابغ كلية الطب في الأربعينيات مثل يوسف إدريس وصلاح حافظ كان ذلك تحديداً في العام ١٩٥٢. ونستطيع من خلال كلماته التي تحيط بنا من كل مكان أن نرصد تحوله مرة أخرى، كتب د. مصطفى محمود والكلام نصا من كتابه «لماذا رفضت الماركسية» «حينما بدأت أكتب في الخمسينيات كانت الماركسية هي موضة الشباب الثائر في ذلك الوقت وكنا نقرأ منشوراتها في نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح ومحاربة للإقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير

الكادحة وكانت موسكو تبدو لنا في ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذي يعد بالخير والرفاهية لكل من يدور في فلكه.

لم يكن هذا وحده هو الذي حرك أقدام د. مصطفى من على شاطيء اليقين ليتجه إلى شاطيء الشك مرة أخرى، فقد رأى الدكتور محمود بعد صدور كتابه «الله والإنسان» ناقداً كبيراً بحجم محمود أمين العالم يكتب عنه ويمجده ويشير إلى مصطفى محمود على أنه كاتب رائع للغاية.. والتقط الدكتور الخيط فهو مع الشيوعيين سيكون أكثر بريقاً، وتأكد له ذلك عندما كتب قصة في مجلة «صباح الخير» عن رجل زبال فكتب عنه بعض النقاد يومها أنه أعظم كاتب وأنه تشيكوف عصره بل قالوا أن تشيكوف قد ظهر في التاريخ من جديد.

لكن مرة ثالثة يتراجع الدكتور عن شاطيء الشك ليعود مسرعاً إلى شاطيء الإيمان!!

ولا عجب ولا اندهاش ففي كل مرة عند الدكتور ما يقوله ويبرر به تراجعه أو عودته. هذه المرة كان المبرر أو السبب الذي أعاده إلى طريق الإيمان أنه بعد كتابه «الله والإنسان» بدأ يعيد النظر في كل شيء من حوله وأوله هذا الكتاب الذي وجده مليء بالثغرات خاصة والكلام هنا على لسان د. مصطفى «أن الفكر الاشتراكي يحاول استقطابي وتتويجي زعيماً وأنا بالطبع لم أنضم لأي تنظيم لهم ولم أدخل أية كوادر يسارية معهم والحقيقة أنني بعد أن قرأت بإمعان ماركس لم أقتنع مطلقاً بما يقوله وأحسست أن هناك خطأ ما في كتاباته».

كان هذا التحول هو الأخير في حياة مصطفى محمود.. فقد قر واستقر بعده على شاطيء الإيمان واليقين وجند كل أحاديثه وكتاباته في طريقة الاعتراف به ككاتب إسلامي ومفكر إسلامي لدرجة أن البعض رشحه ليحتل مكان الشيخ الشعراوي بعد وفاته رغم أن الفارق بين الرجلين كبير فمصطفى محمود رغم إغراقه في الحديث عن الإسلام فهو ليس حافظاً جيداً للقرآن فقد فشلت محاولته الأولى لحفظه في كتاب الشيخ محمود الذي كان يضرب الطفل مصطفى لعدم قدرته على الحفظ فما كان من الطفل مصطفى إلا الهروب من الكتاب!!

ونحن نعتبر أن هذا التحول هو الأخير لأنه مازال عليه حتى الآن، ورغم أن البعض اتهم د. مصطفى بالردة مرة أخرى والعودة إلى الشك من جديد، بل اتهمته جريدة «الشعب» عدد ٢١ مايو ١٩٩٩ بأنه أصبح من الفرق الضالة لإنكاره السنة وأسدت له النصح بأن يعتزل الحياة ويعتكف ليتعلم من جديد وليتصالح مع رسول الله قبل فوات الأوان فلعل الله يرضى عنه ويصفح عما ارتكبه من ذنوب. لكننا نرى عكس ذلك فالرجل رسم الإيمان واليقين وكل ما يفعله أنه يسير عليه بأسلوبه الخاص فمرة يتبنى وجهة نظر نقدية تقلق الذين يرونه فعلاً إسلامياً ومرة يتبنى وجهة نظر تقليدية تكرس لإلغاء العقل وصب اللعنات على أعداء الدين فيصبح بذلك نموذجاً جيداً للمفكر من وجهة نظر الذين يرونه مفكراً إسلامياً أيضاً!!

●●●

ورغم أننا نعترف بكل تقلبات وتحولات د. مصطفى محمود وعبوره السريع بين علامتي الشك والإيمان أكثر من مرة، لكننا نرى أن كل هذه التقلبات مجرد حركات وإن كانت غير مكشوفة، مجرد محاولات زائفة لمصادرة لكل ما يقدر عليه من الأضواء واهتمام الناس.. لن نرسل الكلام على عواهنه فلدينا ما نقوله.

يقول د. مصطفى «أنا عمري ماشكيت في وجود الله سبحانه وتعالى وأنه الواحد القهار، ولم يتناول الشك مطلقاً في القدرة الإلهية، وأنها تدبر هذا الكون الكبير من حولنا وأن هذا الكون باتساعه الكبير هو خير برهان ودليل على وجود الخالق الأعظم فهو ينصح ويثبت ويبرهن بل ويهتف لا إله إلا الله، وإنما نوعية الشك في مسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والجنة والنار ونوع الخلود وشكله ومظهره وكان رجال الدين يعتبرون أن مجرد التفكير في مثل هذه المسائل الكفر بعينه».

وأنا لم أكن كافراً..

هذه الكلمات من د. مصطفى لامكان فيها مطلقاً لأي لبس.. فالرجل لم يكفر مطلقاً وإنما شك كان من قبيل الأفكار العادية التي تراود ملايين البشر الذين لا يعجبهم أحياناً ما تقذفهم به الأقدار فتجدهم وقد تجردوا تماماً من إيمانهم وأخذوا يرددون بينهم وبين

أنفسهم أليه كذه يارب؟ ثم تراهم بعد لحظات يعودون لأنفسهم سريعاً مستغفرين تائبين، وكثيرون هم من يجعلون أنفسهم وقد شغلتهم أمور غيبية مثل القضاء والقدر والجنة والنار والخلود فيهما.. وقد ينتاب الإنسان فيها كثير من الشك.. لكنها لحظات عابرة تمر ولا يلتفت إليها أحد!!

الاختلاف الوحيد أنه في حالة د. مصطفى محمود خرجت لحظات شكه هذه على الورق ونشرت على الناس وحاول هو أن يؤكدها ويشير إليها على أنها مرحلة من حياته أرهقت أعصابه وأقلقتها لكنه استوعب الدرس سريعاً فعاد إلى حظيرة الإيمان.. وجعل من كتابه «رحلتي من الشك إلى الإيمان» وثيقة على ذلك، مع أن ما قاله في كتاباته الإسلامية مثل «القرآن كائن حي» و«القرآن محاولة لفهم عصري» و«رحلتي من الشك إلى الإيمان» هو نفسه ما قاله في كتابه «الله والإنسان» الذي يعرفه الجميع على أنه «كتاب الاتهام».

فالدكتور يقول في «الله والإنسان» والكلام نصاً من صفحة ١٠٠ «إن الله عند جدتي يتمثل في شخص طيب رحيم غفور تواب، يداوي الروماتيزم ويقوي المفاصل، وهو عند أمي مأذون يجمع رؤوس بناتها على رؤوس عرسان أغنياء في الحلال، وهو عند الأطفال يشبه عروس المولد، وهو عند أينشتين معادلة رياضية وقانون تخضع له الأشياء بالضرورة وهو عند عاشق مثلى حب وهو عند مشايخ الصوفية وزير أوقاف يوزع الكساء وهو عند الملحد موضوع دراسة وعند المؤمن موضوع عبادة.. وهو دائماً شيء حتى عند الذي ينكره».

ويقول في صفحة ١٢٦ والكلام نصاً أيضاً «قانون السببية الذي يقول بترابط الحوادث في سلسلة من الأسباب والنتائج هو مجرد ملاحظة علمية مأخوذة من وقائع جزئية وهو ينطبق على حوادث متفككة في نطاق حواسنا، ولكنه لا ينطبق على حدث كلي لأن الكل غاية وسبب في ذاته ولا يحتاج إلى سبب من الخارج».

والكلام كما نرى لامكان فيه لشك أو كفر أو إلحاد.. بل لن نتجاوز إذا قلنا أن كلامه الأول يتردد على ألسنة البسطاء ويدور في أذهان البسطاء والكلام الثاني عاد د. مصطفى

وكرره في كتابه «حوار مع صديقي الملحد» والكلام نصاً عن الصفحة 8 يقول الدكتور «السببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان والله خلق الزمان والمكان وهو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيداً بالزمان والمكان ولا بقوانين الزمان والمكان والله هو الذي خلق قانون البيئة فلا يجوز أن نتصور خاضعاً لقانون البيئة التي خلقها».

ما يختلف فقط هو التناول.. ففي المرة الأولى عندما اتهم بالكفر كان يحاول أن يبدو متفلسفاً لا يسمي الأشياء بأسمائها، وفي المرة الثانية عندما عاد إلى حظيرة الإيمان يحاول أن يكون واضحاً ليستعين ببعض الآيات القرآنية معلقاً بها نفس آرائه السابقة، اعترافات مصطفى محمود الذي صدر عام ١٩٩١.

كان السؤال: لماذا رفضت طباعة كتابك «الله والإنسان» و«إبليس» طبعة ثانية؟

وكانت الإجابة: لم يكن لهما مكان في أعمالي والحقيقة أنني ضمنت هذين الكتابين في كتابي «حوار مع صديقي الملحد».

والكلام لا يحتاج لتوضيح.. فالدكتور مازال يؤكد أن الأفكار واحدة.. وإن كان هناك اختلاف فهو في أسلوب العرض.. وأسلوب الحياة ذاته الذي يسلكه في الوسط الفكري والثقافي فالرجل يهاجم ثم يخبو.. يكتب بحدة ثم يعود يغازل من كتب عنه.. يتبنى الرأي ثم يتبنى نقيضه.. يهاجم رجال الأزهر ويحرص على صداقتهم، يدعو إلى حرية الفكر والإبداع ثم يصب لعناته على المفكرين والمبدعين.

والإجمال يحتاج إلى تفصيل..

فبعد أن كتب في مجلة «صباح الخير» في الستينيات مقالاً عن النازية لم يعجب عبدالناصر صدر الأمر بإيقافه عن الكتابة نهائياً، وعندما سأل إحسان عبدالقدوس الذي كان أيامها مسئولاً عن «روزاليوسف» و«صباح الخير».. رد إحسان عليه رداً مقتضبا «دي أوامر».. وبعد سنة عاد للكتابة مرة أخرى بعد لقاء مع هيكل سأله فيه عن سبب منعه من الكتابة فرد عليه هيكل «لا تفكر في شيء ارجع اكتب وخلاص».. المفاجأة أن د. مصطفى قال له أريد أن أعرف غلطتي حتى لا أعود إليها.. ما هي الغلطة التي ارتكبتها..؟! لكن هيكل لم يرد عليه فقط قال له: ارجع واكتب فاتني.

ورغبة الدكتور في معرفة غلطته حتى لا يعود إليها رغبة صادقة وإن كانت طبيعية من كاتب كل ما يفكر فيه هو أن يظل موجوداً في الصورة أطول فترة ممكنة، ولذا عندما عاد للكتابة اختار أن يكتب عن مشكلات المراهقين العاطفية وله في ذلك كتابان هما «55 مشكلة حب» و«اعترافات عشاق» هذا رغم أنه عاش حياة عاطفية وزوجية مضطربة للغاية، فقد تزوج مرتين وفشل في المرتين. يبرر الدكتور هذا الفشل قائلاً: «كانت لدي مشكلتين وليست مشكلة واحدة فقط فبجانب مسألة الكاتب والمؤلف هناك مشكلة أنني صاحب رسالة، فكيف تتحمل زوجة أن تعيش مع إنسان مستغرق بكل كيانه في العمل».

وبعد أن مات عبدالناصر استل الدكتور سكينه وأشهره على عبدالناصر الذي منعه من الكتابة وكتب مقاله الشهير في «أخبار اليوم» يوم ٤ يوليو ١٩٨٧ بعنوان «سقوط اليسار».

يقول الدكتور في مقاله «الفساد ما ولد إلا في حكم عبدالناصر الذي غابت فيه الحرية وقطعت الألسن وقصفت الأقلام وسادت مبادئ النفاق والانتهازية وحكمت مراكز القوى وانطلقت عصابة القتل تعيث في الأرض فساداً. وما ولد الإرهاب الذي نعاني منه اليوم إلا في زنازين التعذيب في السجن الحربي بأمر وتوجيه وإشراف من عبدالناصر.

والمقال رغم حدته لكنه جاء مثل الماء البارد فهو شجاعة بأثر رجعي.. ومعركة في غير ميدان قتال وبحث عن القرش المفقود في الشارع المضيء بدلا من إرهاق البحث عنه في الشارع المظلم مع أنه ضاع أساساً في هذا الشارع المظلم.

وهو يهاجم رجال الدين وعلمائه وينفيه من آرائهم، ويأتي ذلك رداً على رفضهم لاجتهاداته في التفسير والكلام في الدين وقد بلغ هذا الهجوم بعد كتاب الدكتور «القرآن محاولة لفهم عصري» ذلك الذي تعامل خلاله مع القرآن على أنه كتاب طب وعلم وهندسة وفنون.. كتبت د. عائشة عبدالرحمن: «لا يجب أن نتورط إلى المنزلق الخطير الذي يمكن أن يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمن وضمائرهم فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والذرة فليس صالحا لزماننا ولا جديراً بأن نسيغه عقليتنا العلمية وعقلية منطقنا العصري»!!

وتواصل د. بنت الشاطىء نقدها لتفسير د. مصطفى العصرى تقول: «هكذا باسم العصرية تغرى شبابنا بأن يرفضوا فهم القرآن كما فهمته الصحابة فى عصر البعث ومدرسة النبوة ليفهموه فى تفسير عصرى من بدع هذا الزمان.. ثم إن هذا التفسير العصرى نموذج لمن يتكلمون فى القرآن بغير علم وما يتعرض له الفهم الإسلامى من بدع التأويل بالرأى والهوى».

د. مصطفى لا يتعامل مع هجوم علماء الدين عليه بموضوعية.. فهو يرد باستخفاف ويفسر هجومهم عليه بأنهم غاضبون من دخوله ساحتهم.. فهو بالنسبة لهم مجرد طبيب وكاتب بدون عمامة ولهذا فهم يرفضونه.. والغريب أن الرجل تعامل بنفس المنطق فى كل خلافاته مع رجال الأزهر بداية من تفسيره العصرى للقرآن إلى إنكاره الأخير للشفاعة الذى كان سبباً فى إعادة اتهامه بالردة والإلحاد والانتظام مرة أخرى فى صفوف العلمانية والشيوعيين!!

والدكتور يدافع باستماتة عن حرية الرأى والتعبير يقول «التفتيش فى الضمائر من عمل الله وحده ولا يجوز أن نتهم بالكفر من يقول لا إله إلا الله، والذين أخذوا الإسلام بالوراثة وبدون اختيار وإعمال فكر لا يصح أن يتهموا بالردة إذا طرحوا موروثاتهم الإسلامية ومسلماتها، وبدأوا فى إعادة النظر وإعمال الفكر فهذا حق كفله الله للمسلم أن من شاء، ويفكر ويقبل أو لا يقبل دون أن يخرج عليه واحد ليقتله باسم حد الردة».

ومرة ثانية يقول «ليس فى سنة الإسلام تكبيل العقول ولا سجن الأفكار» ومرة ثالثة يقول «الفكر يرد عليه بفكر، والرأى الزائغ يرد عليه برأى يقومه والضلال يرد عليه بهدى. والعلم الناقص يرد عليه بعلم أكمل منه، أما العودة إلى اعتقال المفكرين وتطليقهم من زوجاتهم بتهمة الزيغ والشطح فهو تخلف وتعصب لا يليق بمسلم».

ومع ذلك وبعد حصول الدكتور على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٩٦ قال عن نصر أبوزيد «نصر ده راجل هجاص.. إيه نصر أبوزيد ده.. ده واحد بيقول عن النبى إنه مؤلف القرآن، هذا لا يجوز الحوار معه، مفيش داعى خلاص فكرته مرفوضة من الأساس» وعن سلمان رشدى قال: «قرأت تلخيصات لمؤلفاته وهو كاتب سفيه ولا عنده فكر ولا غيره وشتام وليس له وزن ولا قيمة ولكنها الهوجة على الإسلام».. ويصل الهجوم

مداه عندما يصل كلام الدكتور عن تسليمه نسرين قال عنها «دى مرة مهتكوة وكتابها - يقصد رواية لاجا - سافل وابن كلب ولا يرد عليها هى لا أديبة ولا روائية دى مجرد حاقدة على الإسلام».

هذا التناقض فى كلام ومواقف الرجل لا يمكن تفسيره إلا بأن الرجل عاشق للظهور.. يبحث عن المناطق الحساسة ليفجر فيها كلماته وآراءه.. فيلتف حولها الناس.. يتناقشون حولها يختلفون أو يتفقون.. ويظل الرجل دائماً فى منطقة الضوء.

•••

قد تكون هذه الرؤية قد رسمت بعض الخطوط لشخصية د. مصطفى محمود وهناك كذلك عدد آخر من الرؤى يمكن أن تضيف إلى وجه الرجل خطوطاً أخرى لعلها تزيده وضوحاً، د. فؤاد زكريا وفى مجلة «روزاليوسف» عدد ٢٧ سبتمبر ١٩٧٦ كتب يقول «من المؤكد أن د. مصطفى محمود إنسان سعيد الحظ فهو بوصفه كاتباً ومفكراً، قد اكتسب شعبية واسعة أتاحت لكتبه أن تكون من أوسع الكتب انتشاراً على مستوى العالم العربى كله، وإذا كانت تذاكر السينما توزع فى الشباك والكتب الشعبية توزع على الرصيف فإن الدكتور مصطفى محمود بفضل نجاحه الساحق جدير بلقب نجم الشباك».

ويزيد د. زكريا الدكتور وضوحاً عندما يقول «ود. مصطفى فى شعبيته يتخذ أمام الجماهير الواسعة مظهر المفسر الدينى والحكيم الفيلسوف والعالم المطلع. صحيح أنه فى مجال التفسير لا يرضى معظم رجال الدين المتخصصين سواء منهم أصحاب وجهة النظر المحافظة أو المتحررة وأنه فى مجال الفلسفة هاو يسهل على أى مشتغل فى هذا الميدان أن يكتشف نقص معلوماته وضعف منطقه، وأنه فى ميدان العلم قد توقف على ما يبدو عند السنوات الأولى من فترة دراسته الطبية مضافاً إليها قراءات سريعة لكتب مفرطة فى التبسيط».

وفى أكتوبر ١٩٩٦ يكتب د. سيد القمنى بجريدة «أخبار الأدب» مواصلاً التوصيف لما يقوله د. مصطفى محمود، فالدكتور عندما يبحث عن كل ما يلتقى من العلم مع تفسير للآيات القرآنية ليقيس لها النظرية العلمية ويفصلها على قدها ومقاسها. قد تأتى مرة

فضفاضة ومرة شديدة الضيق، لكنه وهو يفعل ذلك يرتكب جرماً ثم يقع في إثم عظيم، الجرم يأتي في حق العلم نفسه حيث يقدمه مجزوءاً منقوصاً مشوهاً، يهدر ما بذل فيه من عناء وجهد بالعقل البشري خاصة مع تعقيباته وابتساماته الساخرة المعهودة، والإثم يأتي في حق الشباب المخدوع بزيف منطق الرجل وعذوبة كلماته فهو يدمر عقل الأمة متمثلاً في شبابها ليتحولوا إلى صناع قنابل محترفين وقتلة متمرسين ثم يهاجمهم بعد ذلك معلقاً ما يفعلونه على شماعة البعد عن الدين.

إلى جانب هذه الرؤى السلبية تقابلنا رؤية د. الطاهر أحمد مكي الذي كتب عن د. مصطفى في «الهلال» عدد أغسطس ١٩٩٦: «د. مصطفى محمود تتفق معه أو يختلف فهو أحد المعالم الهادية في هذا العصر الذي نعيشه وابرز المخلصين من المهتمين بمشكلات أمتهم». هذا الرأي يجعلنا نؤكد ما نذهب إليه من د. مصطفى منذ بداياته وهو يعتاق افكاراً بعينها هي وجهه الحقيقي، لكن مع ذلك لا يستغني عن قناع يضعه على وجهه من خلاله يتناقض مع بعض أفكاره أحيانا.. يختلف مع من اتفق معهم قبل ذلك، أو يختلف مع من سبق الاتفاق معهم.. والغرض في النهاية يلخصه الكاتب الصحفي حلمي النمنم بقوله عن مصطفى محمود «ما ألحد.. ولا تاب ولم يشك ولكنها النجومية».

يلخص حلمي رحلة د. مصطفى ويبدأ منذ الخمسينيات يقول: «لقد استوعب د. مصطفى محمود جيداً درس المصادرة في منتصف الخمسينيات، وكان لايزال شاباً طموحاً يريد أن يشق لنفسه طريقاً في الحياة الثقافية كطبيب أراد أن يخترق الأدب والكتابة وتعجل في تسويد صفحات كتابه الأول، فاستقبل أبشع استقبال.. الاتهام والمصادرة..

وبدلا من الدفاع عن الموقف والرأي قرر الدكتور أن يخوض الحياة بمنطق الذين اتهموه فأعلن انه كان مخطئا وتاب، ثم جاءت الظروف السياسية في بداية السبعينيات لتتلقف توبته وكان الرئيس السادات يدعو إلى دولة العلم والإيمان ووجد د. مصطفى أن لديه العلم وعاد إلى الإيمان فصار نجم المرحلة، وتصادف ذلك مع مرحلة خلت فيها مصر من كثير من أبنائها مفكرين وعلماء فقد هاجر بعضهم إلى بلاد النفط والبعض الآخر إلى الآخرة وأصبحت الساحة خالية إلا من د. مصطفى.. وبالفعل دانت للرجل الأسباب وصار النجم الأوحد في تقديم العلم مغلفاً ببعض المظاهر الدينية».

ورغم فرص النشر والانتشار الواسعة التي اتيحت له خلال العشرين عاماً الماضية كنموذج للأديب مرة وللداعية مرة وللمفكر مرة، لكنه لم يتمكن من إرضاء العلماء او رجال الدين، وحظي بهجوم الطرفين معاً.

●●●

الاقتراب من وجه د. مصطفى محمود يريحك كثيرا فهو رجل هادىء للغاية يأخذ من المفكرين.. يلقي كلماته وإزاءه ثم يمضي بعد أن تشتعل النيران في كل مكان ولا يسأل بعد ذلك عمن أحرقتهم نارة.. فهو كما قال عن نفسه صاحب رسالة.. وأصحاب الرسالات لا يهتمون بمن يموت بسببهم طالما أنهم في طريقهم لتحقيق أهدافهم..!!

لكن هل حقق د. مصطفى محمود هدفه؟!

هذا بالفعل هو السؤال الذي يستحق أن نبحث له عن إجابة!!

وهو السؤال الذي جعلنا نستفيض في ذكر تفاصيل حياة رجل يحسبه الناس على شيوخ مصر المعاصرين.. ولا نحسبه نحن عليهم!!

●●●

طيبة الشيخ صقر

نكتة لم تضحك أحداً على الإطلاق.. يقال ان الشيخ عطية صقر وهو يقدم برنامجه الشهير على القناة الثانية بالتليفزيون «فتاوى وأحكام» قرا من ورقة امامه.. جاءنا سؤال من الأخ الف باء تاء ثاء جيم «والسخرية واضحة حيث أن الرجل يرمز دائما لأى سائل يرسل له سؤالاً بحروف اسمه الأولى حتى لو كان السؤال تافهاً وساذجاً.. فالشيخ يحرص على السرية والكتمان حتى لو كان السؤال لا يؤذى أحداً والاجابة لا تجرح أحداً.

يخرج صوته عاليا بعض الشيء مع أنه يتحدث من خلال التليفزيون، لا يلتفت أحد كثيراً لإجاباته وفتاويه لسبب بسيط للغاية أن كل الأسئلة التى ترد للرجل أسئلة عادية عن العبادات من طهارة وصلاة وصوم وزكاة وعن أحكام الزواج والطلاق والميراث وهى أمور فى الغالب لا يهتم به إلا من يريدون معرفتها فقط، لكنها ليست موضوعات تخطف الأبصار وتجبر الآذان على أن تسمع، حتى عندما صدر كتاب يحمل فتاوى الشيخ عطية صقر تحت عنوان فتاوى للشباب وبه عدد كبير من الفتاوى التى تركز على مناطق حساسة فى العلاقات بين الرجل والمرأة فى كل مراحل حياتهما.. كانت إجاباته باردة يحاول أن يريح الناس، لا يذكر رأيا حاداً فاصلاً، لكن لا مانع عنده من أن يعيش الناس حياة سعيدة هانئة بعيدة عن القلق والتوتر.

يحتفظ الشيخ عطية صقر بملامح هادئة تعكس كم الطيبة الكبير الذى تتمتع به شخصية هذا الرجل، لذا تجده بعيدا عن معارك الشيوخ، ليس له شأن بهم، ورغم ضراوة المناقشات والحوارات وحدة الجدال بين الشيوخ حول قضايا حساسة من قبيل إعادة كتابة السنة النبوية الشريفة بعد عرضها على القرآن الكريم، وإنكار الشفاعة، لكن الرجل ظل بعيداً محتفظاً بهدوئه وطيبته، عاش حياته بالطول والعرض بعيدا عن الخلافات والمشاكل، حتى تطلعه للمناصب العليا فى الأزهر الشريف كان تطلعا مكتوما.. ظل لفترة طويلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر.. وبهذه الصفة عرفه الناس واستمعوا له، تعجب كثيرا بعد موت شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق وخرجت بعض الترشيحات تضعه ضمن

قائمة المرشحين لمنصب شيخ الأزهر، وتشفعوا للرجل بعلاقاته الجيدة بالحكومة وتاريخه الطويل معها، قد يكون الحلم راود الرجل بعض لحظات لكنه كان يعلم أن سنه فوق الثمانين - يقف حاجزاً بينه وبين تولى اى منصب..

الشيء الوحيد الذى يمكن أن يلفت انتباهنا فى الشيخ عطية صقر، هو أن الرجل يمثل نمطا يدخل تحته عدد كبير جداً من الشيوخ فى مصر، هؤلاء الذين بلا لون ولا طعم ولا رائحة.. اجتهادهم محدود يرددون فقط ما توصل إليه الآخرون، وتشاء ظروفهم ان يكونوا من نجوم التليفزيون، فهم ينزلون ضيوفا على التليفزيون لا لشيء إلا لأنهم أصحاب مناصب كبيرة فى الأزهر أو فى وزارة الأوقاف، أو لأن علاقاتهم جيدة للغاية مع المسئولين فى التليفزيون، ويصبحون بذلك مثل هؤلاء الذين رقصوا على السلم.. والمعنى على ما أظن واضح.

●●●

هدوء د. عبدالله

فى نهاية الثمانينات كان برنامج ندوة للرأى من بين البرامج المهمة للغاية على خريطة برامج التليفزيون، البرنامج كان يعده ويقدمه، المذيع المثقف حلمى البلك، كان يستضيف فيه كبار علماء الإسلام من رجالات الأزهر ولا داعى لذكر الأسماء فقد كانوا كثيرين..

وكان من بين هؤلاء العلماء رجل هادىء للغاية يتحدث للناس لا يتعالى عليهم ولا يتفلسف.. يصل لعمق الموضوع ولا يظل يلف ويدور حوله دون الوصول إلى حل.. يستخدم يديه ورأسه وملامح وجهه فى توصيل الرسالة التى يريد.. لا تفارق وجهه الابتسامة ولا تختفى الكلمات المتفائلة من حديثه.. كان هذا الرجل نجما كبيراً من نجوم هذا البرنامج وكان الناس أمام التليفزيون ينتظرونه، وإذا أذيعت الحلقة وكانت خالية منه غضب الناس وانصرفوا خاصة إذا كان بالحلقة د. عبدالصبور شاهين الذى فضح بشدة فى إحدى حلقات البرنامج عندما وقف رجلاً يقرأ سؤاله من ورقة أمامه وكلما توقف الرجل عن القراءة صحح له د. عبدالصبور، فيعتذر الرجل قائلا.. أصل الخط مش واضح.. فالسؤال أرسله د. عبدالصبور وجاء الحظ التعس بهذا الرجل ليقرأه فأخطأ.

رجلنا الذى نتحدث عنه هو عبدالله شحاته.. دكتور جامعى.. وعند الناس شيخ دين.. عالم من علماء الإسلام يرتدى البدلة وفى بعض الأوقات يرتدى فوقها العباءة.. وكما ظهر بغزارة فى برنامج «ندوة للرأى» فجأة اختفى الرجل تماما ليس من ندوة للرأى فقط، ولكن من برامج التليفزيون كلها، وبدأ الناس يسألون عن اختفاء الرجل الطيب الهادىء للغاية الذى لا ينفعل أبداً.. ولم يجد الناس جوابا..

كانت الحقيقة أن الشيخ الدكتور عبدالله شحاته سأله أحدهم فى البرنامج عن رأى الاسلام فى تنظيم الأسرة؟ وأجاب الرجل بمنتهى البساطة والهدوء أيضا وقال أن تنظيم الأسرة ليس حراما ولكن ليس من حق الحكومة أن تتدخل فى هذا الشأن، فهو أمر خاص للغاية بين الرجل وزوجته، لهما وحدهما حرية اتخاذ القرار فى التنظيم أو عدمه، لكن تدخل الدولة وإصرارها الشديد على أن ينظم الناس أسرهم فهذا ليس من الإسلام وليس من العقل فى شىء.

بالطبع لم يعجب هذا الكلام أباطرة تنظيم الأسرة والمنتفعين من هذه السبوبة الضخمة - ومنع الرجل من الظهور نهائيا فى التليفزيون وفى الراديو وفى الصحف..

وفجأة عاد د. عبدالله - لا أحد يعرف من أين عاد والناس بطبيعة الحال اعتادوا على عدم السؤال - أستاذاً للشريعة بكلية دار العلوم ومتحدثا فى التليفزيون فى أكثر من برنامج وفى الفضائية المصرية له برنامج خاص به اسمه دنيا ودين وفى القناة الأولى برنامج «اللهم اشرح لى صدرى» ويجيب فيهما على أسئلة المقتربين من المسلمين.. وهو فى إجابته مازال هادئا رقيقا مبتسماً متفائلا..

أشد ما يزعج فى عودة د. عبدالله ان دار أخبار اليوم تسلمته وأخذت تصدر له الكتب بمناسبة وبدون مناسبة.. فابتعدت كتبه الأخيرة عن رصانة البحث ودقة الباحث.. أصبحت كتب والسلام تحمل اسم وصورة الدكتور.. أخشى فقط أن يتحول د. عبدالله وهو من القلائل إلى مجرد مشروع استثمارى يربح من خلفه البعض..!!

●●●

المحتسب

هو كما وصفه الكاتب الكبير سليمان فياض «جعجاع مصر الكبير» وهو كما وصفه د. عبدالصبور شاهين بعد أن انقلب عليه «راجل غاوى شهرة وإعلام».

هو كما يعرفه المثقفون فى مصر «المكفر الكبير»

هو كما يقول عن نفسه «محتسب مصر الوحيد»

وهو فى كل الحالات الشيخ يوسف البدرى..

هذا الرجل الذى لابد أن تجده وراء كل ضجة كبيرة فى مصر، يتقدم صفوف المهاجمين ويمسك بيده أطول حربة، لسانه طويل فى الاتهامات والاعتداء على خلق الله الطيبين فى قضية نصر حامد أبوزيد كان الأعلى صوتا رغم أن صاحب القضية من الألف إلى الياء كان د. عبدالصبور شاهين الذى قال بعد ذلك إن هذا الرجل يحب الأضواء ودس أنفه فى موضوع نصر أبوزيد دون أن يكون له فيه ناقة أو جمل، وكان الرجل ضمن الفئة التى وقفت بالمرصاد لفيلم المهاجر الذى منع عرضه نهائيا من مصر رغم أن الفضائيات العربية مازالت تعرضه حتى الآن، أخذته الجلالة كذلك ووقف بقوة وبعنف أمام فيلم طيور الظلام ورفع قضية بتكفير يسرا بسبب صورة رأى فيها بعض الخلاعة والخروج عن عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية، ورغم أن يسرا كانت تقوم بدور عاهرة فى الفيلم وما فعلته لم يخرج بدوره عن كونه دور عاهرة لكن الرجل اعتبر ذلك إعتداء على كل المقدسات واقتحاماً لعالم المحرمات من أوسع أبوابه، ولا تمضى السنوات الطوال حتى يتحول حليف الأمس إلى عدو اليوم عندما يقوم الشيخ يوسف البدرى برفع قضية على د. عبدالصبور شاهين يطالب بتكفيره وتفريقه عن زوجته بسبب كتابه أبى آدم.. وعلق على هذا الكتاب بقوله «هذا الرجل تخطى السبعين فهل أبى الله إلا أن يختم له بسوء الخاتمة وهو يذكرنى هنا بتوفيق الحكيم حين قال عنه الشيخ الشعراوى ذلك عندما كتب حواراً مع الله آخر أيامه..»، لم يتوقف يوسف المحتسب عند د. عبدالصبور شاهين فى رفع القضية عليه وحده، ولكنه رفعها أيضا على شيخ الأزهر باعتباره حاميا للدين فى مصر وباعتبار الذى صرح بنشر هذا الكتاب ولم يمانع فى تداوله مطلقاً.

ورغم أن يوسف المحتسب أكد أن د. عبدالصبور شاهين سوف يتوب ويتراجع عن جميع كلماته التى وردت فى هذا الكتاب.. لأنه كتب حديثا متواتراً ومعروف أن من يفعل ذلك فالحديث قطعى الثبوت قطعى الدلالة، لكن لم يعلن د. عبدالصبور توبته كما كان ينتظر يوسف بل أصر على موقفه وطلب من علماء الأزهر أن ينازلوه ويجادلوه ولم يكن من الأزهر الشريف إلا أن برأ ساحة الرجل وشهد له بالتقوى والورع.. واختفى الشيخ يوسف ينتظر وننتظر معه قضية جديدة يثير فيها على نفسه وعلى الآخرين تراب الأرض جميعا..

لكن من هو الشيخ يوسف البدرى تحديداً؟!

هو رجل عاش حياته بالطول والعرض.. حصل على ليسانس دار العلوم.. وعمل بعد ذلك مدرسا ثم صحفيا.. ثم داعية متجولاً فى أرض الله.. يطل علينا هنا فى مصر من وقت لآخر يثير عواصف الغبار ثم يمضى، له عشرة كتب مطبوعة لا ذكر ولا أثر لها.. فليس له كتاب علامة أو اسم.. فكتاباته مثل قضاياه التى يرفعها لا تعدو أن تكون فقاعة هواء، يحاول أن يجتهد فى التفسير وفى الحديث وأيضا فى السياسة حيث كان عضواً فى مجلس الشعب «معارضة طبعا» من أهم مآثره أيام المجلس أنه طالب بوزارة للحسبة ووافق بالفعل الرئيس مبارك عليها بل وأوصى د. عاطف صدقى ببحثها مع الشيخ يوسف وتم هذا البحث بالفعل فى مكتب الرئيس فى جلسة دامت ساعتين كاملتين.. وإن لم تسفر هذه الجلسة الطويلة عن شىء ملموس.

الشىء الجدير بالتسجيل بالفعل على ضوء قراءتنا لشخصية الشيخ يوسف البدرى ومن على شاكلته أن هؤلاء الذين يسمون فى الأرض بالتكفير عندما يتحدثون أو يكتبون تجد خطابهم تسوده الرحمة ويملأه التسامح.. إلا فى اتهام الآخرين.

فيوسف البدرى أنشأ فرقة مسرحية وألف رواية لكنه أثناء الإعداد لها تراجع تماما لأنه اكتشف أن المسرح حرام ولا نعرف بالتحديد كيف اكتشف ذلك، يتحدث عن الشعر وحبه له، لا يعترض على الحب بين الشباب ماداموا التزموا أخلاقيا.. وكل ذلك كلام جميل،

هؤلاء ايضا يعشقون تضخيم ذاتهم فقد تحدث كثيرا عن محاولات امريكا الجادة لإخضاعه وجعله سهما يصوبونه إلى قلب مصر - لا ندرى أيضا كيف . ولكنه تغلب على كل محاولاتهم وهو ايضا يؤكد ان د . عاطف صدقى عرض عليه منصب وزير لكنه رفض وبشدة بل قال للرئيس مبارك ان اسال لا أسأل، أنا سائل لا مسئول، أنا مستجوب لا مستجوب: وانا أحاسب لا اضع نفسى فى موضع المحاسبة ولا أقبل أى منصب وزارى.

وهذا طبيعى للغاية.. فالشيخ يوسف البدرى ليس أزهريا ولا يرتدى الزى الأزهرى لكنه يحتفظ بصفة الشيخ، يرفضه شيوخ الأزهر ورجاله ولكنه يصر على أنه واحد منهم.. لا يتمتع بأية شعبية بين الناس. بل يرفضه الشارع المصرى الذى هو بطبعه يرفض التضييق والتزمت، وينفر من الذين ينصبون المشانق لخلق الله بمناسبة وبدون مناسبة.. ولذا تراه يلهث خلف الإعلام أينما كان.. يرفع صوته على الجميع وإذا تجرأ أحد ورد عليه جرجره إلى المحكمة يطعن فى عقيدته.. ويستعدى الناس عليه.

المحزن بالفعل أن هذا الرجل ينجح فى معظم الحالات.. ويزهو نجمه ويرتفع لكن من قال ذلك. فمهما فعل الرجل وعلا صوته واعتراضه فالقاعدة الثابتة تقول أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض، وكلام الرجل وجعجعته قطعا سيذهبون جفاء..!!

●●●

حماس د. هاشم

من بين المسكوت عنه فى مؤسساتنا الدينية أن من بين الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يشغل منصب شيخ الأزهر ومنصب المفتى محافظته على الالتزام بالزى الأزهرى، وعلى ما يبدو أن القيادة السياسية تعتقد مثلا ان الزى الأزهرى مازال يحتفظ فى قلوب الناس بوقاره وقدسيته.

ومن غير المسكوت عنه بل هو معروف للجميع ويعلمه الصغير والكبير ان د. احمد عمر هاشم لم يشاهده أحد ولو مرة يرتدى الزى الأزهرى بل يرتدى الرجل بدلة حديثة ولا اعتراض لنا على ذلك مطلقا.. لكن مؤخراً ومنذ فترة ليست بعيدة تحديدا يوم الجمعة ١٩٩٩/١٠/١٥ صدر عدد جريدة الشروق صوت الأزهر وفى صفحتها الأولى صورة للشيخ عمر هاشم وهو يرتدى الزى الأزهرى ولا اعتراض لنا أو لغيرنا على هذا أيضاً.. لكنه يوضح مدى اشتياق د. هاشم لأن يكون شيخا للأزهر أو على الأقل مفتيا.. فهو من المشتاقين لكبار للمناصب الكبيرة، ويجند الرجل نفسه لذلك ولا يستطيع أحد أن يلومه على اشتياقه هذا أو رغبته تلك.. لكن ما يلام به على الرجل وهو عالم كبير من علماء الحديث هو الطريقة التى يسلكها الرجل من أجل حصوله على هذه المناصب.. وهذه بعض المشاهد.

فبعد أن غزا صدام حسين الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ خرج جميع علماء الدين عندنا ينكرون ويستنكرون هذه الفعلة الشنعاء التى لا يقرها دين ولا يتفق معها ضمير ولا يحترمها عقل.. كل قال ما يرضى الله فى منتهى الهدوء، لكن د. أحمد عمر هاشم كان ملكيا أكثر من الملك وفى حماس يحسد عليه شن هجوما طاغيا على طاغية بغداد وكاد الرجل فى غمرة هجومه يخرج المتعاطفين مع صدام حسين من زمرة المسلمين. كانت تسبقه دموعه وهو يتحدث عن جريمة العراقيين.. ولم تضع صيحات الرجل هباء وأصبح رئيسا لجامعة الأزهر خلفا للدكتور عبدالفتاح الشيخ الذى كان بدوره مؤيداً لكل قرارات الحكومة.. لكن نبرته فى التأييد كانت اقل، وحماسه فى المباركة كان أبرد.

وبعد أن تولى الرجل رئاسة الجامعة وخرجت بعض الأقلام تتساءل عن مخالفاته فيها وعن كم الشكاوى الكبير للغاية من طلبة الجامعة ومن الأساتذة وكلها تنصب حول

مجاملة أقاربه وتفضيله لهم عن الآخرين.. وبنفس الحماس نفى الرجل كل ما نسب إليه من مخالفات دون أى مستند، فهو فقط فوض أمره إلى الله فيمن عارضوه وقدحوا فى حقه، جمع ببساطة كل ما قيل عن مخالفاته فى الجامعة وألقى بها فى أول صندوق زبالة ومضى يمارس حياته كما كانت بالضبط.

وعندما هب جميع المسئولين بالدولة يجرون الناس جراً لمبايعة الرئيس، لم يتراجع ولم يتخاذل د. عمر بل كان بحماسه المعهود داعياً إلى مبايعة الرئيس بكل حركاته وسكناته.. وظل الرجل ينتظر لكن انتظاره طال فلم تذهب إليه الوزارة.. فهرع إلى الزى الأزهرى لعل وعسى يكون فى قادم الأيام خير..!!

ولكن لم تحمل الأيام للدكتور عمر أى خير..

بل على العكس أحاطت به الغيوم.. وأوقعته أحوال مصر المضطربة فى شرك أظهر الرجل على حقيقته.. وكشف عن وجه قناع السماح والسماحة.. وظهر الوجه الحقيقى فبدأ الرجل متزمتاً.. وسلطوياً.. ثم وهذا هو الأهم عنده على الأقل وكان يرجو ألا يحدث، بدا الرجل مغضوباً عليه من الحكومة ومن رجالها المقربين والذين بأيديهم المنع والمنح.

تقصد ما فعله الرجل وما قاله.. أثناء أزمة رواية «حيدر حيدر» «وليمة لأعشاب البحر» التى تحدثنا عن تفاصيلها فى حضرة شيخ الأزهر، تلك الأزمة التى عاشتها مصر - سهرت على أحداثها لفحتها حرارة تصريحات التكفير والقتل من رؤوس الجماعات الإسلامية ومن رجال الأزهر أيضاً.

لم يكن د. هاشم بعيداً عن أوار المعركة.. والسبب أن طلبة الأزهر الذين هم من رعايا الدكتور خرجوا بمظاهرات عارمة.. أطاحت بالنوم من عيون أهالى المنطقة المحيطة بجامعة الأزهر، فقد سمعوا - ولاحظ اللفظ - أن هناك رواية تسب الله ورسوله أصدرتها وزارة الثقافة. مظاهرات طلبة الأزهر التى كان لها أسباب كثيرة وليست الرواية وحدها.. لكنهم صبروا على كل الضغوط والقهر الذى يصرونهم فى الجامعة إلى أن جاءت شرارة الرواية فانفجروا.. هذه المظاهرات وضعت د. هاشم فى حرج.. فكيف يظاهر أولاده..

وحتى لا يكون هؤلاء الأولاد سبباً فى إفساد كل ما يخطط له الرجل وانتقل من فوره إلى الجامعة وعمل على تهدئة الطلبة وطمأنتهم إلى أنه سيقوم بكل ما يقدر عليه من الصلاحيات حتى يسحب وزير الثقافة الرواية السافلة من الأسواق.

كان المشهد الثانى الذى ظهر فيه د. هاشم.. مشهداً جرت أحداثه فى اللجنة الدينية بمجلس الشعب والتى هو رئيسها.. حيث صرح بأن هذه الرواية يجب أن تحرق ويجب أن يقتل كاتبها لأنه مرتد.. ويجب أن تتم محاسبة من قاموا بنشرها.. وكان بيان اللجنة الدينية الذى خرج ليعبر عن رأى مجلس الشعب وكأنه بيان كتبته الجماعات الإسلامية المتطرفة، وليس عالماً يدرس الحديث لطلبة الجامعة.. ويعلمهم من بين ما يعلمهم حديث الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا.. وبشروا ولا تنفروا..».

ويبدو أن الحكومة لم يعجبها موقف رئيس جامعة الأزهر الذى زاد بدوره النار اشتعالاً، فسنت عليه قلم إبراهيم سعده الذى هاجم وبضراوة د. هاشم فى الصفحة الأولى من جريدة «أخبار اليوم».. واحتل مقال سعده الصفحة الأولى بكاملها وهو أمر لا يفعله إلا فى الشئون الخطيرة للغاية.. شعر د. هاشم أن البساط ينسحب من تحت قدميه.. فصورته التى ظل يرسمها بمهارة حتى تحوز إعجاب الجميع بدأ البعض فى تشويهها، ولذا كانت انتفاضته فى مجلس الشعب.. وكان هجومه ورغبته فى الإطاحة بكل الصحفيين الذين هاجموا موقفه، ولأن حماس الرجل كان أكثر من اللازم هذه المرة فقط طاشت كلماته.. حيث جاء برأس الحكومة ووضعها فى مرمى السهام مدعياً أن إبراهيم سعده يسب ويلعن الحكومة.. ولابد من التوقف أمامه بحزم.

طيش الكلمات ومراهقتها جعلت الوزير كمال الشاذلى يقف بصلابة ليمنع النار التى صب عليها د. هاشم البنزين.. وهاجم بدوره د. هاشم ومنعه من الكلام.. فالحكومة تستطيع أن تدافع عن نفسها جيداً فى مواجهة من يعتدون عليها، وهى لا تريد جهود السيد الدكتور، ليس ذلك فقط.. فقد حذر الشاذلى هاشم من تسرعه وطريقة حديثه ومقاتلته عن الصحف فالصحافة حرة ولا يجوز استعداء الحكومة عليها، كل ذلك كان من الممكن أن يحتمله د. هاشم.. لكن الطامة الكبرى أن الشاذلى ألمح لهاشم.. أنه يفعل

ذلك وهو مجرد رئيس جامعة.. فماذا كان سيفعل لو كان وزيراً وهاجمته الصحافة، والصحافة عندنا تفعل ذلك كثيراً هذه الأيام.

كانت هذه رسالة قصيرة مؤداها أن الدكتور إذا اراد أن يصبح وزيراً كما يشتاق فعليه أن يحتاط لنفسه وأن يضبطها فلا ينفعل.. لأن الانفعال ليس فى صالحه، بعد ذلك لم نسمع للدكتور هاشم تصريحات نارية أو هجوماً على أحد.. ولكنه حتى لا يحرج الحكومة أكثر من ذلك اكتفى بأن يُعرض بالذين يهاجمون أولياء الله الصالحين.. فهؤلاء لهم النار وبئس المصير فمن عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب.

هذا فقط غيض من فيض من أداء د. عمر هاشم، فالحماس مطلوب، لكنه فى أحيان كثيرة.. يصبح سبباً فى خراب البيوت وضياع المناصب.. وكشف نوايا الرجال أيضاً.

●●●

بيزنس د. ياسين

هو الشيخ ياسين رشدى الذى ظهر فى منتصف التسعينات كأحد الدعاة الكبار من خلال الإعلانات التليفزيونية عن كتبه التى أخذت كلها عنوان «الطريق إلى الله»، ملامح الرجل كلها كانت تؤكد تقواه وورعه وعمق علمه.. لكن ظلت إطلالة الرجل على الناس من خلال إعلانات التليفزيون فقط، فلم يقدم برنامجاً خاصاً به مثلاً، ولم يسع إليه أحد كى يستضيفه فى برنامجه، ولكنه شهرته طالت واستطالت عن طريق القصص والحكايات التى رويت عنه.. وفجأة اختفى الرجل.. فلم تعد هناك إعلانات عن كتبه، وإن ظلت كتبه على الأرصفة وفى أكشاك بيع الكتب.. وأصبحت سيرته تأتى مثل الطيف..

فبعد وفاة الشيخ الشعراوى كان أحد المرشحين لخلافته وملأ فراغه لكن الناس قلبوا فى دفاتر ذاكرتهم وقالوا ياه.. هو الرجل ده لسة عايش..!! ولم يعلق الناس عليه آمالهم كثيراً خاصة وأنه لم يقدم من العلم سوى كتبه ومن الدروس والخطب سوى عدد قليل فى أحد مساجد الاسكندرية.

ومرة أخرى ظهر الشيخ ياسين رشدى ولكن هذه المرة فى صفحات الحوادث فقد حاول شخص معتوه.. هو دائما معتوه.. على الشيخ بعد صلاة العصر يريد قتله. قالت الصحف.. خاضت فى أسباب ودوافع الحادث وقالوا أن المعتدى شخص راغب فى الشهرة.. وأخذ من اعتدائه على الشيخ الكبير وسيلة لتحقيق ذلك..!!

المرة الثالثة التى ظهر خلالها.. أو بمعنى أصح يظهر خلالها.. الشيخ ياسين رشدى هى مواسم الحج.. نعرف السبب ثم نسأل.. والحكاية أن الشيخ ياسين رشدي يمتلك جمعية إسلامية تقوم بتنظيم افواج حج لأبناء الاسكندرية، ولا مانع من أن يمتلك الرجل جمعية أو مائة حتى، ولكن وجود الرجل على رأس هذه الجمعية هو بمثابة الترويج والترغيب فى الحج من خلال هذه الجمعية بالذات.

وهو أسلوب اتبعته معظم شركات السياحة التى تنظم رحلات الحج والعمرة، فهى تقوم بالإتفاق مع شيخ شهير أو واعظ معروف عند الناس ليسافر مع بعثة الحج مقابل مبلغ محترم، وهذا المبلغ المحترم يتوقف على عدة عوامل منها اسم الواعظ ومكانته

الدينية وخبرته السابقة فى مسألة الحج، الرجل من المؤكد أنه يبتغى رضا الله، ولكن إلى جانب رضا الله لا مانع مطلقا من الكسب المادي الكبير.

الشيخ ياسين رشدي في الحقيقة ليس له تأثير كبير في كتاب الشيوخ في مصر فقد ظهر في أقل من سطر واحد، ظهر مثل اللمحة، لكنه يضع في أيدينا بداية خيط الحديث عما يمكن أن نسميه بيزنس الشيوخ.. فهل مسموح للشيوخ في مصر أن تكون لهم أعمالهم وتجارتهم الخاصة.. أعتقد انه مسموح حيث أنهم ليسوا حكاماً دائما هم في بؤرة السؤال عن اموالهم.. ولكن تظهر إشكالية أخرى وهي استخدام الشيوخ أو عالم الدين مكانته في جلب الناس إليه في الحصول على أموال المصريين باسم البركة.. والاسلام.. وأعتقد هذه المرة أن هذا ممنوع.. وهذا على الأقل حكم العقل.

●●●

زمن محمد حسين يعقوب

عرفته تحديداً من سائقي الميكروباص.. ومن أجهزة الكاسيت التي لا تكف عن الصياح في المقاهي ومحلات العصير، انتشر كما تنتشر النار في الهشيم.

مشهد..

شاب ملتح لحية خفيفة أعطى لسائق ميكروباص شريطا وضعه الرجل مبتهجاً في الكاسيت وبدأ الشيخ يتحدث عن الصلاة وترغيب المسلمين فيها.. بعد أن انتهت خطبة الرجل التي ظهر من خلالها جدة أسلوبه وقدرته على جذب الأذهان والقلوب.. أعاد السائق الشريط لصاحبه فقال له الشاب.. بل الشريط هدية لك بشرط أن تذيعه على كل من يركب معك.. فعسى الله أن ينفعهم وينفعك بثوابه.

ظهور محمد حسين يعقوب وخطبه التقليدية (الصلاة - عذاب القبر - الجنة وما فيها من ثواب وعقاب - البكاء على أحوال المسلمين - الحجاب وضرورته...) ليس جديداً علينا.. وشهرته التي بدأت تهز عروش شيوخ أخرى ليست جديدة أيضا، فما أشبه اليوم بالبارحة.. وعندما يعود الناس بذاكرتهم للوراء سنوات قليلة سيرصدون بزوغ نجم د. عمر عبدالكافي والذي انتشرت شرائطه في البيوت وبين الشباب وأصبح الدكتور عمر هو الواعظ الأول يردد الناس حكمه وأحكامه.. ويرون مواقفه التي تضج بالحكمة والفهم العميق لدوره كواعظ، ومن بعد د. عمر خرج وازدهر الشيخ محمد حسان بشرائطه الكثيرة فكلما وليت وجهك وجدت له شريطا، وزاد عدد أتباعه ومريديه وتنقلوا خلفه في مساجد المنصورة والقاهرة والسويس.. وأصبح هو مرة أخرى الواعظ الكبير الذي لا يشق له غبار وانتشرت شرائطه في سيارات الميكروباص واستمع لها الناس سواء رغبوا في ذلك أو لم يرغبوا، فأنت حتى لو عزفت عن سماع موعظته فليس أمامك إلا السكوت حيث أنك لا تستطيع أن تجهر برغبتك في عدم السماع حينها ستجد ألف من ينظر لك شزراً.

ويبدو أن الدور جاء على محمد حسين يعقوب - لا تهمنا حياته الخاصة - الذي هو نجم هذه السنوات، فارسها الأول، وواعظها الكبير، شرائطه بدأت تزيد في العدد، دون تنوع مطلوب، فلا جديد تحت شمس بلدنا السعيدة.

الغريب أننا نعرف أن هؤلاء الشيوخ يعرفون بعضنا جيداً ولا يكفون عن ترديد آيات الاعجاب والثناء على بعضهم البعض، وهو ما يجعلنا نتساءل عن سبب انصرافهم عن تكوين مشروع كبير للدعوة الإسلامية، لماذا يتحدثون في نفس الموضوعات، وهل خلت حياتنا من الموضوعات المهمة والتي تتعلق بمستقبلنا ومكانتنا بين الأمم في القرن الجديد الذي يبدو أنه لن يرحم أحداً، الواضح أنهم يعتقدون أن الحديث عن الدين يجب أن يكون حديثاً شافياً.. وعندما يصلون إلى عصرنا لا يفعلون أكثر من صب لعناتهم على من حلق لحيته ومن خرجت سافرة دون حجاب.. وأصروا على أن هذه هي النهاية التي ما بعدها نهاية.

أوجه الاختلاف بين شيوخنا تافهة وساذجة ومنها مثلاً أن عمر عبدالكافي اكتفى فقط بتسجيل خطبه على شرائط وتوزيعها.. لكن محمد حسان إلى جانب الشرائط قام بتفريغ هذه الشرائط ونشرها في كتب ويباع الشريط إلى جانب الكتاب حيث يكون الرجل مسموعاً ومقروءاً، وعندما جاء يعقوب أخذ بأسباب التطور وطبع خطبه على C.D وكله في سبيل تسهيل سماعهم وجعلهم في إمكان الجميع، فهم يسايرون العصر في وسائل نشر دعوتهم، لكن مسايرة العصر في مضمون دعوتهم فهو أمر مرفوع دائما من الخدمة.. وعن السبب طبعا لا تسأل لأن الاجابة معروفة للجميع وفي مقدمتهم شيوخنا الأفاضل..!!

ودعونا نسمع فقط لواحدة من مواعظ حسين يعقوب الزاعقة.. فربما نفهم كيف يفكر هؤلاء الشيوخ.

حسين يعقوب يتحدث عن الموسيقى والغناء - معظم شيوخ التطرف تحدثوا قبل ذلك عنهما - وللرجل طريقة في الخطابة أشبه بمهرج السيرك الذي يتفنن في إجادة ألعابه البهلوانية حتى يحصل على تصفيق الجمهور، فهو يحرص على المقام الأول على جذب انتباه جمهوره يطلب منهم الصلاة على النبي أكثر من خمسين مرة في الخطبة الواحدة، يتوجه بحديثه مباشرة إلى شخص بعينه من الحاضرين، يتوجه أحياناً لبعض الحاضرين بالسؤال الذي لا ينتظر عليه إجابة بل يجيب بنفسه، وبهذه الطريقة الملتوية المطعمة ببعض القفشات التي تحمل ثقل ظل يحسبه الرجل ظرفاً وهو في الحقيقة استظراف أصدر الرجل حكمه على الغناء (ولاحظ أننا نقول حكمه وليس حكم الإسلام).

رحمة بك لن نسرد عليك نص الخطبة العصماء التي ألقاها الرجل على مريديه.. ولكن فقط هذه بعض النقاط المهمة بها، فالرجل يصف الغناء بأنه بلية من البلايا التي أصابت المسلمين فأزاحتهم عن دينهم وزلزلت عقيدتهم حتى جعلهم استماعهم للغناء يأخذون القرآن مهجوراً وهو بذلك يساوي بين المسلمين الموحدين وبين الكفرة من قريش الذين اتخذوا من القرآن مهجوراً، الغناء عنده ليس بلية فقط، ولكنه مصيبة أصابت شباب وبنات المسلمين بل وكهولهم وشيوخهم، لأنه يعتبر أن الغناء يشغل المسلم عن قرآن وكل ما يشغل عن القرآن هو شؤم على المسلم، هكذا يقول الرجل.

ينزل يعقوب بعد ذلك إلى أرض الواقع مع الناس ويخبر مستمعيه بأنه كلما ركب تاكسياً أو ميكروباصاً أو مر بمحل وسمع صاحبه يشغل شرائط الأغاني سأل السائق أو صاحب المحل: بالله عليك القرآن أحسن أم سماع الغناء.. ولم يقل له أحد أبداً أن الغناء أفضل حتى لو كان فاسقاً، أما الذين قالوا للشيخ يعقوب أنهم يسمعون الغناء والقرآن على مبدأ ساعة لقلبك وساعة لربك رفض قولهم واتهمهم بأنهم يجرون وراء الشبهات ووراء البدع.. وسأل بدوره سؤالاً مستظرفاً وليس ظريفاً قال: هل ساعة لقلبك وساعة لربك تعني ساعة تسمع الحصري وساعة تسمع عمرو دياب.

هذا المنطق بالطبع يصيبك بالدهشة فلا أحد من الناس البسطاء الذين يسمعون الأغاني يشبهون القرآن بالأغاني أو يضعونهما في سلة واحدة.. فالقرآن له قدسيته ومكانته عند الناس والأغاني عندهم لها وقتها يروحون بها عن أنفسهم أحياناً ويسمعونها في أفراحهم ومناسباتهم السعيدة أحياناً أخرى.. لكن يعقوب وأمثاله هم الذين يضعون القرآن في وجه الأغاني جملة واحدة ثم يذرفون الدمع بعد ذلك على المسلمين الذين فضلوا الأغاني على القرآن..!!

لا يقول يعقوب أن الغناء حرام فقط، ولكنه يعطي نفسه حجماً أكبر وقدراً أضخم - وإليك بعض ما قاله -: يتنبأ الرجل بأن الذين يستمعون كلامه وهو يحرم الأغاني سيقولون ياعم ده عاوز يضحك علينا.. مع أنه وكما يقول يحب المسلمين ويريدهم أن يدخلوا معه الجنة لأنهم بسماعهم الأغاني يعتبرون عصاة ولن يدخلوا الجنة.. دعنا من

دخولنا الجنة الآن ولنسأل الشيخ الجليل وما الذى أعلمه أنه سيدخل الجنة.. فهل يزكى نفسه على الله أم أنه يعلم من سيدخل الجنة ومن سيدخل النار تحقيقاً أنه لو كان يعرف ماكنش حد غلب!!

هذه واحدة.. الثانية أن الرجل يسخر من كل العلماء الذين حللوا الأغانى بل قال فى استظراف - واعذرونى إن كررت كلمة الاستظراف كثيراً فهو كثير فى الشريط - يعنى أجد من يقول لى أن الشيخ فلان قال الموسيقى حلال أو أن الشيخ عكروت «وهذه كلمته بالنص» قال هذه نقرة وهذه نقرة.. بل هو يرفض كل اجتهاد يقوم به العلماء المعاصرون ويستشهد بأن القرآن قال: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ وقد قال عبدالله بن مسعود عن هذه الآية «والذى لا إله إلا الله إنه الغناء».. وحتى يرهب الناس فيسمعوا كلام ابن مسعود وحده يورد من كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ما نصه «ليعلم طالب العلم أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل عند الشيخين «وهما البخارى ومسلم» حديث مسند»!! ياسبحان الله فالرجل يساوى بين اجتهاد الصحابة وبين أحاديث النبى الصحيحة لا لشىء إلا ليهدروا اجتهاد العلماء المعاصرين الذين قالوا بأن الغناء حلال لا شىء فيه.

اللامنطق واللاعقلانية هى المسيطرة على الرجل الذى يقول: عندما أقول لك أن الأغانى حرام وتسمعنى أقول قال الله وقال الرسول فيجب أن تقول سمعاً وطاعة وتكون بعد ذلك مبسوط ومرتاح وإن لم تكن مبسوطاً ومرتاحاً بعد أن تقلع عن سماع الأغانى فيجب أن تجاهد نفسك حتى تكون مبسوطاً ومرتاحاً!!.. فما يقوله وحده هو الصواب حتى لو كان ما يقوله هذا مجرد اجتهاد وصل إليه بفهمه القاصر والذى لا تقتنع أنه يصل إلى فهم شيوخ فى قامة الشيخ محمد الغزالى ويوسف القرضاوى ود. سيد طنطاوى ود. نصر فريد واصل الذين قالوا فى حكم الموسيقى والغناء قولاً حسناً لكن ماذا تقول عن شيخ أخذه الغرور حتى ظن أن المسلمين جميعاً جماعته وهو أميرهم الذى إذ قال شيئاً فما عليهم إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا.

لا يتوقف الأمر على ذلك فالرجل يصف الغناء بأنه رقية الزنا ومُنبت للنفاق ويمسخ القلوب وهو عنده الإثارة والفتنة، بل قال غير مبال لما يقول لو قدر للمرأة أن تحمل من شىء غير ماء الرجل لكان من الغناء.. لأنه يعتبر الأغانى تحرض على الجنس والفسوق (!!) ولذا قال وببساطة يحسد عليها أن المذاهب الأربعة تحرم الغناء وأن جزاءنا إن استمر سماعنا للغناء هو الخسف والنسق والحرق، وليمسخن قوم وهم على أريكتهم قردة وخنازير.. لماذا يامولانا.. قال لأنهم يشربون الخمر ويضربون على القيان والبرابط.. وما البرابط ياسيدنا قال آلة موسيقية تشبه العود.. ومعنى ذلك أن ملوك العود جميعاً فى النار.. فرياض السنباطى وفريد الأطرش وحتى تصير شمة فى النار.. مع علمنا أن العود ليس من نغماته إثارة جنسية أو دغدغة مشاعر.. ولكن نغماته تهذب النفس وترقى المشاعر.

ما رأيكم إذا تركنا هذا الغناء قليلاً وسجلنا آراء بعض علماء الإسلام الذين يقتنعون بأن أفضل ما جاء به الإسلام هو حب الحياة وتعلم الناس كيف يعيشون حياتهم فى رحابه وسنته.. ولنبدأ بالمجتهد الكبير الشيخ محمد الغزالى الذى قال: «جميع الأحاديث التى وردت فى تحريم الغناء وآلاته تتبعها الإمام ابن حزم وقد وصل إلى نتيجة مهمة هى «كل هذا لا يصح منه شىء وهى أحاديث موضوعة» وقد اتفق معه فى الرأى الإمام الذهبى فى «ميزان الاعتدال» وابن حجر فى «لسان الميزان» وأشهر حديث يروى فى هذا الشأن هو حديث البخارى «ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» وهو حديث لم يورده البخارى مسنداً وإنما قال فيه قال هشام بن عمار ثم هو إلى أبى عامر وإلى ابن مالك «من جلس إلى قينة - مغنية - صُب فى أذنه الآنك وهو الرصاص المذاب يوم القيامة».

الشيخ الغزالى يقول عن حديث البخارى أنه معلقات البخارى لا يؤخذ بها، والأحاديث التى وردت فى ليلة النصف من شعبان هى أقوى من الأحاديث التى وردت فى تحريم الغناء!! وحتى لو سلمنا بصحة سند حديث البخارى فإن بعض العلماء قالوا أن التحريم هنا هو لاجتماع الخمر مع الغناء فى وقت واحد لا ينصرف للغناء فقط، أما بالنسبة لآلات الموسيقى فإن ابن حزم يقول: «وبيع الشطرنج والمزامير والعيدان والمعازف والطنابير

حلال كله ومن كسر شيئاً من ذلك ضمنه وبالتالي فإن حكم الآلات المستحدثة يؤخذ بالقياس على الآلات القديمة.

وحتى يكون الموضوع أكثر إيضاحاً فإن الشيخ الغزالي كان يرى أنه لا يمكن تحريم الغناء الذي يتحدث عن الغزل الشريف وشرح عواطف المحبين والإقتاب بجمع الشمل الذي يحوى مشاعر جديرة بكل إعزاز، وإذا كان البعض يحرم الغناء بسبب بعض الهبوط الموجود في البيئة الفنية فإن الإنصاف يقتضي أن نقول أن هناك رجال دين يعيشون بلا دين وهناك فنانون لا يساوون قلامة ظفر بينما هناك أيضاً من صليت معهم من جماعات عامة ومن رأيتهم في قوافل الحجاج والعمار يؤدون المناسك بأدب وتقوى، وقد مدح الرسول ﷺ صوت أبي موسى الأشعري قائلاً: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» ولو كان المزمار آلة رديئة لما قال ذلك، وقد سمع رسول الله ﷺ صوت الدف والمزمار دون تحرج. ولا أدري من أين حرم البعض الموسيقى ونفر من سماعها؟

ويعلق د. محمد عمارة على الأحاديث التي تحرم الغناء قائلاً: «هذه الأحاديث معلولة وليست صحيحة بمقاييس علم الجرح والتعديل، وهناك وقائع حدثت في عصر النبوة داخل بيت النبي وتعتبر شواهد مادية تعلن عن إباحة الغناء، منها حادثة أقر فيها النبي غناء فتاتين غنتا بأشعار تتحدث عن ذكريات ووقائع الحرب في التاريخ، وعندما اعترض أبوبكر على ذلك اعترض عليه الرسول مؤكداً إباحته للغناء.

قد لا يعجب شيوخ التطرف كلام الغزالي وعمارة مع أنهما الأكثر قرباً إلى عالم الأغاني الحديثة ويجب أن نأخذ برأيهما في هذا الأمر وليس برأي من لم ير ولم يسمع خاصة وأنهما تحدثا في ضوء الكتاب والسنة.. ومع ذلك هذه كلمات كتبها الإمام أبوحامد الغزالي من كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» يقول الرجل: «من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص بعيد عن الاعتدال بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة» والكلام لأبي حامد الغزالي العالم والفقيه وليس مثلاً لإبراهيم الموصلي المغني حتى يقول الذين في قلوبهم مرض أن الرجل له مصلحة.

●●●

لم تعرض لهذا الشريط ولآراء العلماء المجتهدين من أجل افتعال معركة وهمية حول تحريم الغناء أو تحليله لسبب بسيط أن ما قاله شيخنا الجديد ليس جديداً بالمرة.. ولكن خطبته جاءت من أجل إثبات نفسه ودوره وحرصه على أن يفوز بالجنة التي يحسبها مصير المجاهدين حتى لو كانوا مجاهدين ضد الغناء والموسيقى.. ويأتي جهاده هذا ساخراً مستفزاً وأحياناً شاتماً لأهل الفن والذين يحللون لهم أعمالهم، ويكاد الرجل لولا الملامة أن يكفر هؤلاء الشيوخ ولماذا نذهب بعيداً فقد كفرت بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة الشيخ محمد الغزالي بسبب آرائه في الغناء والموسيقى والمرأة.. مع أن الرجل لم يقل كلاماً ينافي العقل أو المنطق.

ما يقوله هذا الشيخ وأمثاله هو الذي يتنافى مع العقل بل يلغي العقل تماماً.. وتظل هذه هي المعركة الكبرى مع هؤلاء، فالغناء الذي يعتبرونه مقدمة للزنا ولموت القلب.. ولخراب الأمم هو في الوقت نفسه يقيس به العقلاء والحكماء حضارة الأمم ورقيهم وتقدمهم.. فإذا أردت أن تعرف مدى تقدم أمة فانظر إلى كلمات أغانيها.. ثم أن شعوب العالم كلها تغني ولم نسمع أن دياناتهم السماوية منها وغير السماوية تضيق على الناس وتحرمهم من متعة الغناء.. أم أن المسلمين وحدهم قدر عليهم أن يبتليهم الله بخطباء فقدوا العقل والتمييز فيقلبوا حياة الناس إلى جحيم ويرجوا أن تتحول الحياة إلى خراب يجلسون على تله.

نعترف أنه ليست كل الأغاني محترمة وتستحق الدفاع عنها، فلدينا أغنيات يجب أن يضرب أصحابها بالنار.. لكن في الوقت نفسه لدينا تراث ضخم من الأغاني الجادة والمحترمة الدينية والوطنية والعاطفية تبعث على الراحة والاطمئنان، بل إن بعض الأغنيات تقرب الناس من الله: شادية ختمت حياتها الفنية بأغنية جميلة «خذ بايدي» بل إن بعض الأغنيات تؤثر في وجدان المسلمين الذين يخاف عليهم السيد يعقوب ويرغب أن يدخلوا معه الجنة التي ضمنها لنفسه، وعليه أن يراجع فقط أغنية «القلب يعشق كل جميل» أو أدعية عبدالحليم حافظ الدينية بما فيها من صوفية وعمق، فهي أكثر تأثيراً من خطبه الزاخرة بالاستظراف وثقل الظل وغياب العقل.

.. اسمع كلامي فقط يا عم يعقوب واسمع «القلب يعشق» وستقلع تماما عن كل ما تعتقده في الغناء والموسيقى.. نسأل الله لك الهداية!!

عمرو خالد.. شعراوى أولاد الذوات!

فى صيف ١٩٩٨ وبعد وفاة الشيخ الشعراوى، بحث الجميع عن البديل، وطفت على السطح أسماء كثيرة، بعضها كان منطقياً مثل د. عبدالله شحاتة الذى كان معروفاً أيام الشعراوى، ومازال معروفاً حتى الآن بعد أن زادت كتبه، وشرائطه، وبرامجه التليفزيونية أرضية وفضائية، لكن بعض الأسماء كانت غير منطقية بالمرة مثل د. مصطفى محمود، فهو يقدم العلم والإيمان.. ويتحدث فى الدين ويفتى بعض الأحيان فى أى شىء وكل شىء.

بعيداً عن هذا الجدل الذى لم يكن واقعياً بالمرة.. كان عمرو خالد يحضر عيد ميلاد ابن أحد أصدقائه فى نادي الصيد، طلب عمرو من الحاضرين أن يلقى عليهم كلمة قصيرة لتهنئة صاحب عيد الميلاد، تكلم عمرو يومها عن الاحتفالات بالمناسبات الاجتماعية، وألح على الحاضرين أن يجعلوا من احتفالاتهم فى صالح الإسلام وفى خدمته. أعجب أصدقاء عمرو بطريقته فى إلقاء الدروس وطالبه بعضهم بلقاء أسبوعى يشرح لهم فيه أمور الدين، ويجيب على بعض أسئلتهم.

تعددت اللقاءات الأسبوعية واتسعت دائرة المستمعين وانتقلت أخبار خالد إلى معظم أعضاء نادى الصيد، وأصبح له عدد كبير من المريدين يحرصون على سماع دروسه ويتناقلون أخباره ويقبلون عليه.

كان الإقبال على عمرو مشابهاً لما حدث مع عمر عبدالكافى من قبل.. ولذا كان منعه من الخطابة وإلقاء الدروس فى نادى الصيد أمراً طبيعياً. فقد منع عبدالكافى من قبل بسبب آرائه المتطرفة، ومع أن عمرو لم تكن له وحتى الآن أى آراء متطرفة.. لكنه منع من الخطابة، وأغلب الظن أن المنع جاء من باب الحذر.. وقبل أن تحدث الكارثة ويصبح نادى الصيد مرة أخرى مصدراً لشيوخ التطرف.

افتقد جمهور نادى الصيد دروس عمرو خالد.. لكنهم لم يعدموا وسيلة اللقاء به، فعقدت له جلسات فى بيوتهم.. وأصبحت الدروس تلقى على مسامع صفوة المجتمع،

وبعض رجال الأعمال والفنانات ولاعبى الكرة.. وأثناء هذه الدروس ظهر شخصان التقى بهما عمرو كانا لهما تأثير كبير فى مسيرته، تغير مصيره تماماً، كان من الممكن أن ينتهى الأمر بعمرو خالد بعد منعه من نادى الصيد إلى مجرد شاب مثقف دينياً يجيد الحديث ويعرف بعض المعلومات عن الشئون الإسلامية، يتحدث بها وعنها فى بيوت أصدقائه ومحبيه.

اللقاء الأول كان مع ياسمين الخيام التى وضعت كل إمكانيات جمعية الحصرى الخيرية تحت أمر عمرو خالد، الجمعية التى تشرف عليها ياسمين ابنة الشيخ الحصرى لها أنشطة مختلفة منها تسهيل الحج والعمرة.

الجمعية خصصت لعمرو المسجد التابع لها، وظل يلقى فيه دروسه ومواعظه مدة طويلة. كانت ياسمين تشرف خلالها على تنظيم جلسات البنات اللاتى يحضرن الدروس. وكان معظمهن من بنات الجامعة الأمريكية، كانت ياسمين تختار كل مرة بنتاً أو بنتين، وتتحدث معهما على انفراد عن أهم الموضوعات التى تشغل بالهما، والتى ترغبان فى أن يتحدث فيها عمرو، وتوجيه البنات بأن عمرو يتحدث فيها.. دور ياسمين مفهوم إذن، فهى كانت حلقة الوصل بين عمرو وجمهوره.

اللقاء الثانى كان مع رجل الأعمال الهارب حالياً محمد جنيدى، تعرف جنيدى على عمرو فى بيت أحد أصدقائه الذى كان يلقى فيها دروسه، دعاه إلى مارينا وبعدها انتقلت دروس عمرو خالد إلى مارينا والتقاه الشباب هناك واستمعوا إليه، واعتبروه نجماً جديداً يغزو حياتهم فاستسلموا له وأقبلوا على شرائطه واستمعوا لها فى نهم!

النقلة الكبرى فى حياة عمرو خالد كانت عندما وصل إلى مسجد «المغفرة» بالعجوزة الذى كان يلقى فيه درساً يوم السبت من كل أسبوع، ويتحول الشارع إلى مولد كبير يشهد أشكالاً وألواناً مختلفة من البشر، وكل يأتى، وفى رأسه هدف. البعض يأتى ليسمع والبعض يأتى ليبيع ويشترى، والبعض يلحق بقطار الظاهرة الجديدة ليقول لأصدقائه ومن حوله إنه يسمع الأستاذ عمرو خالد.

وكان لابد للنجومية أن تكتمل، فعمرو أصبح اسماً يعرفه الجميع، ويقبل عليه الجميع والنتيجة المنطقية أن الجميع يستغله، فعلتها إحدى الشركات التي تعمل في تسويق المنتجات الثقافية والتربوية والتعليمية والترفيهية، أنتجت الشركة لعمرو خالد مجموعة العبادات ومجموعة الأخلاق وتحظى بإقبال هائل من الشباب، اتفقت الشركة مع الأهرام على تسويق شرائط عمرو خالد مع إصداراتها، ووزعت شرائطه بالفعل على مجلات «نصف الدنيا» و«الأهرام الرياضي» و«الأهرام الاقتصادي» و«الأهرام العربي» وحملت إلى جانب اسم الشركة المنتجة أسماء شركات أخرى، فشرائط عمرو أفضل وسيلة للإعلان عن منتجاتها.

ومن الصحافة إلى التليفزيون، كان أول ظهور تليفزيوني لعمرو خالد من خلال برنامج إعلاني عن الحج موله أحد رجال الأعمال، ويستعد عمرو حالياً لتصوير برنامج تليفزيوني تذيعه القناة الثانية في رمضان بعد أن نجحت ميرفت رجب قبل أن تترك التليفزيون في الفوز به من بين أنياب محطة فضائية أخرى كانت تسعى للاتفاق مع عمرو ليقدم منها برنامجاً يلقي فيه دروسه ومواعظه.

اختيار خالد للتليفزيون المصري وتفضيله على القنوات الفضائية يعكس ذكاءه الشديد، فهو من خلال التليفزيون المصري سيطل على جمهوره الحقيقي الذي يشتري شرائطه ويتابعه، ويهتم به.. ولابد أن عمرو يعلم أن مصر في الدعوة مثل مصر في الغناء، من أراد أن ينطلق فعليه أن يبدأ منها، ومن خلال تليفزيونها حتى ولو كان الاتفاق المادي أقل.. فالعائد المعنوي سيكون مجزياً ما في ذلك شك.

ولد عمرو خالد عام ١٩٦١، يحمل على كتفيه إذن ثمانية وثلاثين عاماً، حصل في بداية الثمانينيات على بكالوريوس تجارة قسم محاسبة من جامعة القاهرة، وليس حاصلاً على شهادة جامعية في التسويق من الجامعة الأمريكية، كما يردد البعض، وقد يكون مصدر هذا الخلط أن عمرو يردد دائماً أنه يسوق الدين للناس بطريقة تجعلهم يقبلون عليه ولا ينفرون منه.

فكرة التسويق يجيدها عمرو خالد بشدة في ترويج مواعظه ودروسه وشرائطه، لكنه لا يستخدم حياته الخاصة كجزء من هذا التسويق، فهو يفرض حصاراً على حياته

الخاصة، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منها، هذا الحصار لم يرحم عمرو خالد من أن ينزل ضيفاً على جلسات النميمة في صالونات الأثرياء وحلقات الفراغ في النوادي وتحت الشماسي على شواطئ الساحل الشمالي.

جلسات النميمة تؤكد أن عمرو خالد تزوج في بداية حياته من قبطية وأنجب منها بنتاً أسماها على اسم أمها حباً فيها وإخلاصاً لها، هذا الزواج لا يحب عمرو أن يتحدث عنه كثيراً لاعتقاده أنه يمكن أن يؤثر على صورته عند الشباب الذين يمثلون معظم جمهوره ورواد دروسه.

يهتم عمرو خالد بمظهره، فهو دائماً حليق الذقن يهذب شاربه باستمرار، ويراعي شياكته وهندامه، وصوره التي يطبعها على شرائطه «كاسيت وفيديو» تؤكد أنه يهتم بصحته جداً ويحاول ألا تفارق الابتسامة وجهه.. لأنه يقتنع أن بشاشة الوجه تساعده على الوصول إلى هدفه من مواعظه ودروسه.

ويبدو أن عمرو خالد تعلم من تجارب الذي سبقوه.. وإن كان تعليماً جزئياً.. فهو يسير على درب عمر عبدالكافي آخر مشاهير الدعاة الذين منعوا من الخطابة في اللبس والشياكة وطريقة الكلام والجلسات في بيوت المشاهير والفنانات.. ولكنه يتجنب أن يتحدث في الموضوعات التي كان يتطرق إليها عبدالكافي مثيراً بها الفتنة وصادماً للمجتمع بتكفيره ووعده بالنار في الآخرة مع أنهم يعيشون النار في الدنيا.

نجومية عمرو خالد التي تم صنعها بعناية وعلى عين بعض الفنانات المعتزلات مثل ياسمين الخيام وسهير البابلي، وبعض الفنانين الذين يروجون لصورة الفنان الملتزم مثل وجدي العربي وبعض لاعبي كرة القدم مثل نادر السيد وصاحب شركة الكاسيت التي توزع شرائطه وهو بالمناسبة لاعب كرة قدم لم ينل حظاً كبيراً من الشهرة، بدأ حياته لاعباً في نادي الزمالك، ثم انتقل إلى المصري ومنه إلى ناد جديد اشتراه مؤخراً أحد رجال الأعمال بعد أن دخل مجال الإعلام والفضائيات.

هذه النجومية جعلت عمرو خالد هدفاً سهلاً يهاجمه الجميع بلا رحمة، الهجوم كان غريباً عندما شنه سمير رجب عليه في كبسولاته الأسبوعية التي ينشرها في جمهورية

الخميس، تساءل رجب عن شرائط عمرو التي تنتشر مثل النار في الهشيم.. وهل مرت هذه الشرائط على الرقابة، وهل قالت كلمتها فيها، أم أنها شرائط لا تعرف الدولة عنها شيئاً. هذه الكبسولة حركت مدكور ثابت رئيس الرقابة على المصنفات الفنية وجعلته يرد على سمير رجب بأن الرقابة ستبحث موضوع شرائط عمرو خالد وستقول فيها كلمتها.

المفاجأة أن مدكور ثابت لم ينتبه إلى أن صاحب الكلمة في شرائط عمرو خالد والذين معه من اختصاص الأزهر، وليس من اختصاص الرقابة، وأن الأزهر قال كلمته وصرح لشرائط ومواعظ عمرو خالد بالانتشار والتوغل والسيطرة. الهجوم لم يكن على مضمون الشرائط فقط، ولكن كان على طريقة عمرو خالد، وأسلوبه في الدعوة، واختياره للمناطق الراقية ليتحدث مع وعن أهلها فقط، وليس صحيحاً أن عمرو خالد يقصر جهوده على الأحياء الراقية فقط، ولكنه يقوم بإعطاء درس أسبوعي بنادي باكوس الشعبي بالإسكندرية، عمرو يتحدث إذن إلى الفقراء، لكن هذه ليست نقطة يثار حولها الخلاف أو يهاجم بسببها، لأن عمرو عندما يتحدث في مساجد الأحياء الراقية يأتيه الناس من كل مكان من المهندسين والزمالك ومصر الجديدة و٦ أكتوبر ويأتونه أيضاً من إمبابة وبولاق الدكرور والشرابية، والجميع يبغون رضا الله ورحمته، ولكن كل على طريقته الخاصة.

نجومية عمرو خالد لم تجعله هدفاً للشائعات والنميمة فقط.. ولكنها أحاطته ببعض الحكايات التي تصنع منه أسطورة قادرة على فعل المعجزات وتحقيق المستحيلات، فهناك ١٢ طالبة من كلية الإعلام قررن ارتداء الحجاب بعد سماع خطبة لعمرو عن أهمية الحجاب وأن التي لا ترتديه ترتكب ذنباً سوف تعاقب عليه. حكاية بنات الإعلام يرددها جمهور عمرو.. لكنه هو أيضاً يردد عن نفسه بعض الحكايات منها ما قاله مثلاً في شريطه «الحجاب» عن فتاة لم تكن محجبة، ولم تكن ملتزمة قررت أن تذهب لشراء بدلة جينز فاشترطت صديقتها أن يذهبا أولاً لسماع درسه عن الحجاب وعندما استمعت الفتاة للدرس أخذت تبكي بقوة وتقول لمن حولها: غطوني.. غطوني. قررت الفتاة أن ترتدي الحجاب إذن، لكنها عندما انصرفت من الدرس وهي تعبر الشارع صدمتها سيارة.

ليست هذه الحكايات فقط فجمهور عمرو خالد يحب أن يردد أن البكاء يجتاح معظم مستمعيه وكلماته تجعلهم يقلعون عن الأخطاء التي يرتكبونها، خاصة، وهو لا يتحدث إلا عن تصرفات الشباب التي تخالف الإسلام ولبس البنات الذي لا يستر وتصرفاتهن التي تسيء إليهن، يركز عمرو بعد عرضه لانحرافات الشباب على أن الملجأ الوحيد للشباب هو الله، فهو الذي سيسمع لهم.. يصفح عن هفواتهم ويتجاوز عن سيئاتهم.. ويلح عمرو على تصوير عودة الشاب إلى الله في مشهد درامي موح يؤكد أن للداعية الشاب طريقته الخاصة في جذب مستمعيه إليه والتفافهم حوله.. ودفاعهم عنه بعد ذلك إن تطلب الأمر دفاعاً.

المفاجأة أن جمهور عمرو خالد ليس من النوع الذي يدافع عمن يحب، فجمهوره في الغالب شباب يجلسون أمامه من باب التغيير أحياناً أو من باب حب الاستطلاع أحياناً أخرى.. ولن نبالغ إذا قلنا إن بعض من يحضرون دروسه يحضرونها سعياً وراء الروشنة والجري وراء الموضات الجديدة، فأمامهم داعية إسلامي مختلف يتحدث معهم بلغتهم وبألفاظهم أحياناً.. لا يتردد في أن يلقي نكتة أو إفيه، ولا يتحرج من أن يتحدث مع أحد مستمعيه أثناء إلقاء دروسه.. يشعر جمهوره أنه واحد منهم وليس غريباً عنهم مثل بقية الدعاة الذين يعزلون أنفسهم عن الناس.

هذا الجمهور لا يستقر.. فهو ابن وقته.. وسيسمع لعمرو خالد مادام موجوداً ومسموحاً له بالخطابة وإلقاء الدروس، لكنه سينساه إذا منع من الخطابة مثلاً أو ظهر داعية جديد مبتكراً لأسلوب جديد في الدعوة.. فما يقوله عمرو خالد لا يختلف بأي حال من الأحوال عما يقوله الآخرون.. لكن الطريقة فقط هي المختلفة.. ولو جاء غيره بطريقة جديدة فسيذهبون إليه.. ويلتفون حول شرائطه ومواعظه فكل وقت في مصر وله أذان، وكل فترة ولها رجالها ونجومها وأبطالها.

وإذا كان جمهور عمرو يمكن أن ينصرف عنه بسهولة ويترك ظهره مكشوفاً.. فإن عمرو خالد نفسه لن يستمر طويلاً، فهو داعية نفسه قصير، ورغم شهرته العريضة كداعية فإنه مازال يدرس في أحد معاهد إعداد الدعاة التابعة لوزارة الأوقاف وليس صحيحاً أنه حاصل على دبلوم في الدراسات الإسلامية.

لكنه ليس فقيهاً وليس متعمقاً في علوم الدين.. هو فقط داعية بسيط يهتم بالحديث في الأمور العامة للمسلمين وتحديداً في أخلاقهم.. ولن يستمر عمرو خالد يقول للناس:

من منا لم يرتكب ولو خطأ بسيطاً في حياته.. كلنا نرتكب أخطاء وننساها ولا نهتم بأن نتوب ونتبرأ منها.

لو بصيت للحالات الاقتصادية المتباينة اللي الناس عايشاها هتلاقي وراء معصية تذنب ذنب فربنا يرفع رزقك.

لازم نتعلم اللغات، دا النبي في يوم واحد طلع ١٤ رسالة من المدينة وطلع كل رسالة مع الرسول بلغة البلد اللي رايحها، يعني في المدينة المنورة ١٤ واحداً تعلموا ١٤ لغة، شفتوا احنا طلعنا مش فاهمين إزاي، ده معمل لغات يا إخوانا جوه المدينة المنورة.. إزاي الناس دي أجادت الكلام ده.

كما ترون لا يقول عمرو خالد جديداً.. ورغم انتشاره الواسع.. دروس أسبوعية في عدد من المساجد ودروس خاصة.. برنامج بعنوان «ونلقى الأحبة» يقدمه على شاشة قناة «اقرأ» الفضائية، برنامج خاص بعنوان «كلام من القلب» صور منه ثلاث حلقات امتحان خلالها بسهير البابلي التي روت له قصة اعتزالها وحجابها والتزامها، ووجدي العربي وحارس مرمى الزمالك نادر السيد، هذا غير موقع على الإنترنت يعرض لمواعظه وآرائه وقد زاره حتى الآن أكثر من ٨٠٠٠ زائر..

كل هذه الوسائط تحمل من عمرو خالد إلى جمهوره كلاماً سطحياً عادياً عن المعاملات بين المسلمين وعن الأخلاق وعن التوبة وعن قصص الأنبياء، ثقافة عمرو خالد الإسلامية السطحية جعلته يمتنع عن الإفتاء، فهو لا يجيب عن أسئلة جمهوره إذا تعلقت ببعض الأمور الفقهية بحجة أنه غير متخصص في الفقه.. ولأن الجمهور لا يهتم كثيراً ولا يشغل باله.. فهو لا يغير رأيه في عمرو مثلاً ولا ينصرف عنه عندما يتهرب من الإجابة عن أسئلتهم.

لقد تعود عمرو خالد على لفت الانتباه إليه بأي طريقة.. كان قبل أن يحترف الدعوة في المساجد والبيوت يستعير سيارة أحد أصدقائه ويقف في الشارع ويفتح الكاسيت

على القرآن الكريم بصوت عال ليجذب الناس إلى القرآن بطريقة غير مباشرة، هذا الأسلوب اتبعه خالد في لفت الانتباه إليه الآن.. فهو يحيط نفسه بهالة من الغموض.. لا يتحدث كثيراً، يسافر كثيراً.. ينشر أخبار أسفاره على موقعه على الإنترنت.. وينشر أخبار تأجيله لدروسه أيضاً.. أحياناً يذكر الأسباب وأحياناً لا يهتم.. نجح خالد في جذب الانتباه حتى لو رفضنا ذلك، فهو أصبح نجماً ينافس في شهرته عمرو دياب ومحمد فؤاد وأحمد زكي.. وعزز من هذه النجومية أنه ينافسهم في الشياكة والأناقة.

ويبقى أمامنا أن نفض الاشتباك بين عمرو خالد والنجم السابق في عالم الدعوة عمر عبدالكافي فهما طريقان مختلفان، وإن كان عمرو يشبه أحداً ممن سبقوه في الدعوة.. فهو يشبه الشيخ الشعراوي، قد تستعجب بعض الشيء.. وتستنكر كل الشيء.. لكنهما في النهاية متشابهان.

الشعراوي كان داعية الفقراء يتحدث بلغتهم ويستعين بأمثالهم ويتحدث عن حياتهم يضرب المثل بالفرن البلدي والعيش البتاو والفلاحة التي تذهب إلى الأرض حاملاً وتعود وهي تحمل ابنها على يدها.

عمرو خالد هو داعية الأغنياء يلبس مثلهم ويدخل بيوتهم ويردد ألفاظهم ويأكل مثلهم ويضرب المثل بالسيارة والمبايل والرصيد الذي في البنك وآخر موضة في اللبس والماكياج.

الشعراوي كان يعد الفقراء بالجنة ويقول لهم إن فقرهم نعمة فهو يقربهم إلى الله، ويعظم من حسناتهم وإذا ضاقت عليهم الدنيا فليس عليهم إلا أن يصبروا ويواصلوا الصبر فليس أمامهم طريق آخر.

عمرو خالد يهنئ الأغنياء بما عندهم.. ويؤكد أن أموالهم نعمة منحها الله إياهم ليتقربوا بها فالمسلم الغني أفضل عند الله، لأنه سيساعد على نشر دينه أو كما قال في بعض خطبه «أنا عايز أبقى غني عشان استخدم فلوسي دي في الإنفاق في سبيل الله، وعشان أعيش عيشة كريمة، وعشان أبقى غني فالناس يبصوا ويقولوا شايف متدين غني ويحبوا ربنا من خلالي أنا عايز يبقى معاى فلوس، والبس أحسن لبس عشان أحبب الناس في دين ربنا».

بحث الناس عن شعراوى بديل فجاءهم عمرو خالد.. لكنه شعراوى لأولاد الذوات فقط.. يقول لهم ما يريحهم ويبعدهم عن كل ما يقلقهم ويؤرق منامهم ويلهب مضاجعهم لا نريد أن نتعرض لبعض ما يردده خالد من أفكار فرأينا فيها معروف.. فنحن ضد أن يتحول الدين إلى تجارة.. والمسجد إلى سوق.. لكن لا يقلقنا عمرو خالد.. ولا يجعلنا نفزع على شبابنا.. فكما جاء عمر عبدالكافى، واختفى فسيأخذ عمرو خالد هذه المرة يومين وسيختفى.. وكما قال عمرو دياب هذه المرة وليس خالد.. يوميهم ويجى غيرهم!!

●●●

خالد الجندى.. سمسار الفتاوى!

أدرك الشيخ خالد الجندى أنه لا توجد صناعة نجوم فى مصر لا فى السينما ولا فى مجال الدعوة الإسلامية فقرر أن يصنع نجوميته بنفسه، وضع لذلك خطة محكمة، أهدافها واضحة.. وكل التساؤلات التى تحاصرها تجد الإجابة بسهولة لا تحدث حتى فى حواديت ألف ليلة وليلة.

ولد الشيخ خالد فى حى الخليفة، النشأة إذن شعبية والأسرة متوسطة ترى فى تعليم أولادها السبيل الوحيد للرقى وتحسين مستوى المعيشة، عندما أنهى دراسته الثانوية الأزهرية التحق بمعهد الفنون المسرحية، لكنه تركه بعد ستة أشهر، ثم التحق بكلية أصول الدين قسم الحديث، ورغم أن هذا القسم لا يخرج دعاة أو خطباء مساجد، لكن خالد فضل العمل كداعية وخطيب فى مساجد وزارة الأوقاف، فقد مارس الدعوة منذ كان طالباً فى أولى ثانوى فى المعهد الأزهرى.

أكثر ما يميز شخصية خالد الطموح، لم يكتف بالعمل إماماً وخطيباً ومدرساً، ولكنه سجل للدراسات العليا فى قسم الحديث فى كلية أصول الدين، وسجل للدراسات العليا فى كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، لكن يبدو أن الدراسات العليا لم تعط خالد شيئاً، فقد وجد الشيخ نفسه فى النهاية موظفاً فى وزارة الأوقاف يتقاضى راتباً لا يزيد على ١١٨ جنيهاً شهرياً، وهو مبلغ لا يقوم بنفقات رجل وزوجته وابنتيه!

كان على خالد الجندى أن يعيد حساباته .. وكان القرار هو البيزنس، وحتى لا يلومه أحد وضع لذلك التخريج الشرعى، ولم يكن مفاجأة أن يقول لمجدى الجلاد فى الحوار الذى أجراه معه على صفحات مجلة «الأهرام العربى»: لا يوجد عالم إلا وله بيزنس، التاريخ الإسلامى يقول ذلك، فمثلاً أبو بكر الصديق كان تاجراً، وعمر بن الخطاب كان تاجراً، وسيدنا أبو حنيفة النعمان كان من أعظم التجار فى المجتمع الإسلامى، وكان كل عالم يطلق عليه اسم العمل الذى يمارسه فيلتصق به، فنجد الإمام السراج والإمام الطرابيشى والإمام الخياط، كلهم أئمة لهم تجارتهم.

وكلام الشيخ الجندى صحيح.. لكن فاته أن كل من ذكرهم لم يكونوا موظفين ولهم مورد رزق ثابت ومعروف، ولا مانع طبعاً أن يكون للجندى بيزنس خاص به بعيداً عن المنبر والدروس التى لا تنقطع فى بيوت الأثرياء، ولكن المانع أن يكون البيزنس غامضاً، لا أحد يعرف بدايته من نهايته، وهو الأمر الذى يمكن أن نكشف عنه قريباً، فبعض خيوطه فى أيدينا وبعضها الآخر لايزال عند زوجته السابقة التى حصل منها على مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه عمل بها عدة مشروعات نقلته من موظف بـ١١٨ جنيهاً فى الشهر إلى طائفة أصحاب السيارات والعمارات والرصيد الهائل فى البنك.

استراح خالد مادياً إذن، بقى أن يحقق نفسه معنوياً، أن يتحول من مجرد خطيب فى مسجد مجهول من مساجد وزارة الأوقاف إلى نجم يكتب المقالات فى الصحف ويقدم البرامج فى الفضائيات وينزل ضيفاً فى الندوات، من خلال علاقاته تسربت له بعض المقالات فى تفسير القرآن فى إحدى المجلات الحكومية، وبعد أن تسربت مقالاته تسربت آراؤه.

لم تكن آراء خالد الجندى التى بعثرها فى الحوارات التى أجريت معه آراء هادئة، ولكنها كانت متصادمة ومتناقضة تثير حوله الجدل، وتجعل القاصى والدانى يسألون.. من هذا الشيخ؟!

فهو يعتبر أن الشعراوى دقة قديمة فى الدعوة وأن جيل العظماء من الدعاة انتهى، وأن المدرسة القديمة من الدعاة لم تعد مناسبة للمرحلة الحالية الحديثة، ولكنه موظف حكومى فلا ينسى أن يؤكد أن وزارة الأوقاف تؤسس مدرسة جديدة للدعوة، حيث تقوم بإعداد الدعاة وتزودهم بدورات كمبيوتر، هذا الرأى عندما قلناه قبل ذلك.. اعتبروه هجوماً على الإسلام واعتداء على حرمته وهدماً له وتمزيقاً لعلماء الإسلام، ها هو واحد منهم ينقض عليهم.. فلا يلومه أحد أو حتى يوجه له كلمة عتاب.

الجندى يحب كذلك أن يربك متابعيه، فهو يدعو لدراسة عمرو خالد كداعية شاب مجتهد رغم أنه غير أزهرى، ويطالب الدولة أن تعطيه الفرصة، وإذا ظهر عنده اعوجاج فتقوم بتعديله، يقبل خالد الجندى عمراً على حالته تلك إذن، لكنه يحمل قوة على غير الأزهريين، فهو ما شارك فى مشروع الهاتف الإسلامى مع شريف [illegible]

عبدالمجيد إلا من أجل القضاء على الفتاوى الضالة لغير الأزهريين، ولا ندرى من نصدق خالد المعجب بعمرو خالد الداعية الشاب غير الأزهرى، أم خالد الغاضب على غير الأزهريين الذين يريد أن يتخلص من فتاواهم الضالة.

ليس هذا فقط ما فى كلام خالد من تناقض، فهو يؤكد مرة أنه يحصل على ٣٠ ألف جنيه، مقابل خروجه مع رحلات الحج لصالح إحدى شركات السياحة، ثم يعود ويقول إنها ٥٠٠ جنيه فقط، وفى الثالثة يؤكد أنه كان يمزح، فهو ليس عمرو دياب أو مصطفى قمر ليحدد أجره قبل أن يذهب للدعوة وإلقاء الدروس!

قد تجر هذه الآراء المتاعب على خالد الجندى باعتباره يسعى إلى صورة دعاة وشخصيات لعبت دوراً كبيراً فى الدعوة الإسلامية، لكن لخالد آراء قد تجعله منبوذاً اجتماعياً، فهو لا يمانع فى عودة ملك اليمين مرة أخرى ويرى فى ذلك حلاً لمشكلة الشباب الجنسية من ناحية وزيادة فى استمتاع الأغنياء من ناحية أخرى، وعلى سيرة الأغنياء يرى خالد أنه إذا أصلح الله على يده شخصاً غنياً واحداً أفضل عنده من هداية ٥٠ فقيراً، لأن هذا الغنى سيطعم الـ٥٠ فقيراً ويعينهم على الحياة!

أغلب الظن أن هذه الآراء ليست أصيلة عند خالد الجندى، ولكنها آراء إعلامية (أمريكانى يعنى) يروج بها لنفسه ويعمل بها «شو» كما يقولون لتلتف حوله الآذان وتتركز عليه العيون، هذه الآراء جزء من الخطة التى يعدها خالد الجندى ويشرف عليها بنفسه لصنع نجوميته وتسويق نموذجه الذى يسهر على تكوينه بعناية، فهو إلى جانب آرائه التى تبدو صادمة، يرسم لنفسه صورة ناعمة كالحرير.

فهو متعدد المواهب ويعيش حياته بالطول والعرض يجيد العزف على أربع آلات موسيقية هى الكمان والبيانو والناى والعود، ولكنه يرفض أن يصوره أحد وهو يعزف على هذه الآلات، لأن ذلك يهز صورة الداعية الوقورة عند الناس «!!» مبتسم طوال الوقت يشيع حول نفسه حالة من التفاؤل، وإذا استنكر أحد هذه الحالة، قال ببساطة إنه يتمتع بالدين الإسلامى، وعندما جاء ليكحلها عماها، فهو سعيد لأنه سيدخل الجنة باعتباره من أهل السنة الذين على حق، بينما الجميع سيدخلون النار!

الصورة الناعمة لم تكن لتكتمل عند خالد الجندي إلا بهجومه على الجماعات الإسلامية المتطرفة، فهو يرى شيوخ الجماعات الإسلامية مهوجين، وهو يخرج عن إجماع شيوخ الأزهر، ولا يرفض ظهور الصحابة على الشاشة، بشرط أن يكون الممثلون الذين يقومون بهذه الأدوار ملتزمين أخلاقياً، بل يقترب خالد الجندي أكثر من تكوين صورته الناعمة عندما يعلن رفضه لما يسمى بالزي الإسلامي، فلا يوجد للإسلام في رأيه زي معين، بل يذهب إلى أكثر من ذلك، فمن يقول إن الجلباب هو الزي الإسلامي فهو يعتنق فقه التصحر بمعنى فقه البدو ورعاة الغنم.

ولا أعرف كيف مر هذا الرأي على الذين يصدعون رءوسنا بحكاية هدم الإسلام والاجتراء على شيوخه، فهو يرفض فقه الصحراء الذي تنتهي جذوره إلى فقه الرسول شخصياً كما نعلم، لكن كما قلنا سلفاً أن حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط، ويبدو أن حبايب خالد الجندي كثيرون فلا نسمع لهم صوتاً.. ولا حتى همساً.

ضمن خالد الجندي بهذه الصورة التي رسمها لنفسه أن يكون له أتباع بل لن نبالغ إذا قلنا دراويش يدعون له ويروجون لأسلوبه ويعتبرونه المخلص الجديد الذي جاء ليجمل الدين ويجعل الناس يقبلون عليه، قد يكون عند من يروجون لخالد عذرهم، فهم حسنو النية يقومون بما يرونه صالحاً.

لكن عقلية خالد الجندي الاقتصادية تجعلنا نؤكد أنه كان يمهد الأرض ليتقبل الناس مشروعه الكبير، وهو الهاتف الإسلامي، وهو المشروع الذي يشترك فيه مع شريف ابن الدكتور عصمت عبدالمجيد، ويساعده في الافتاء فيه د. عبدالمعطي بيومي ود. رأفت عثمان وهم من أساتذة خالد الذين يدين لهم بالفضل حتى الآن، هذا المشروع تحصل منه الهيئة القومية للاتصالات على ٥٠٪ من الدخل، والهيئة المنظمة للمشروع «سوفت ويره» والذي يشارك فيه خالد بـ٢٥٪ من الدخل، والـ٢٥٪ الباقية تذهب للشيوخ الذين يقومون بالإفتاء، يصل إلى المشروع يومياً ٥٠٠ سؤال أي ما يقارب ١٥ ألف سؤال شهرياً، ولو فرضنا أن السؤال يستغرق ٥ دقائق وهذا على أقل تقدير، فإن المشروع يدر دخلاً يعادل قيمة ٧٥ ألف دقيقة في الشهر، وهي قيمة على ما نعلم ليست قليلة!

ولأن خالد يمهد للصيد ولأنه يعرف أن مصادر الفتاوى كثيرة ومتعددة فكل إمام مسجد يستطيع أن يفتي الناس، ودار الإفتاء تفتح بابها للناس ولا ترد سائلاً، ومشيخة الأزهر تستقبل أسئلة الناس على مختلف أنواعها، والصحف الإسلامية تخصص جزءاً كبيراً من صفحاتها للإجابة عن أسئلة الناس، ومنها الغريب والعجيب، وبرامج التليفزيون الأرضي والفضائي أصبحت تتسابق لتجيب عن أسئلة الناس وجذبهم إليها ومحطة القرآن الكريم تقوم بنفس الدور، لكل ذلك حدد خالد لمشروعه هدفاً آخر، فالهاتف الإسلامي عنده ليس لكل الناس، وإنما للحالات الخاصة، مثلاً واحد عنده شذوذ جنسي ويريد أن يتوب، ولا يستطيع أن يذهب إلى عالم ويعترف له بأنه شاذ، أو سيدة خانت زوجها أو مختلس أو قاتل أو حرامي!

حدد خالد إذن نوعية جمهوره.. هو مشروع اقتصادي من الدرجة الأولى، وليس لخالد بعدها أن يستعرض عضلاته على خلق الله ليؤكد أن مشروعه إسلامي، يهدف لنشر الدين وتوعية المسلمين بأمور دينهم، لا مانع أن يتقبل الناس مشروع الهاتف الإسلامي باعتباره مشروعاً للأثرياء يحل لهم مشاكلهم ويخفف عنهم أوجاعهم، كما أن خالد الجندي نفسه شيخ للأثرياء يلقي عليهم دروساً ومواعظ في بيوتهم بأجر أو بغير أجر فهذا شأنه، لا يرفض أحد ذلك، ولكن بشرط أن نسمي الأشياء بأسمائها فالدين ليس أموالاً تصب في جيوب بعض الأشخاص حتى لو كانت لحاهم طويلة ولا يتحدثون إلا بالقرآن!

●●●

زغلول النجار.. الزيف والحقيقة

يعتقد الناس أن زغلول النجار جاء ليخلصهم، يجدد لهم دينهم ويبث فيهم الروح، يعوضهم عن غياب الشعراوي ويرث مكانه، استقبلوه في الندوات والحفلات استقبال الفاتحين لم يكذب الرجل خبراً، فلم يرفض دعوة للحديث في التليفزيون أو الصحافة، أخذ يفتي في كل شيء ويدلي برأيه في كل قضية.. مع أنه ومن واقع أوراقه الخاصة لا يجيد الحديث إلا عن الإعجاز العلمي في القرآن.

وصل زغلول النجار دون أن يدري كيف ولماذا؟ إلى شهرة قد لا يصدقها هو شخصياً، لم نتبهر بشهرته، فنحن نعرف مصدرها جيداً، ولكننا قلبنا في أوراقه لنقدم لكم حقيقته في أيام تعز فيها الحقائق وتندر.

الرجل: هو زغلول راغب محمد النجار، ولد في قرية مشال من أعمال مركز بسيون محافظة الغربية، قضى طفولته في قريته وسط عائلة متدينة تحتفي بالقرآن وأهله، كان جده لأبيه من علماء الدين البارزين، وكان أبوه معلماً للقرآن ومحفظاً له.. يقول د. زغلول «كان من عادة عائلتي أن تأتي بقارىء للقرآن كل يوم في رمضان وكنا نتجمع أنا وإخوتي ونحن أطفال لنستمع إلى القرآن يتلى في بيتنا من بعد صلاة التراويح وحتى السحور، بالإضافة إلى الأحاديث الدينية في الفقه والتفسير والحديث والإعجاز اللغوي للقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وواقع القرآن على العصر الذي نحيا فيه.

ظلت هذه هي ملامح الطفل زغلول حتى انتقل والده إلى القاهرة وانتقلت الأسرة معه، ودخل مدرسة عباس الابتدائية، وفي المدرسة لاحظ أساتذته في اللغة العربية تفوقه وإجادته للإلقاء ونطقه السليم للحروف، أنهى زغلول دراسته الابتدائية بتفوق، ثم انتقل إلى مدرسة شبرا الثانوية وكانت هي الأخرى تهتم باللغة العربية والتربية الدينية.

وقبل أن ينهي دراسته الثانوية طلب منه مدير المدرسة أن يشترك في مسابقة التوجيهيين التي كانت تجرى في مختلف التخصصات والمواد، وكانت تمنح جائزتها من الملك شخصياً ويدخل الفائز فيها الجامعة بالمجان، دخل زغلول مسابقة اللغة العربية

وحصل على المركز الأول وانتقل إلى التعليم الجامعي، حيث التحق بجامعة القاهرة عام ١٩٥١ ليدرس الفيزياء، لكنه تراجع وتحول إلى علم الجيولوجيا بعد سماعه محاضرة ألقاها دكتور ألماني كان رئيسا لجامعة كولونيا بألمانيا الغربية عن الزلازل والبراكين.

تخرج د. زغلول في كلية العلوم عام ١٩٥٥ وكان الأول على دفعته في البكالوريوس، ثم سافر إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراة في جامعة ويلز التي حصل على الدكتوراه منها في عام ونصف العام فقط، فقررت الجامعة منحه درجة زمالتها بعد الدكتوراة، وظل يعمل بها ثلاث سنوات يعتبرها الرجل حافلة بالإنتاج العلمي، وكما أن المشرف على رسالته أرسل خطاباً فيها للملحق الثقافي المصري: إن منحة الزمالك التي قررتها الجامعة للطالب المصري زغلول النجار من أعلى المنح في الجامعات البريطانية، ولا تعطى إلا لواحد فقط كل عام من مساحة كبيرة من التخصصات تبدأ بالكيمياء وتنتهي بالهندسة. وأنه إذا لم يوافق المكتب الثقافي المصري على هذه المنحة فلن تقبل الجامعة طالباً مصرياً فيها بعد ذلك.. وأخيراً وافق الملحق الثقافي وبقي د. زغلول ينعم بالمنحة.

واصل الرجل أبحاثه.. ليصل في النهاية إلى ما هو عليه الآن أستاذ علوم الأرض بجامعات السعودية والكويت وانجلترا والزائر لجامعات أوروبا وأمريكا ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بانجلترا وصاحب المرتبة في علم الجيولوجيا من جامعة القاهرة عام ٥٥، وأول الحاصلين على جائزة مصطفى بركة في الجيولوجيا وصاحب أول خريطة جيولوجية لبحر الشمال ومؤلف عشرة كتب و١٥٠ بحثاً حتى الآن.

حياة الرجل سارت بشكل عادي لا مفاجآت فيها - لكنه عندما يرويها - ومثل غيره ممن يجدون أنفسهم فجأة في دائرة الضوء ينتظر الناس كلامهم وكأنه وحي من السماء - فإنه يضفي عليها بعضاً من الدراما.. ولا مانع من بعض الإشارات التي تؤكد تفوقه ونبوغه. يقول الرجل «كنت أول دفعتي ومعي مرتبة شرف لكنني ظلمت ولم أجد مكانا لي في جامعة القاهرة التي كنت أتمنى أن أكمل بها المسيرة حتى أحصل على الدكتوراة، وانتقلت في عملي من شركة لأخرى حتى اتصل بي د. فرج إبراهيم الأستاذ الذي اختارته السعودية ليؤسس قسم الجيولوجيا في جامعة الملك سعود بالرياض، والتي أسسها

المصريون، وكان أول مدير لها عبدالوهاب عزام وكان من العلماء المصريين القلائل، وكان أيضاً من قمم الأدب في ذلك الوقت فأحسن اختيار الأساتذة الذين عملوا معه في الجامعة. واعتبر أن عملي في السعودية كان أول طريقي وحمدت الله كثيراً وازداد إيماني بأن الله هو الذي يرسم للإنسان طريقه، وأن إرادة الإنسان في هذا الاختيار محدودة جداً، وأن التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب من أعظم الأسلحة التي يمكن أن يحمي بها الإنسان نفسه في هذه الحياة».

ولا ينسى د. زغلول أن يؤكد آيات نبوغه وعبقريته فهو يحكي عن المسابقة التي حصل من خلالها على مجانية الجامعة يقول: «دخل معي في المسابقة أستاذي في المدرسة ليلتحق بكلية الحقوق.. لكني تفوقت على أستاذي وحصلت على المركز الأول وحصل أستاذي على المركز التاسع عشر. لقد امتحنني في هذه المسابقة عمالقة الأدب في مصر مثل د. علي الجندي ومحمود تيمور وعلي الجارم وكان المقرر كبيرا وأذاعت الإذاعة نبأ تفوقي».

ولا يتوقف نبوغ زغلول النجار عند بداياته الأولى.. لكنه يروج لنفسه كأحد الدعاة الكبار الذين هزموا الإلحاد في عقر داره، يقول الرجل للمرة الثالثة «منذ عدة سنوات دعيت للمشاركة في مؤتمر عن الإعجاز العلمي في موسكو عاصمة الإلحاد لمدة ٧٢ سنة، وقد ذهبت غير مستبشر ولا مستريح. وبعد أن ألقيت محاضرة عن الإعجاز العلمي في القرآن، قام أحد كبار علماء الفيزياء هناك وقال: كنت أظنني من النابهين البارزين في تخصصي فإذا بي أمام علم أوسع وأشمل وأكبر من علمي لا أستطيع معه إلا أن أعلن شهادتي بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأذكر أن أربعة علماء ممن تحدثوا أعلنوا إسلامهم وتعاقب بعدهم آخرون حتى وصل عددهم إلى سبعة وثلاثين عالماً أعلنوا إسلامهم».

لغة العواطف تصدق هذا الموقف، لكن لغة العقل ترفضه تماماً.. ولو كان إقناع علماء الغرب بهذه السهولة فأين حصاد الجولات والمؤتمرات التي حضرها د. زغلول.. هل هؤلاء الـ٣٧ هم فقط الذين أسلموا على يد الرجل.. الأمر على ما يبدو أن زغلول النجار

يعرف جيداً إلى أي شيء يسعى، فالرجل الذي ظل طوال حياته بعيداً عن مصر يزورها على فترات متباعدة.. أصبح في السنوات الأخيرة يزورها كل شهر مرة، ومنذ شهور قليلة أصبح ملء السمع والبصر والفؤاد أيضاً.. لقد أصبح اسمه على كل لسان خاصة بعد أن استضافه صانع النجوم أحمد فراج في برنامجه الشهير «نور على نور» وعلى الرغم من أن بسطاء الناس لم يفهموا ما قاله ويقوله زغلول فإنهم انبهروا بحديثه الجديد وكلامه الذي لم يسمعوا مثله من قبل.

لقد عاد الرجل إلى مصر بعد أن خلت الساحة من الشيخ الشعراوي الذي كان ينظر إليه حتى علماء الأزهر على أنه عالم القرن الذي قيده الله لتجديد الإسلام وبعث روحه من مرقد غلق باب الاجتهاد لقد أشار زغلول إلى ذلك عندما تعرض في أحاديثه التي أصبحت لا تعد ولا تحصى في كل الصحف والمجلات إلى الشيخ الشعراوي قال الرجل والكلام بالنص «أنا فين والشيخ الشعراوي فين، لقد كان الرجل صاحب عطاء واسع وعلم غزير فيما يتصل بتفسير القرآن وهو حجة في اللغة وفيما يتعلق بالتفسير العلمي للقرآن» الكلام هنا فيه استدراك مهم جداً لمستقبل د. زغلول، فأنا أرى أنه يبرز من بين مسلمي كل عصر نفر من علمائه يقومون بتفسير كلام الله يحيطون علماً باللغة وأصولها ونواصيها وبالناسخ والمنسوخ وبالمأثورات من أحاديث الرسول الكريم، ولا أرى حرجاً في توظيف الآيات الكونية في مجال التفسير العلمي بمنطق النظرية والفرض، بحيث إذا أصاب العالم فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد».

د. زغلول في الحالتين ينتظر الثواب، معنى ذلك أنه سيتحدث ولن يكف عن الكلام فقد ألمح إلى عالم العصر الذي يعرفه الناس بذاك العالم الذي يرسله الله على رأس كل مائة عام ليجدد للناس دينهم.. وألمح كذلك إلى أنه المؤهل لذلك إذ لا حرج من توظيف الآيات الكونية في مجال التفسير وهو الشيء الذي يجيده الرجل بشدة. ولأنه يعرف أن الكثيرين سيعترضون عليه وهو ما حدث فعلاً، فقد رفض علماء الأزهر ما يفعله د. زغلول بالقرآن، لأنه يعلم ذلك، فقد أسرف في حديثه عن نشأته الدينية ومعرفته بالقرآن، وثقافته الإسلامية التي تمكنه من تفسير آيات القرآن الكونية تمهيداً لوضع تفسير كامل يبرز الإعجاز العلمي في كل آيات القرآن.

قد يعتبر البعض أن د. زغلول معجزة عصره وأنه السلاح الذى سيدخل به المسلمون إلى عصر التكنولوجيا والإنترنت.. وأنهم سيواجهون به كل دعاوى الغرب بأن المسلمين أهل جهالة وأن دينهم سبب فى تخلفهم.. وهؤلاء معذورون، فالرجل فى بداية ظهوره الإعلامى أكد أن دوره وطموحه سيقتصر على إصدار تفسير شامل لمعانى الآيات الكونية فى القرآن الكريم، كما أنه سيقوم بمراجعة جميع الآيات الكونية لترجمة معانيها إلى اللغة الإنجليزية، لأن ما وصل إلى الناطقين بهذه اللغة فى دول كثيرة من ترجمة آيات الإعجاز قليل جداً، لقد كان هذا الوعد مشفوعاً من د. زغلول بأنه عضو بالأكاديمية الإسلامية للعلوم وهى مؤسسة ضخمة دولية غير حكومية مقرها عمان وتعقد مؤتمراً سنوياً لمناقشة قضية من القضايا التى تهم العالم الإسلامى وتبعث بملخص لما ناقشته إلى كل زعماء الدول الإسلامية، كما أنه عضو فى مجالس تحرير دوريات علمية عالمية كثيرة أى أنه يستطيع أن ينشر دعوته ويصل بمعانى الإعجاز العلمى إلى كل دول العالم.

كان الرجل ينوى ذلك. ولن نشكك فى نيته. فكل الناس عندنا ينوون خيراً حتى يثبت العكس، وللأسف فقد ثبت العكس عند د. زغلول، حدث ذلك بسرعة مذهلة، فعندما حط الرجل رحاله فى مصر عرف الناس فيها فى بسرعة مذهلة.. وأدرك ما الذى يجب عليه فعله..

استجاب الرجل لمذيع القناة الثالثة عاصم بكرى فى البداية وظهر معه فى عدة حلقات لم تلفت انتباه أحد، وأغلب الظن أن سبب ذلك يرجع للمذيع الذى لم يقدم ضيفه بطريقة صحيحة. فقد اعتاد أن يتحدث أكثر من ضيوفه، مرت حلقات عاصم دون صدى، ليجد د. زغلول ضالته فى برنامج أحمد فراج «نور على نور» وهو البرنامج الذى كان وراء نجومية الشعراوى، سجل الرجل حلقتين مع أحمد فراج كانتا فاتحة خير عليه، فقد أصبح بعدهما نجماً يتحدث عنه الناس ويسعى إليه الجميع.

ومن التليفزيون انتقل زغلول إلى الناس فطاف بمعظم محافظات مصر مستجيباً لكل دعوة ولأى دعوة، وسارعت كل الجامعات لتكرمه، وتستضيفه وتسمع له، لكن حدث ما توقعناه قبل ذلك، فقد فرغ د. زغلول من كل ما عنده من الإعجاز العلمى فى القرآن فى

حلقتى «نور على نور» ولذا أصبح يعيد ويكرر ما قاله لأحمد فراج فى كل ندواته ولقاءاته، ولأن الرجل عرف طعم الشهرة والأضواء فلم يتراجع بل ظل يستجيب لكل من يريد أن يجرى معه لقاء فجاءت آراؤه فى قضايا المجتمع سطحية وهزيلة.. فالرجل لا يجيد الحديث إلا فى مجال واحد هو الإعجاز العلمى، ولكنه ودفعا للحرج فهو لا يرد سائلاً حتى لو كان السؤال عن حقوق المرأة فى الإسلام والتنجيم والدجالين والعلاقات الأسرية وتقريب العلوم وهدم التماثيل وحوار الأديان وإسرائيل، وكلها موضوعات ليست من صميم ما يعرف د. زغلول، فهو رجل خريج علوم حصل على دكتوراة فى الجيولوجيا.. فما شأنه هو برأى الإسلام فى قضايا العصر!

لقد كانت نية د. زغلول النجار طيبة فيما يبدو، لكنه ترك نفسه للإعلام ليصنع منه نجماً.. ولذا سيهتم الرجل بصوره أكثر من آرائه.. إذ ما معنى أن يترك الرجل نفسه لمصور صحفى يلتقط له صوراً وهو يتحدث فى التليفون.. وهو يبتسم بطريقة معينة، ويلتفت بطريقة خاصة الرجل يسير فى طريق وعر.. لن يستفيد منها أحد، اللهم إلا د. زغلول نفسه.

■■■

هـؤلاء..

وجوه كثيرة لشيوخ أكثر يمكن أن نتحدث عندهم، نقترب من ملامحهم العامة نتعامل معهم كفئة من فئات مجتمعنا لهم أحلامهم وآمالهم وطموحاتهم.. وفي النهاية لهم إحباطاتهم وانكساراتهم.. لم يكن يهمنا إطلاقا تفاصيل حياتهم الخاصة.. من هم.. وأولاد من.. أين يسكنون.. وما إلى ذلك من تفاصيل نرى في إطار اهتمامنا أنها غير مهمة.. ولا تضيف للملامح الصورة التي نريد أن نرسمها لشيوخ مصر.

وعليه فقد غابت أسماء كثيرة عن الصورة منها مثلا أسماء منصور الرفاعي عبيد والزفزاف ويحيى إسماعيل حبلوش رغم القلق الذي يسببه لشيخ الأزهر والشيخ البري. لكنهم شيوخ بلا ملامح، لا يمثلون ظاهرة أو حتى ترتبط بأحدهم قضية معينة يمكن من خلالها أن نطرح سؤالاً كبيراً.. نكشف به بعض جوانب الحقيقة ونصل إلى عمق ما يحدث لنا.

هم كما أسماهم د. عبدالفتاح عبدالنبي «المؤثرون» يستطيعون ان يجمعوا الناس حول هدف واحد، ويستطيعون ان يقودهم إلى ما يرغبون وكل ذلك بحجة أن الله قال وأن الرسول قال، وما دامت الكلمات هي كلمات الله ورسوله فلابد ان تخضع الاعناق، ولابد ان يسمع الجميع، وفي الوقت ذاته يستطيعون ان يفرقوا الناس ويشتتوهم ويبعدوهم عن أمورهم المهمة إلى أمور تافهة وساذجة، هم بالنسبة لنا أدوات تستخدمهم الدولة في تحقيق أهدافها ولا فرق عند الحكومة بين اكبر راس في الشيوخ. شيخ الأزهر. بعد ان تحول لبوق يردد كل ما تريده الحكومة، إلى أصغر شيخ يقف على منبر صغير في قرية

صغيرة، كل كلمة يقولها تخرج حذرة، قلقة، متوترة.. لأنه يخشى أن تخرج منه كلمة ولو عفوا لا تعجب الحكومة.. وفي ذلك كله يعيشون مثلنا جميعا طائمين خوفا على لقمة عيشهم.. وهروبا من سخط رجال الحكومة.. الذين يرددون أنهم يعملون من أجل الوطن.. وكأنهم وحدهم أبناؤه..!!

■■■

ليس افتراءاً عليهم..

فكلنا في النهاية منافقون.. نتفنن في إخفاء آلامنا حتى لا يشمت فينا الناس، تحبس دموعنا بقسوة لنظهر أمام الناس ونحن في منتهى السعادة.. في النهاية تعودنا على ذلك ولا داعي للقلق إذن، لكن المزعج هو النفاق الديني.. النفاق الاجتماعي أمره بسيط.. الذي يأتيه شيوخنا الكبار والذى جعلنا لا نستثني منهم أحداً فهم جميعا أهل نفاق، نفاق ممتد من الله إلى الحكام، لا فرق بينهما في ذلك.

نفاق الله يغلف برداء من التقوى والورع وادعاء الخوف على محرمات الله، وراجع فقط خطب شيوخ المساجد، وأحاديث علماء الدين في التليفزيون والراديو، وكتبهم الكثيرة التي تضج بها الأرصفة تجد كلها إدعاءات بأنهم وحدهم جنود الله وحراس دينه، القائمون على الدعوة الإسلامية بكل ما عندهم من قوة.. أما الآخرون.. الذين هم نحن طبعا.. فهم دائما مقصرون في عبادتهم وفي عقيدتهم وفي خدمتهم للدين، وسيجد المواطن المصري بعد تعبه ونصبه نفسه محاطاً باتهام شيخ أزهري له بأنه رجل فاسد وفاسق لأنه يرى حرمات الله تنتهك امامه ولا يحمر وجهه خجلا، ولا تفور الدماء في رأسه فيعترض، مع أن هذا المواطن البسيط يكون كله أمل أن يرضى الله عنه فقط بدون فلسفة أو استعراض عضلات، تجد الشيوخ يقومون بالصلاة من خلال مكبرات الصوت يطيلون في القراءة والدعاء والابتهال إلى الله.. لتتحول الصلاة بهم من ظاهرة تعبدية هدفها التقرب إلى الله إلى ظاهرة صوتية كلامية.. فالأذان يحطم آذان الناس من خلال مكبر صوت لا يرحم، وكذلك الإقامة.. ثم تبدأ التلاوة والدعاء الذى يقطع القلب ويلهب

العيون من البكاء، ظنا منهم أن الله بهذا يقبلهم فى عباده الصالحين، مع أن الجنة ليست فقط لأصحاب الأصوات العالية. نفاق الشيوخ لربنا سبحانه وتعالى هو كفيل به، لا تخفى عنه خافية وهو وحده القادر على معرفة مقدار نفاقهم وفضحهم فى الدنيا والآخرة. فى الدنيا يحدث ذلك بأن يسلط الله من بين عباده شيوخا وعلماء يفضحون ضعف الشيوخ ويوضحون للناس أوجه نفاقهم ولا يمكن ان نغفل صيحات.. الكاتب الكبير خالد محمد خالد - يرحمه الله - الذى هز الشيوخ وحذرهم من استخدام كلمة لكن.. فهى لكن المنافقة التى يداهنون بها ويطلبون من خلالها أن يلتمس الآخرون لهم العذر. تجاوزت شجاعة الرجل وصراحته من فضح نفاق الشيوخ لله إلى فضح نفاقهم للحاكم.. انظر فقط إلى قوله:

«الا يمكن أن يكون إعجابى بالديمقراطية وولائى لها وإيمانى الوثيق بها ضربا من ذلك اللغط المتفشى حولها؟ إن نظامنا الحاكم يتعامل معها بوصفها ديكوراً يزيده زخرفاً وجمالاً والداعون إلى الدين بزعمهم. يجتثونها من قاموس الكلمات المؤمنة، وكثير من المثقفين يصابون بالغثيان عند سماع اسمها وبثقة يتحدث عن ديمقراطية مبارك».

جاء مبارك فأحدث فى الديمقراطية بعض التوسعات، لا لحساب الديمقراطية كمبدأ ونظام، بل لحساب حكمه وحزبه، وربما أيضا وفاءً لميراث زعيمه السادات، وكان - كسابقيه يخاف الحرية ومن ثم فهو يعطى الديمقراطية بقدر، أو على حد تعبيره جرعة جرعة!!..

وعلامات التعجب وضعها خالد محمد خالد الله يرحمه.

تأمل بعد ذلك كلمات الشيوخ التى تسابقت لتؤكد ولاءها للحاكم فى انجازاته رغم إحباط الشارع المصرى كله، وقف المفتى د. نصر فريد واصل بكل ثقة يبحث عن تخريجات شرعية ليستمر الحاكم مدى الحياة، وتحدث شيخ الأزهر عن ضرورة أن يعترف الناس بالجميل والا يجحدوا فضل الحكومة عليهم.

ليس غريبا إذن أن يفقد الناس الثقة فى شيوخهم، فهم فى النهاية لا يعبرون عن الناس، بل يعبرون عن الحاكم، وعليه فلينفعهم الحاكم. بكل بساطة المصريين وسذاجتهم

انصرفوا بشكل كامل عن شيوخ المساجد وعن شيوخ التليفزيون فوقعوا فى أيدى المتطرفين تارة، ووقعوا فى أيدى الانحراف تارات أخرى وهم فى الحالتين ضحايا رغبة الشيوخ فى الحفاظ على كراسيهم ومقاعدهم.

أظن أن الخلل يبدأ من هنا، من نقطة اعتبار الشيوخ أن الدعوة إلى الإسلام وسيلة، أداة وليست هدفا، وسيلة للحصول على لقمة العيش والوصول إلى مناصب معينة يحصدون من خلالها السلطة والوجاهة الاجتماعية والأموال طبعاً. انضمام الشيوخ إلى زمرة المنافقين ليس حكمنا ولكنه حكم الواقع الذى ضج بهم ومنهم، فأوصلوا أنفسهم إلى درجة أنهم أصبحوا مادة للنكت والسخرية، ليست النكت المقننة التى يمكن أن يسمعها الناس فى التليفزيون، ولكنها النكت التى يتعاطاها الناس على المقاهى وفى الطرقات وفى الاجتماعات المغلقة.. فهم لا يبتعدون بهم عن النكت الجنسية فهم فيها دائما فى موقع المفعول بهم.. لأنهم جعلوا من دعوتهم أداة.. فاتخذهم الحاكم أداة.. وقالوها زمان

«اللى يعمل ضهره قنطرة يستحمل الدوس» فاستحملوا يا مشايخ..!!

■■■

آخر الكلام

الكلمة أمانـة
والتاريخ شاهد
والأجيال لا تنسى

الفهرس